ndu spirit
حزيران ٢٠١٠ عدد ٤٩

بيد الأمانة والكفاية والشّجاعة تَتجلى أحلامُ البناء والإنماء، الّتي عَجّتْ بها ألسنةٌ وبياناتٌ في الانتخابات البلديّة ٢٠١٠.

بل هو الصّبرُ على التّحدّيات وعلى التّطلّعات ما يقوّي على المُضيّ في سُبُل الأنوار وصناعة الصّباحات في حديقة تَماهي الحرّيّة والكرامة.

بلى. الخدمةُ العامّةُ حدّاها السّلطتان: وزاراتٌ وبلديّات؛ وإنّ للبلديّات وعليها أن تضطلعَ بكلّ ما أمكنَ ويؤولُ إلى رفعة الانسان ورفاهه...

والحالُ هذه، فلكم كنّا نعوّلُ على الإصلاحات، الإصلاحات الجدّيّة المجدّدة.. المصوّبة أو المبدّلة أو المغيّرة في مضامين كلّ خيار وتمثيل وصلاحيّة وأداء..، لعلّنا نَعبرُ من كهوف أعراق وأعراف إلى فضاءات عَرْف العَرق تَنضحُ به عقولٌ سخيّةٌ وقلوبٌ أبيّةٌ وسواعدُ تستولدُ الوعرَ جنانًا...

نعم. كان لا بُدّ من آليّة ديمقراطيّة متينة، تُنتجُ وضعيّةً ديمقراطيّةً متينةً، تُوفي بأهل الجدارة إلى سُدّة الإدارة، ونُصْبَ الاستهدافات أنّ المجتمعات بقياداتها!

كيف نحرّرُ العملَ البلديّ، وكيف نطوّرُه؟..

هذه المسألةُ جوهريّةٌ في عمليّة إعادة تكوين مقوّمات الدّولة بمعطيات العصر وموجباته؛ وهي في ذمّة الضّمائر الضّمائر.. فأينَها أينَها، ومتى؟!

التّحرير

NDU Spirit دوريّة حول علامات الحياة في عالم جامعة سيّدة اللويزة

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التحّرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

تَتَبُّع أَنشطة
تاتينا روحانا

تنضيد بالعربيّة
ليديا زغيب

تصوير
عبدو بجّاني

تصميم وإخراج
ريبيكا موراني

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

هاتف: ٩٩٦ ٢٠٨ (٠٩)
هاتف /فاكس: ٢٠٥ ٢١٤ (٠٩)
موقع الكترونيّ: www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit

المحتوى

THIRD MILLENIUM

كلمة

... باب الخاء
جورج مغامس

٠٦

مدارات الجامعة

٠٨ كلمة الرئيس في عيد التأسيس ٢٣

١٣ مي زيادة **نصبًا**

١٦ عاصي ومنصور الرحباني **نصبًا**

١٨ وديع الصّافي **نصبًا**

٢٠ **مؤتمر:** الجامعة، التربية، ومستقبل المفهوم المُجتمعيّ في عالمنا المعاصر!
عبدو قاعي

٢٨ مركز الدراسات المريميّة محتفيًا بعيد البشاره

٢٩ إحتفاليّة "وجهُ مريمَ السّلام"

٣١ الإيمان والتعليم العالي
باميلا الشمالي - باتريك جريجي

٣١ من حَصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

عيد التأسيس ٠٨

وجوه

٣٤ 'الله يراني'
الأخ إسطفان نعمة

الأب فادي بو شبل

٣٢

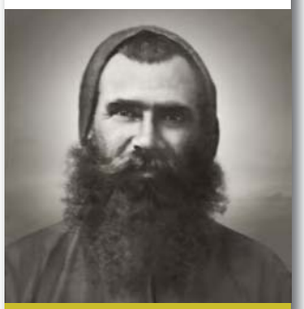

ملفّا ت

٣٧ **اقتصاد لبنان بين اليوم والغد:**

- الوزير محمّد الصفدي
- د. إيلي يشوعي:
- د. غازي عبدالله وزني:
- الأستاذ ماركو أيّوب
- د. لويس حبيقة
- الأستاذ رائد شرف الدين
- د. هشام البساط
- المهندس نعمة افرام
- د. مكرم صادر
- د. شربل عون
- د. مروان اسكندر

مقالات

٥٠ هل يتجنّب لبنان التجربة اليونانيّة؟
د. لويس حبيقة

٥٣ الإعلام بين الأخلاقيّة والإسفاف
د. منصور عيد

٥٤ الإعلام و...كاهن الحقيقة!
إيلي مارون خليل

٥٥ بعد ٦٢ عامًا على قيام.. إسرائيل
يوسف طنّوس صفير

٥٩ مع الأديب في ضعفه البشريّ
جان كميد

٦٣ وحقِّ دمه، لا تبيعوا لبنان!
د. دياب يونس

٦٥ في المعتزل - علِّم قلمي
جورج مغامس

مراجعات

٦٦ حين تقرأ «كتاب الصورة»
أمين ألبرت الريحاني

٦٧ «كتاب الصورة»
حَرَمني النّوم
جوزيف أبي ضاهر

شعريّات

٦٨ يا سيِّدَ العشّاق
الصفصافة والنهر
القفص والمرآة
تحت سرير الماء
أنطوان رعد

٧٠ ريانا
جورج مغامس

من منشوراتنا

سلسلة التنشئة المسيحيّة:
زمن العنصرة

العذراء مريم في لبنان:
الجزء الثّامن - بيروت

جورج مغامس

... باب الخاء

وقعتُ في «باب الخاء» من «محيط» البستاني على القولِ الطّيّب:

والرّاحُ كالرّيحِ إن مَرّتْ على عَطِرٍ

طابتْ وتَخبثُ إن مَرّتْ على جِيَفِ

فأَطربَني كم فيه مِمّا يَدلُّ ويوحي، وهو على علوٍّ في الرَّواء!

لكنّني، ولعلّةٍ في القلبِ أَمضَّتْ..، مضيتُ أَستطلعُ معانيَ الخبث، فإذا هو الخداعُ والمَكرُ والنّفاقُ والنّميمةُ والنّقمةُ والرّداءةُ والفسادُ والخِسّةُ والنّجاسةُ والنّكدُ والإثمُ والحرامُ والفجورُ والمعصيةُ والحسدُ والكبرياءُ والجهلُ والغباءُ وكلَّ ذميمٍ كريهٍ وما كان فيه غِشٌّ وجُرمٌ وجناية، وهو الأخبثانِ البولُ والغائطُ، وهو الشّتيمةُ للّذي وللّتي كليهما: يا مَخبثانُ ويا مَخبثانةُ، بل هو ذُكورُ الشّياطينِ وإناثُهم- على الحديثِ: «أعوذُ بكَ من الخبثِ والخبائث»، أُولاءِ الّذين جَعلَ لهمُ الله من النّارِ دارا!

فيا لَلخبيث: الخبيثِ في الأقوالِ، والخبيثِ في الأعمالِ، والخبيثِ في الأموالِ، والخبيثِ في النّاسِ إطلاقًا. أَلا إنّه أَختلُ من ذئبٍ، وأَروغُ من ثعلبٍ، وأَغرَّ من سرابٍ، وأَفسدُ من سوسٍ،.. وله أسفلُ سافلين!

فويلٌ ويلٌ له.

«ويلٌ للقائلين للشّرِّ خيرًا وللخيرِ شرًّا، الجاعلين الظّلمةَ نورًا والنّورَ ظلمةً، الجاعلين المرَّ حلوًا والحلوَ مرًّا...»- يقول أشعيا. فهؤلاء، كما يقولُ بولس، «امتلأوا بأنواعِ الإثمِ والشّرِّ والطّمعِ والفسادِ، ففاضت نفوسُهم حسدًا وقتلاً وخصامًا ومكرًا وفسادًا».

***

نَعم.

لَقد صَدق أبو العلاء المعرّيّ:

قَلَّ الثّقاتُ فما أدري بمن أَثقُ

لم يبقَ في النّاسِ إلاّ الزّورُ والمَلَقُ

وصَدقَ أبو فراس الحمدانيّ:

وقد صارَ هذا النّاسُ إلاّ أقلَّهم

ذئابًا على أجسادِهنَّ ثيابُ

وصَدقَ الشّريفُ الرّضيّ:

ما كلُّ نسلِ الفتى تَذكو مغارسُه

قد يُفجَعُ العودُ بالأوراقِ والثّمرِ

«فعشيرتُك مَن أَحسنَ عِشرتَك، وابنُ عمِّك مَن عَمَّكَ خيرُه، وقَرابتُك مَن قَرُبَ منك نَفعُه، وأَحبُّ النّاسِ إليك أَخفُّهم ثِقلاً عليك»- وهل مَن لا يُصَدّقُ.. وهل؟

وهل أنا مسرورٌ بقربِ أقاربي

إذا كان لي منهم قلوبُ الأباعدِ؟!

يسألُ أبو فراس.

وفي كلِّ حالٍ، إنّ الخبثَ سرطانُ الأرضِ، وقد استشرى في سلوكِ أهليها. ومَن ذا الّذي يستطيعُ أن يُحصيَ الأقنعةَ؟!

إنّ الأقنعةَ كثيرةٌ كثيرة.

وكُثُرٌ همُ الّذين التصقتْ أقنعتُهم بجلودِهم، فباتتْ وجوهُهم أفئدةً وأفواهًا، وبها يَعتصبون. ولعلّنا، وجميعًا، نَقضي نصفَ العمرِ نَتقنّعُ، ونصفَه الآخرَ نُسفِرُ!

* * *

الذّئابُ بثيابِ الحُملانِ.. القبورُ المكلّسةُ.. وقولُ صالحِ بنِ عبدِ القدّوس:

يعطيكَ من طَرَفِ اللسانِ حلاوةً

ويَروغُ منك كما يَروغُ الثّعلبُ

وما جاءَ في القرآنيّتَين: «يقولون بألسنتِهم ما ليس في قلوبِهم» و«يَحلفون بالله إنّهم لَمنكم وما هم منكم ولكنّهم قومٌ يَفرقون»، وفي الحديثِ أنّ «شَرَّ النّاسِ ذو الوجهين: الّذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاءِ بوجه»...

هو هذا كلُّه من الأقنعةِ والمقنّعين؛ وكم ثَمَّ من «فقيهٍ يُرائي وهو في الليلِ يَشربُ»! ويا ألفَ ألفِ رحمةٍ على ابنِ المقفّعِ ولافونتين وسواهما، مِن قَبلُ ومِن بَعدُ، في شرقٍ وفي غربٍ، مَن جعلوا القلوبَ أقنعةً والرّموزَ وجوهًا!!

المُراءاةُ ضاربةٌ في الأرضِ، وتَتزيّا بالنّقاوةِ والطّهارةِ والقداسةِ وسائرِ آدابِ الحياة. بَلى. ولها أسيادٌ وأنصارٌ. ولها التّجّارُ.

وفي الخِضَمِّ، أَما هو مَقبضُ الفأسِ الّذي من الغابةِ إلى الغابةِ يتّجهُ؟! «فأَبعِدوا عنّا الثّعالبَ، صغارَ الثّعالبِ، لأنّها تُفسِدُ الكروم»- يُنشِدُ سليمانُ مناشدًا.

* * *

مَرضى نحن، ونعاني مِمّا منه نعاني. ويكادُ عودُنا يَنكسرُ. فإنّنا لا نَطمئنُّ لا إلى رأيٍ ولا إلى موقفٍ؛ فلسنا نَرجو خلاصًا من كبيرةٍ أو من صغيرةٍ، وتَختلطُ علينا أسبابُ الموتِ والحياة!

مرضى نحن، ونَمضي من خيبةٍ إلى خيبةٍ، من قَعرٍ إلى قَعرٍ، تَهتِكُ بصرَنا والبصيرةَ براثنُ ومخالبُ وسمومٌ صاخبة.

مرضى نحن، وليس فينا إلاّ لقلاقٌ بقباقٌ بوّاقٌ، يَتصدّرُ المجالسَ، ويعتلي المنابرَ، ويُفتي ويَقضي ويقيمُ الأحكامَ قاموسًا وناموسًا إلى منتهى الدّهور، وكأَنْ خلتِ الأرضُ من بَني سُقراط، وصار السّراطَ قولُ الطّغرائيّ في لاميّة العَجَم:

تَقدّمتني أناسٌ كان شَوطُهم

وراءَ خَطْويَ إذ أَمشي على مَهَلِ!

مؤلمٌ ومحزنٌ ومخزٍ ما نحن عليه.

وما نحن عليه هو كمثلِ تلك المفارقةِ في موقفِ سقراطَ وزوجتِه كْزَنتيب(Xanthippe)، يومَ حُكمَ عليه بالموتِ؛ فلقد قال لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إنّي أَبكي لأنّك تُقتلُ مظلومًا. فأجابها: يا عاجزةَ الرّأي، أَكنتِ تريدين أن أُقتَلَ بحقّ؟!

نحن نُقتلُ ظلمًا. نُقتلُ بقناعاتِهم الأقنعة. نُقتلُ بهذا الخبثِ العظيم. نُقتلُ بالخاء من الطّاقةِ إلى الباب...

كلمة الرئيس في عيد التأسيس ٢٣

Address of President Fr. Walid Moussa

" The Role of the University in the Formation of a Cultured Student"

Dear Friends,
For the fifth consecutive year, I stand before you as President of Notre Dame University-Louaize (NDU). In all humility, I consider this responsibility a great honor. The Maronite Order of the Holy Virgin Mary, to which I am proud to belong, conferred this duty on me. The University's family--faculty, staff, and students--also wholeheartedly supported this decision. I salute and thank them for their support and assure them of my prayers because together we have met challenges, surmounted difficulties, and built a reputable University to serve our society - a University we call home and of which we are proud.

Dear Colleagues,
In our previous gatherings over the last four years, I have addressed the notion of belonging to the University in its different facets. Today, I endeavor to continue this mission by highlighting the importance of cultural belonging. Presently, universities are facing a cultural crisis, as a result of labor market pressures, the economic environment, and consumer-driven society. Are these factors the reasons why students seem to be focused only on obtaining a degree without giving much attention to cultural awareness?
Is it true that we are simply learning, but becoming less cultured?
Is it true that our universities have become institutions that only grant degrees?
These questions have prompted me to address this subject in an attempt for us to reach a common perspective.

Dear Friends,
If we were to go back to when the Order was established in 1695 AD and to when the Lebanese Synod (the Louaize Synod) was convened in 1736 AD, and if we were to review the basis upon which

كلمة الرئيس الأب وليد موسى

"دور الجامعة في إعداد طالب مُثَقَّف"

أيّها الأصدقاء،
للمرّة الخامسة، أقف أمامكم، رئيسًا لهذه الجامعة. إنّه شرف لا أدّعيه. فأنا مُنحته بقرارٍ من رهبانيّتي المارونيّة المريميّة، التي لي فخر الانتماء إليها، وبقرارٍ تالٍ من أسرة الجامعة، أساتذةً وموظّفين وطلاّبًا. فإليهم أرفع التحيّة، ومن أجلهم أصلّي؛ فمعهم وبهم انتصرنا على الصعوبات والتحدّيات، وحقّقنا لمجتمعنا جامعة، لا أقول، هي مسقط رأسنا، بل بها نرفع الرأس.
أيّها الأخوة،
كانت لقاءاتنا، في السنوات الأربع الماضية، تتمحور حول موضوع الانتماء، في مختلف وجوهه الجامعيّة. وهذا ما أحاول اليوم، أن أتابعه، بالحديث عن انتمائنا الثقافيّ. وهل هنالك بالفعل، مأزق ثقافيّ في الجامعات، ناتج عن ضغط سوق العمل والمناخ الاقتصاديّ الاستهلاكيّ، بحيث أنّ الطالب يسعى إلى الشهادة، ويكتفي، مركّزًا على الاختصاص من دون الاهتمام بشخصيّته الثقافيّة؟
وهل صحيح أنّنا نتعلّم ولا نتثقّف؟
وهل صحيح أنّ جامعاتنا تحوّلت إلى مكان لاستصدار الشهادات؟
هذه الأسئلة دفعتني إلى مواجهة هذا الموضوع، محاولاً الوصول معكم إلى رؤية مشتركة.

أيّها الأصدقاء،
إذا أردنا العودة إلى التاريخ، إلى تأسيس الرهبانيّة سنة ١٦٩٥، وإلى المجمع اللبنانيّ (مجمع اللويزة سنة ١٧٣٦)، وإذا تصفّحنا الأسس التي قامت عليها هذه الجامعة سنة ١٩٨٧، والأهداف التي سعت إلى تحقيقها، تبيّن لنا أنّ

الثقافة كانت العنصر الأساسيّ الملازم لنشأة الرهبانيّة ولمقرّرات المجمع اللبنانيّ ولتأسيس هذه الجامعة. وقد حرص المؤسّسون والرؤساء الذين سبقوني في رئاسة الجامعة إلى التأكيد على أنّ التربية تلعب الدور الأساسيّ في تحصين المواطن ضدّ المفاسد والتعصّب والتقوقع. ولهذا، فإنّ الجامعة تسعى إلى:

«بناء إنسان مثقّف، متعدّد اللغات، عميق الإدراك، يميل إلى التوسّع في المعرفة، وبصورة مستمرّة، ويعتبر اختصاصه جزءًا من شخصيّته الثقافيّة».

إنّ هذا الهدف أكّد عليه المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ الذي قال:

«إنّ الشخص البشريّ لا يبلغ حقًّا كمال إنسانيّته إلاّ عن طريق الثقافة. والثقافة تعني كلّ ما يصقل به الانسان طاقاتِه الروحيّةَ والجسديّةَ وينمّيها، محاولاً أنسنة الحياة الاجتماعيّة والعائليّة والمدنيّة».

والإرشاد الرسوليّ، رجاء جديد للبنان، تناول أيضًا هذا الموضوع من حيث اعتبارُه لبنانَ أرضًا نموذجيّة لحوار الثقافات وللعيش المشترك.

طبعًا، الجميع متّفقون على أنّ المثقّف هو غير المتعلّم، وغير الاختصاصيّ في حقل معيّن، وأنّ كلّ مثقّف متعلّم، ولكن ليس كلّ متعلّم مثقّفًا. لذلك، فإنّنا نتطلّع، في الجامعة، في كلّ جامعة، إلى إعداد إنسان مثقّف.

لماذا؟ لأنّ الجميع يشكون، اليوم، من المستوى الذي يتخرّج به معظم الجامعيّين، إلى حدّ القول القاسي: إنّ «الأميّة» الفكريّة تتفشّى في الجامعات، فلا أحد يقرأ كتابًا، ولا أحد يكتب رسالة، ولا أحد قادر على المناقشة والحوار، بأسلوب جدّيّ وراق.

وبالإضافة إلى ذلك، يتساءل البعض: كيف تريدون وتطالبون بأن يصبح سنّ الانتخاب ثماني عشرة سنة، فيما طلاّبكم لا يتمتّعون بأيّة ثقافة سياسيّة أو ديمقراطيّة؟

ظالم هذا الحكم، ربّما؟ ولكنّه يعبّر عن بعض الواقع الأليم الذي يعيشه مجتمعنا الجامعيّ. وإذا كان القول جارحًا، فلأنّ الحقيقة تجرح، ولأنّ، من العيب، أن ندفن رؤوسنا في الرمال، لكي نخفي واقعنا المريض.

بناءً عليه، سأقصر كلمتي اليوم على الهدف الثقافيّ، لجامعة سيّدة اللويزة، مع اعترافي المتواضع، اننا لم نصل حتّى اليوم، إلى تحقيق كامل هذا الهدف.

ماذا نعني، في القرن الواحد والعشرين، بطالب جامعيّ مثقّف؟

توصّلت، بعد بحث دقيق، وبالحوار، مع بعض الزملاء والأصدقاء، إلى رسم صورة أو بروفيل للطالب الجامعيّ المثقّف. وقد توقّفت عند عشر صفات أو عشرة معايير، لمنح الطالب هذه الشهادة، شهادة الثقافة.

والملامح العشرة هي التالية:

المثقّف هو الطالب الحرّ، القادر على كسر القيود والخروج من زنزانة التقاليد والهويّات القاتلة. وهو يفهم الحريّة حقًّا له ولغيره. ولا يفهمها اعتداءً على كرامات الناس، وتوليد الفوضى، والتفلّت من القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة والدينيّة. إنّه الطالب الناقد، القادر على الاختيار، وليس المحكوم باعتبارات شخصيّة أو عائليّة أو طائفيّة...

المثقّف هو الطالب المنفتح على الغير، المحبّ للغير، المؤمن بحقّ الاختلاف،

NDU was founded in 1987 and its objectives, we would realize that "culture" was the core constituent of the Order's establishment, the Lebanese Synod's decisions, and the University's foundation. The Founding Fathers and former Presidents of NDU strove to promote and safeguard education, which plays a fundamental role in protecting citizens against corruption, fanaticism, and seclusion. Accordingly, the University endeavors to:

"Develop a cultured citizen who is multilingual and possesses critical consciousness, strives to continuously broaden his knowledge, and considers his major a part of his cultural awareness".

This objective was stressed by the Vatican Council II that stated: "Man comes to a true and full humanity only through culture. The word 'culture' indicates everything whereby man develops and perfects his many bodily and spiritual qualities; He renders social life more human both in the family and the civic community."

Moreover, the Apostolic Exhortation, "A New Hope for Lebanon," addressed this subject when it considered Lebanon an exemplary land for the dialogue of civilization and conviviality.

Most would agree that a cultured person stands apart from the merely educated or those specialized in certain fields, and that every cultured person is educated; however, not every educated person is cultured. For this reason, our University, as every university, should seek to form cultured men and women.

Why? Today, most people complain about the poor level of culture most university graduates display. I wish to add, albeit harshly, that cultural "illiteracy" is running rampant across universities. Very few students read books, write letters, or are able to lucidly articulate and converse in a refined manner.

Notwithstanding, some wonder how there exists a request to lower the voting age in Lebanon to eighteen when our students lack both political and democratic values.

Is this a cruel verdict? Maybe so, but it reflects some aspects of the painful situation that university communities are experiencing. If what has just been said hurts, it is because the truth hurts, and it is shameful to bury our heads in the sand to conceal our ailing reality.

Based on this, I will not dwell on the cultural objectives of NDU, although I must admit that we have not yet reached the level of awareness we wish to achieve.

In the twenty-first century, how does one define a cultured university student?

After much research and dialogue with colleagues and friends, I have managed to draw up the following profile of such a cultured university student upon whom we may confer the "Degree of Culture":

1- A cultured student is one who is free and able to break the shackles of confining traditional practices and those that suppress his/her identity. He/she truly understands personal and public freedoms. Yet, he/she does not consider freedom as violating the dignity of people, creating chaos, and ignoring social, moral, and religious values. A cultured student is one capable of criticizing and choosing, and not one who is influenced by private, family, or confessional considerations.

2- A cultured student is one who is open and loving, who upholds the right to be different, and who is influenced by others insofar

as he/she can influence others. As such, he/she can interact with society and the entire world, which has become a "global village". He/she will be neither reclusive nor narrow-minded. He/she will not hide behind the veil of blind and radical ideologies.

3- A cultured student is one who possesses a well-rounded personality on the spiritual, psychological, and social fronts… We do not seek intellectual minds and empty hearts nor brilliant minds and barren souls. We all cry out in loud protest against the situation of some students who end up forlorn, addicted to drugs, or psychologically ill. In most cases, these situations are the result of a psychological void that needs to be filled through care, attention, and culture. Faith in God plays a significant role. By this, I do not refer to faith based on violent radicalism, rather I refer to faith that is the fruit of a deep culture and enduring spiritual formation.

4- A cultured student is the altruist who can overcome selfishness, interact with society, and use his/her knowledge to serve others, or more precisely others who are dissimilar in ideologies to him/her. An educated person uses "I" when speaking whereas the cultured person uses "We." The educated person wants his/her personal interests to prevail over the interests of others, whereas the cultured person knows that his/her interests cannot be fulfilled without first fulfilling the greater interests of his/her society or nation.

5- A cultured person is the student who believes in his/her nation and people. He/she does not build a nation for himself/herself or a nation that is confined to his/her family, rite, town, and region. Lebanon's tragedy resides in the disappointing fact that it is unable to form a good and well-rounded citizen. A good citizen builds the state, and I believe that this is the reason why we are yet to build a state.

6- A cultured student is one who is capable of fusing traditional knowledge and modern science, the book and Internet, ink and pixels, and the art of listening and that of writing. It is quite usual to witness conflicts between radical and hegemonic regimes. However, if we succeed in eliminating radicalism and hegemony, human civilizations could meet in and respond to today's "glocal" world.

والذي يتأثّر بالغير، كما يؤثّر؛ وبذلك يتفاعل مع المجتمع، ومع العالم كلّه، وقد أصبح هذا العالم مجتمعًا صغيرًا، فلا يتقوقع ولا يتزمّت، ولا «يتمترس» وراء صخرة الأصوليّات العمياء.

المثقّف هو الطالب ذو الشخصيّة المتكاملة: روحيًا، نفسيًا، اجتماعيًا... لا رؤوس ملآنة وقلوب فارغة، ولا عقول تختزن المعلومات فيما الروح في خواء وصحراء. نشتكي جميعًا من وضعيّة بعض الطلاّب الذين ينتهون في التوحّد أو المخدّرات أو المرض النفسيّ. هذه هي، في معظم الحالات، نتيجة فراغ نفسيّ، لا بدّ من معالجته وملئه بالرعاية والثقافة والاحتضان. وهنا يبرز دور الايمان بالله، لا عن أصوليّة دمويّة، نتيجة ثقافة عميقة وإعداد روحيّ.

المثقّف هو الطالب الغيريّ: البعيد عن الأنانيّة، المتواصل مع المجتمع، والذي يستخدم عقله وعلمه في خدمة الآخر أو الغير. المتعلّم يقول: أنا. المثقّف يقول: نحن. المتعلّم يريد مصلحته الشخصيّة على حساب مصلحة الآخرين، أمّا المثقّف فهو الذي يرى أنّ مصلحته الشخصيّة لا تكتمل إلاّ بمصلحة وطنه أو مجتمعه.

المثقّف هو الطالب المؤمن بوطنه، بكلّ أرضه وبشره، وليس الذي يصنع وطنًا لنفسه، يقتصر على عائلته وبلدته وطائفته ومنطقته. أجل، بعض مآسي لبنان تبرز في الخيبة من إعداد مواطن صحيح ومتكامل. المواطن يبني الدولة، ولهذا لم نبنِ دولة حتى الآن.

المثقّف هو الطالب الجامع بين التراث والتكنولوجيا الحديثة، بين الكتاب والإنترنت، بين الحبر والصور الرقميّة، بين فنّ الإصغاء وفنّ الكتابة. من الطبيعيّ أن نشهد اليوم صراعًا بين الأصوليّة والهيمنة؛ ولكن، إذا انتزعنا الثقافة من هويتها الأصوليّة، والعولمة من شهوة الهيمنة، حصلنا على التلاقي والتفاعل وحضارة الانسان، أي ما يسمّى اليوم بـ Glocal.

المثقّف هو الطالب القادر على الإبداع، والذي يسعى وراء كلّ جديد وكلّ جميل وكلّ تمييز. المستقبل هو لهؤلاء المبدعين، وليس لمن يستنسخ غيره ويعيش على موائد الآخرين.

المثقّف هو الطالب الشجاع، الذي لا يخاف أحدًا، والذي يقول كلمته، بوضوح وصراحة وإيمان. إنّه صاحب موقف، صنعه نتيجة دراسته وخبرته وتجاربه، ولا يستعير مواقف الغير، ليقاتل بها أو ليختبئ وراءها.

المثقّف هو الطالب المتعدّد اللغات، الذي يعتبر اللغة وسيلة التواصل مع هذا العالم الواسع الذي لا يعرف حدودًا أو سدودًا. وإذا كانت اللغة الأمّ— اللغة العربيّة— هي الأساس، فإنّ اللغات العالميّة هي الوسيلة لاستيعاب التطوّرات الانسانيّة والانخراط في حقول المعرفة والحضارة.

المثقّف هو الطالب القائد والمسؤول الممتلىء من نفسه والقادر على قيادة مجتمعه نحو الأفضل والأرقى. ولا يكون هذا الطالب نموذجًا إلاّ اذا تمتّع بأخلاق وقيم تجعله قدوة بين رفاقه، وفي مجالات عمله، بعد تخرّجه من الجامعة.

أيّها الأخوة والأصدقاء،

بعد رسم هذه الصورة للطالب المثقّف، يبرز التحدّي الذي تواجهه الجامعة: ما هي العوامل التي تمكّن الجامعة من إعداد هذا الطالب وتأهيله؟

نحن لا نستثني دور الأهل، ودور المدرسة، ودور وسائل الإعلام، ودور المؤسّسات القائمة، من المسؤوليّات، في الإسهام في بناء شخصيّة هذا الطالب. ولكنّنا، كجامعة، نرى أنفسنا ملزمين بخطوات جريئة، تقودنا إلى وضع القول موضع التنفيذ. لهذا، نرى من الواجب مراجعة أدوارنا الجامعيّة، ولاسيّما في الحقول التالية:

أ . في وضع المناهج والبرامج بما يتلاءم مع أهدافنا. فلا تكون الوحدات الدراسيّة جامدة، متخلّفة، بل متحرّكة، بصورة دائمة، لتحقيق هذه الغايات التربويّة. نحن مدعوّون إلى إعادة النظر، في المقرّرات التعليميّة، على ضوء هذا الواقع.

ب. في تهيئة العناصر البشريّة— الأساتذة والموظّفين— واختيارها، بكفاءة وقدرات عالية، ومنحها الإمكانيّات الماديّة والمعنويّة، بحيث يؤدّون خدماتهم بما ينسجم مع الأهداف التي نسعى وراءها.

ج. في تأمين التجهيزات اللازمة، بناءً ووسائلَ تعليميّةً وكتبًا ومختبراتٍ، بحيث، نتمكّن من خلق المناخ الملائم والمساعد على تشجيع الطلاّب على العمل والانتاج.

د. في إيجاد طرق تعليميّة متقدّمة، تعتمد على البحث والحوار والنشاط الشخصيّ. فلا تكون المؤتمرات والندوات والمعارض والمسرحيّات وقفًا على فئة عمريّة، تتجاوز أعمار الطلاّب الذين نعدّهم للحياة الجديدة.

هـ. في الإكثار من النشاطات التدريبيّة والتمرينيّة، بالتعاون مع سوق العمل ومؤسّسات الانتاج، فلا يكون انقطاع بين الجامعة والمجتمع، بل تكامل وتفاعل، بحيث لا يجد المتخرّج نفسه غريبًا، بعد تخرّجه، عن مسرح العمل وأساليب الانتاج.

و. في التركيز على أدب الحياة، بحيث تصبح أساليب العيش جزءًا من المادّة التعليميّة: النظافة، الحرص على البيئة، قيادة السيّارات،

7- A cultured student is the creative one who seeks to discover every possible novel, wonderful, and unique aspect of life. The future is reserved for the creative and not for those who copy others and live off their backs.

8- A cultured student is the brave heart who fears no one and speaks his/her words with poise, clarity, and honesty. He/she takes stances that are the fruit of profound deliberation and experience. He/she does not adopt the opinions of others to use as weapons or shields.

9- A cultured student is the multilingual who conceives language as a tool to communicate with the world at large that continues to dispose of its limits and boundaries. If the Arabic language is the native tongue, other languages must be learned and used as tools to help the cultured student become better acquainted with new fields of knowledge and stay abreast of the latest developments.

10- A cultured student is the leader who can assume responsibilities with self-confidence and lead his/her community toward a better and brighter tomorrow. This student can only become a model to be followed when he/she embraces moral and ethical values that make him/her influential among his/her fellow students at university, and later on, colleagues at work.

Dear Colleagues and Friends,

The challenges to be met by the University emerge after having drawn up the profile of a cultured student.

What are the factors that enable the university to prepare and shape this cultured student?

This process does not undermine the vital roles played by parents, schools, the media, and various institutions in forming the personality of this cultured student. However, we, as a University, believe that we are committed to taking bold steps by putting our words into action. Therefore, we consider it our duty to evaluate our role as a University in the following areas mainly by:

a- Offering curricula and programs that are compatible with our goals. Therefore, classes are not boring and outdated; rather these become interactive and up-to-date, and help achieve educational objectives. We are continuously invited to review our courses in light of these realities.

b- Providing training courses for faculty and staff. In so doing, we are also presented with the opportunity to select those who are skilled and talented, and reward them financially and morally in order to allow them the opportunity to perform their duties according to our objectives.

c- Providing state-of-the-art equipment, smart classrooms, and facilities that offer a supportive academic learning environment.

d- Applying advanced teaching methods that utilize research, dialogue, and personal efforts. Conferences, seminars, exhibitions, and plays should not be limited to certain age groups that fall above the age of students we are preparing for the future.

e- Developing training seminars in collaboration with the labor market to maintain the university-society relationship. This must be a complementary and interactive relationship to ensure that graduating students do not find themselves unfamiliar with the workplace.

اللباس، العلاقة مع الآخرين، ولاسيّما الأطفال والكبار في السنّ، العلاقة مع دور العبادة ورجال الدين، الصحّة، ولاسيّما الصحّة الانجابيّة والصحّة النفسيّة،... إلى ما هنالك من أمور وشؤون يحتاجها طلاّبنا ولا يجدون أحيانًا من يُرشد أو يوجّه.

أيّها الأصدقاء،
إعداد طالب مثقّف، يحتاج إلى أساليب وأجواء جامعيّة معيّنة مميّزة متخصّصة،
ولكن كلّ ذلك يتطلّب ثلاثة عوامل:
قيادة جامعيّة، ابتداءً من الرئيس ونوّابه، والمديرين والعمداء، تأخذ بهذه الاعتبارات التربويّة، وتبني استراتيجيّتها وطريقة عملها على هذه الأسس.
قدرات ماليّة، ولا حياء في ذلك، تستطيع أن تحقّق هذه الخريطة الجامعيّة. ولا يمكن تنفيذ ذلك، بالاعتماد على الرسوم الجامعيّة فقط، بل باللجوء إلى المساعدات والتبرّعات ومشاركة القطاع الانتاجيّ الخاصّ.
قرارات تؤخذ على مستوى الوزارات المعنيّة، تستطيع أن تكون بمستوى هذه التحدّيات، لا عائقًا في سبيل تحقيقها.

أيّها الأصدقاء،
لم أبتكر اليوم جديدًا في هذه الرسالة. إنّني، كرجل دين، وكإنسان أنتمي إلى رهبانيّة مارونيّة، وكلبنانيّ أؤمن بلبنان وطنًا حضاريًا حرًّا، أرى نفسي مُلزمًا، بعد خمس سنوات، على تسلّمي مهامّي في رئاسة الجامعة، إلى طرح هذه القضايا، بروح المسؤوليّة والمحبّة. جامعتنا التي تعتبر اليوم واحدة من أكبر جامعات لبنان، مدعوّة أن تذهب في العمق، لا في التوسّع فقط. كان زوربا يقول: بقليل من الجنون، نغيّر العالم. أمّا أنا وأنتم، فلسنا مجانين، ولكننا قادرون على التغيير، إذا تشابكت الأيدي وتضامنت العقول، ووجّهنا الأنظار نحو المستقبل الجميل الذي دعانا إليه الله والوطن.
لهذا أختم كلمتي، بأنّني مع معاونيّ، مع مجلس المدبّرين، مجلس الأمناء، مجلس الجامعة، العمداء، وجميع أفراد أسرة الجامعة، سنعمل، منذ الآن، على مناقشة هذه الموضوعات. فهذه الآراء ليست مقدّسة، وليست معصومة عن الخطأ، بل هي تحمل إشارات النقد، وتحتاج إلى نقد مقابل. وذلك كلّه، في سبيل اعتماد سياسة جامعيّة تحقّق الأهداف التي نسعى إليها.
نعم، نحن نسعى إلى اعتراف بمستوى جامعتنا، يأتينا من الخارج Accreditation. ولكن الاعتراف الأساسيّ يبدأ بذواتنا، وقد بدأنا.

شكرًا لكم جميعًا،
تحيّة لكم أساتذةً وموظّفين وطلاّبًا وخرّيجين.

أنتم الجامعة، وأنتم العيد، وكلّ سنة وأنتم بخير،

عشتم، عاشت جامعة سيّدة اللويزة،
عاش لبنان.

.

f- Focusing on savoir-vivre and etiquette, which constitute a teaching unit and are aimed at training students on hygiene; protecting the environment; safe driving; proper grooming; sound relationships with the elderly, children, religious places, and the clergy; health and in particular physical and psychological health among others. Our students seldom receive the proper instructions to guide them.

Dear Friends,
Shaping cultured students requires an exceptional and unique university environment. However, this necessitates the following three factors:
- University leadership that starts from the President and Vice-Presidents to the Directors and Deans, who must adopt these educational considerations in order to build their strategies and work methodologies.
- Financial capacity, and there is no embarrassment in saying this, which could help achieve the University's objectives. This cannot be reached by relying solely on tuition fees. We should also resort to endowments, grants, donations, and participation of the private business sector.
- Decisions need to be taken at the level of all concerned ministries, which can help meet these challenges head-on instead of hindering their achievement.

Dear Friends,
In today's address, I haven't offered new ideas. As a clergyman who belongs to a Maronite order, and as a Lebanese citizen who believes in a free and modern nation, I see myself committed--after my five-year term in office as President of NDU--to tackle these issues with love and responsibility. Our University, which is currently considered among the most important universities in Lebanon, is encouraged to grow not only in size but also in substance. Zorba used to say: "A man needs a little madness to change the world".
However, you and I are not mad, but we are able to make a change if our hands and minds are united, and if we turn our sights toward the bright future that God and country are calling upon us to fulfill.
On this note, I conclude my address and promise that as of today my advisors, General Assistants, Board of Trustees, University Council, Deans, and the entire NDU family will work together to discuss these themes. The views and ideas I presented here today are not sacred, especially given that we are all prone to error. My ideas are debatable and need to be discussed in order to adopt a strategy for NDU that would help achieve our objectives.
Yes, at the University level, we are seeking acknowledgment from abroad through the Accreditation Process, but real recognition should start from within, and this process has begun.

In closing, I would like to thank you all, faculty members, staff, students, and graduates.

You are the beating heart of this university; you are the core of this event.

Happy Founders' Day NDU

Long live NDU,
Long live Lebanon.

مي زيادة

رسولةُ لبنانَ في دنيا الأدبِ والعرب
نجمةٌ أميرةٌ حلّت بيننا

مي زيادة (١٨٨٦- ١٩٤١)

في ١٤ نيسان ٢٠١٠، رُفع رأسٌ آخرُ في متحفِ الرؤوسِ الرؤوس، في جامعة سيّدة اللويزة، هو رأسُ مي زيادة، بنتِ لبنان، رسولةِ لبنانَ في دنيا الأدبِ والعرب، وقد كان بإزميل النحّات بسّام كيرلس. هذا الحدثُ تمّ في الذكرى المئويّة الأولى لصدور أوّل مؤلّفات أديبتنا الكبيرة، وهو بالفرنسيّة *Fleurs de rêve*.

أمّا مي زيادة، وبحسب الفيلم الوثائقيّ الذي عُرض عنها، فتبدو ملامحها كما رسمها الأستاذ **سهيل مطر**، في معطيات التواريخ الآتية:

١٨٨٦ ولادتها في مدينة الناصرة (فلسطين). والدها الياس زخّور زيادة من شحتول (من إهدن؟). والدتها نزهة معمّر، فلسطينيّة الأصل.

١٨٩٠ تبدأ الدراسة في الناصرة.

١٨٩٧ تنتقل إلى لبنان - مدرسة راهبات الزيارة في عينطورة.
تتقن العربيّة، اللاتينيّة، الفرنسيّة، الانكليزيّة، الموسيقى... ثمّ تدرس الايطاليّة والألمانيّة والاسبانيّة. تتأثّر بالشعراء الرومنطيقيّين.

١٩٠٨ في مصر.

١٩١٠ أوّل كتاب لها، بالفرنسيّة: أزاهير حلم Fleurs de rêve.

١٩١٣ مراسلات مع جبران في أميركا.

١٩١٥ صالون مي، أو الندوة أسبوعيًا. من روّاد صالونها: العَقّاد، وليّ الدين يَكَن، أنطون الجميّل، خليل مطران، شبلي الشميّل، أحمد زكي باشا، طه حسين، سليمان البستاني، أحمد شوقي، يعقوب صرّوف، حافظ ابراهيم، هدى شعراوي.

روحي على بعضِ دورِ الحـيّ حائمـة
كظامـئ الطيـر توّاقـًا إلـى المـاء
إن لـم أُمتِّـع بمـي ناظـريّ غـدًا
لا كـان صبحُـكَ يـا يـوم الثلثـاءِ
(اسماعيل صبري)

١٩١٦ تلتحق، من جديد، بالجامعة. مقالات ودراسات وكتابات في جرائد مصر.

١٩٣٠ وفاة والدها.

١٩٣٢ وفاة والدتها. تسافر إلى لندن. توتّرات نفسيّة، العُصاب، الاضطراب.

١٩٣٥ رسالة إلى قريبها الدكتور جوزف زيادة، تعترف فيها بالانهيار والمرض.

١٩٣٦ تعود إلى لبنان، يشتدّ التوتّر والانهيار، تدخل إلى مستشفى العصفوريّة (ليالي العصفوريّة).

١٩٣٧ في الفريكة بدعوة من أمين الريحاني.

١٩٣٨ من جديد، في مصر.

١٩٤١ العزلة، المرض، الوفاة في ١٩ ت١ ١٩٤١ في القاهرة.

أهمّ آثارها: المساواة- كلمات وإشارات- باحثة البادية- الصحائف- سوانح فتاة- ظلمات وأشعّة.

وفي المناسبة قال **الرئيس وليد موسى**:

من شحتول، الضيعة الوديعة القائمة في فتوح كسروان، تخرج فتاة صغيرة، في عينيها أحلام كبيرة، وفي صدرها طموحات لا تحدّ، وبين أصابعها قلم يتحدّى الواقع، ينتصر على الغياب، ويسجّل اسمه في تاريخ الأدب والحضارة. إنّها مي زيادة، رمز المرأة اللبنانيّة، التي لا تنتظر كوتا نسائيّة، ولا قوانين المساواة، ولا تستعطي من الرجال مركزًا أو لقبًا معيّنًا.

فرضت نفسها، عقلاً وقلبًا وإبداعًا، فكانت المرأة الرائدة التي تقود، ولا تُقاد، والتي تقف إلى جانب الرجال، وفي الطليعة،- ولا أقول في المواجهة-

لتؤكّد للعالم أنّ المرأة الأمّ، الأخت، الحبيبة، الزوجة، الابنة والصديقة، تبقى دائمًا مصدر جمال وحياة وثقافة.

لهذا، نحن اليوم، نرافقها كي تتصدّر مدخل الجامعة، وتقف قرب خمسة عشر رجلاً، ومن دون استئذان، لتقول: وأنا أيضًا... لأنّ عمالقة الفكر، لا يُقاسون بأجسادهم، ولا يتميّزون بجنس أو لون، بل يُعرفون بعقولهم التي لا تميّز رجلاً عن امرأة:

فـلا التأنيثُ لاسم الشمـس عيـبٌ

ولا التذكيــرُ فخــرٌ للهــلالِ

نعم، أيّها الأصدقاء، نحن فخورون، في الجامعة، بأن يكون وجه مي، واحدًا من الوجوه الكبيرة في هذا الوطن. وكم نأمل أن تكثر وجوه النساء يتصدّرن المحافل، يقفن على التلال، يرفعن الصوت، يعبّرنّ عن حقيقة لبنان، ويردّدن: وجه أمّي وجهُ أمّتي.

وجاء في كلمة المهندس **فرانسوا الكلاّسي**، رئيس بلديّة شحتول:

بمثل ما تكبر شحتول وتعتزّ، بابنتها مي زيادة، أديبة لبنان، وكليمة العرب، ونابغة الشرق...، تفتخر شحتول نجمةُ صبح الفتوح، وتفرح، بالبادرة الكريمة التي دعت إليها جامعة سيّدة اللويزة، لرفع الستارة عن النصب التذكاريّ لمي زيادة، بمناسبة مرور مئة سنة لأوّل إصداراتها، والذي يعتبر حجر الزاوية في عمارة الأدب النسويّ العربيّ، وإحدى أبرز ركائز الفنّيّ، والتحرّر الفكريّ، في لبنان والبلاد العربيّة.

أضاف: أطلقنا في المجلس البلديّ فكرة إنشاء متحف لمي زيادة، تحتضنه ضيعتها تكريمًا لنبوغها وتقديرًا لعطاءاتها. ونحن الآن في سعي دائم لتحقيق هذه الفكرة التي أردناها على مستوى الوطن! ويسرّنا أن نطلق الدعوة مجدّدًا من منبر هذا الصرح الكبير، لتجميع إرثها وكتاباتها وكلّ متروكاتها حتّى يكون هذا المتحف منارة فكريّة، ومعينًا للنقّاد والأدباء والباحثين.

ولذلك، نرفع الصوت، مطلقين النداء، إلى كلّ مهتمّ وغيور على إرث مي زيادة الأدبيّ والفكريّ، لتلبية هذه الاستغاثة الفكريّة، والإسهام، كلّ من موقعه، في تزويد متحف مي بالكتب والرسائل والوثائق والصور التي تشكّل أساسيّات هذا البناء، الذي به وبفضله، سنطلّ على العالم من جديد.

وباسم بلدته وبلدة ميّ، قال الأستاذ **غاريوس زيادة**:

من القلب يا سادة أحييكم وألف شكر لكم جميعًا على حضوركم مهرجان الوفاء لنتذكّر ونحيّي في هذي العشيّة الخالدين العظام. وها هي الأديبة ميّ، تلك المشرقيّة الخالدة الثائرة والمتمرّدة على العفن وعلى الأعراف تمرّد الإله على تجّار الهيكل، حاضرةٌ هي في الروح أبدًا لا تموت، خالدة هي في التاريخ والمدى، ترسم في أضواء المعرفة دوائر دوائر، هل هي المتصوّفة المتوحّدة تعبد الكلمةَ تعليمَ إلهٍ تجسّد. تنفرد لتتفرّد ثمّ تصبح بحجم أمّة وإشعاعها يتخطّى. ها هي ترتاح اليوم في عليائها وقد تحقّقت وتجسّدت وصيّتها الخالدة:

أعيدوني إلى أرضي السمراء، أعيدوني إلى التربة المعطاء، أعيدوني إلى قمم عانقت السماء، أعيدوني إلى أرض الحبّ والطيب والصفاء، أعيدوني إلى قريتي الشجراء الخضراء.

ألا فاهنأي في عليائك يا «مي» وها نحن نفيء في ظلال ذكراك هذه لنشهد معًا ونحتفل معًا في تحقيق وتجسيد هذه الوصيّة المقدّسة، وعهدنا لك أنّنا مع الغيارى الأوفياء سنبقى على الدوام أمناء للعظام الخالدين الذين بأمثالهم يعتزّ لبناننا ويفخر.

وتحت عنوان «أميرة تستقرّ بيننا»، قال الدكتور **أمين الريحاني**:

منذ الطفولة أخذ يكبر نظري على ملامح وجه مرسوم بالحبر الصينيّ ومعلّق على جدار منزلنا في الفريكة، وكان والدي قد كلّف أحد الفنّانين برسمه. فتاةٌ في مقتبل العمر تغلّف جمالها بنظَرات ثاقبة وببسمة تتأرجح بين غبطة ساكنة وحزن خَفِر. وكأنّها في تلك اللوحة، وعبرها، كانت مي زيادة تقرأ عليّ وعلى إخوتي كلّ صباح من متون كتابها الذي سكبته بإزميل قُدّ من نُسغ الحياة وبحبر استُلّ من نبع الينابيع.

منذ الطفولة كان والدي يردّد على مسامعنا أن في هذا المنزل المجاور أمضت مي زيادة صيفًا للنقاهة من محنة ألمّت بها. وكأن ذلك البيت الحجريّ المتوّج بالقرميد قد أصبح جزءًا لا يتجزّأ من بيتنا لكثرة الحديث عنه وعن النجمة الساطعة التي مرّت به وحلّت فيه لفترة ولو وجيزة.

منذ الطفولة والحديث عن مي زيادة جزء لا يتجزّأ من الحديث عن فيلسوف الفريكة. فنشأتُ وإخوتي وكأن ميًا واحدةٌ من الأسرة، تركت بصماتِها والذكريات، تركت أصداء قلمها والكلمات، فتناثرت حروفها والمفردات بين جدران المنزل، بين أرجاء الحديقة، وبين أغِنّة السنين الخوالي.

فيا أيّتها الملكة القابعة سعيدة في الفريكة كما في شحتول، في بيروت كما في قلب لبنان، ألم يضربْ معَكِ صاحبُ قلب لبنان في كتابه موعدًا بعد ألف عام؟ هذا الموعد، يا مي، لا يزال يتردّد في أرجاء الفريكة مع كلّ الزائرين من كلّ حدب وصوب.

نحن نردّد يا مي، لكنّ الملوكَ وحدهم، ملوكَ الكلمة، يستطيعون أن يضربوا موعدًا فيما بينهم بعد ألف عام.

يا مي،
أعذري جهلنا لأنّنا أهملناكِ طويلاً، فراحت بعض الدول الشقيقة تتبنّاكِ، ونحن عنك غافلون.
أعذري وقاحتنا، لأنّنا تنكّرنا لكِ طويلاً، وها نحن اليوم تائبون.
أعذري طيشنا، لأنّنا ابتعدنا عنك طويلاً، وها نحن إليكِ عائدون.
يا مي،
أزاهير حُلمكِ نمت براعمُها وانتشرت أقمارُها في حدائقنا. كلماتُكِ وإشاراتُكِ تكوكبت في ثنايانا. ظلُماتُكِ والأشعّة أستلّت من أشعّتِكِ قبسًا من نورانيّة بعثت ضياءها في كلّ أرجاء لبنان كما في كلّ أنحاء العالم العربيّ. صحائفكِ بَثّت في طيّاتها ثقافةً ثرية عُرِفتِ بها وتميّزتِ بإشراقاتها حتّى كان بينكِ وبين القارئ ضرب من الجزر والمدّ يوازي ما في الأيّام الحاضرة والمقبلة من جزر ومدّ، ومن تفكّر وتأمّل ومعاناة.

ويا مي،
نحن اليوم في عرس،
نحن في احتفال عارم، في البشر قبل الحجر، لأنّكِ اليوم تقيمين بيننا وإلى الأبد هذه المرّة.
تقيمين في النفوس والقلوب كما في نصبٍ يحمِلُ رأسَ مي، وعينَي مي، وابتسامةَ مي، ويُذَكّرُنا بكلماتِ مي وإشاراتِها، بظُلُماتِ مي وأشعّتِها، كما يُذَكّرنا بصحائف مي، وبكلّ ما تحمِلُه أو توحيه من جزرٍ ومدّ.
ويا مي،
أنتم معشرَ الكبار تضربون موعدًا فيما بينكم بعد ألف عام، أمّا نحن فنهلّل ونحتفل إذا ما تمكنّا من أن نضرب موعدًا مع أمير من أمراء موكبكم الملكيّ ولو مرّة واحدة في عمرنا القصير.

هوذا الموعد قد تحقّق اليوم معكِ يا مي، وها نحن اليوم ننهض لملقاكِ ولاستقبالكِ بيننا أميرةً من أميرات الموكب الملكيّ، تستقرّ على عرشها سعيدةً بيننا وإلى الأبد. أمّا سعادتنا فلأنّنا سنلقي عليك التحيّة صباح مساء، وأنتِ تحمِلين إلينا خميرة التنوير بيد، وبيد أخرى تحمِلين طينة الحداثة.

أيّها الكرام،
نُبَلّغكم اليومَ بكلّ غبطة واعتزاز أنّ نجمةً أميرةً ساطعة حلّت بيننا الآن، أميرةً انضمّت إلى أسرة جامعة سيّدة اللويزة بتاريخ ١٤ نيسان ٢٠١٠، أميرةً كانت تسكن قلوبَنا، فصارتِ اليومَ تسكن القلوبَ والأذهانَ والحَرَمَ الجامعيّ، أميرةً تُدعى مي زيادة.

زهرتان وردتان في حديقة الجامعة
عاصي ومنصور الرحباني

.. وفي ١٣ أيّار، عيد تأسيس الجامعة، احتفت الجامعة بذكرى الأخوين عاصي ومنصور الرحباني برفع نصبٍ لهما بإزميل الفنّان **رودي رحمه**، إزميلِ المحبّة، كما قال الأستاذ **سهيل مطر** في اللقاء الجامع، والذي دعا في مستهلّه إلى الوقوفِ دقيقةَ تصفيق، لا دقيقةَ صمت على جاري العادة.

وأضاف مطر: نحن جيل، ترعرعنا على الأخوين. ما ميّزنا يومًا بينهما، ولا فرّقنا. هما مع فيروز كانوا ثالوثنا الذي نحبّ إلى حدّ السكر. ما عرفتُ أخوين اتّحدا الواحد بالآخر إلى حدّ الحلوليّة كما عاصي ومنصور. كانا نموذجًا للروّاد، للثائرين الكبار، لقيادات الفن والإبداع. حلمنا معهما، أسّسنا لوطن جديد، صرخنا معهما من أجل الحريّة والجمال. قاتلنا معهما، راهقنا، أحببنا، عشقنا، وتزوّجنا، وكبرنا...

اليوم، جامعتنا تكبر بالأخوين رحباني يتصدّران مدخل الجامعة. دعوا طلاّبنا وأطفالنا يتعرّفون إلى هذين العظيمين. بالله عليكم، علّموا أولادكم شعر عاصي ومنصور، ألحان عاصي ومنصور، قيم الكرامة والحريّة والشجاعة والصدق، علّموهم أنّ الوطن ليس ساحة للقتال، وليس صراخًا وعنفًا ودمًا.

علّموهم أنّ الموت في سبيل الوطن جميل، ولكن الأجمل أن نحيا من أجله...

ومعًا، أيها الأصدقاء، يا آل الرحباني، يا كلّ آل الرحباني، معكم، جميعًا، نتابع الطريق، نُكمل المسيرة:

يـا منوصـل علـى المـوت

يــا منوصـل عـالحريّـة

وتحت عنوان «قصّة العائلة الرحبانيّة»، تحدّث الأستاذ المبدع **الياس الرحباني**، فقال:

مشهد عن طريقة عيش سنة ١٩٤٢.

اللبنانيّون يعرفون قصّة العائلة الرحبانيّة التي نذرت حياتها من أجل لبنان وجعلته مميّزًا في هذا الشرق، وأوصلته إلى العام،

هذه العائلة التي أغنت العقل بالرؤى الآتية من تصوّر جديد لسلام النفس ورفع الانسان إلى صفاء الخلق بمساواة الأفراد والغفران من دون شروط..

أصبح وطنُ الرحبانة حلمَ اللبنانيّين...

زاد البهاء بهاءً بلقاء الأخوين رحباني وفيروز، الذي غدا أسطورة وقدرًا لم يسبق له مثيل... وكأنّ الشرّ تضإل أمام هذا الخير الكبير...

سأروي لكم مشهدًا صغيرًا عن طريقة عيشنا في الأربعينات...

في قهوة الينابيع على سفح بلدة ضهور الشوير، كان نور الصباح إلهيًا بصفائه.. والمساء موحشًا رهيبًا يحاول إبقاء لحظات من ضوء النهار.... الغابات الخضراء نهارًا تصبح أحلامًا مخيفة عند فلول خيوط الشمس، وهي تلملم آخر نور الكون بأنانيّة... لا منازل حولنا.. لا سيّارات تعبر... أصوات تتطاير عاوية من الغابات كأنّها آتية من أحلام الأشجار الخائفة... ضوء القمر لا يعني شيئًا.. لأنّ الليل خالٍ من السمّار...

كلّ هذا التناقض الكونيّ وهذه الرهبة والوحشة، حوّلها الفكر الرحبانيّ إلى فرح وأحلام وهدوء في نفس الانسان... إلى شعرٍ وقمرٍ يسهر مع العشّاق ينـزل لعندنا ونطلع لعنده.. إلى موسيقى تحوّلت بدورها إلى وطن يحلم به الناس...

تناثرت العتمة أمام نور الفكر الرحبانيّ...

هذا الفكر، الذي أصبح سفرةً في الحياة نحو اللانهاية.

ثمّ كانت كلمة للرحبانيّ الآخر على جلجلة الفنّ الخلاصيّة، الأستاذ **غدي الرحباني**، الذي قال: يا أحبّاء، بيقول منصور الرحباني بمسرحيّة «الوصيّة»: «العمر أحلى من التمثال». شو حلو هالقول وشو في تمنّي للبقاء الأبديّ.

لكن الحقيقة محزنة. العمر بيخلص. الدني بتخلص. لكن الكبار بيبقو تماثيلن بساحة الآثار. الأخوين رحباني عاصي ومنصور ما كان همّن الخلود. كلّن همّن يحاكوه الناس العم يتعذّبو قدّامن. مش هم ينسولن أساميهن، المهمّ ما ينسولن كلامن. ومتى ما وصلت الكلمة بيهدر صداها بالوديان بتفعل بالانسان فعل الرسالة النبويّة.

اليوم زهّرت وتزيّنت حديقة جامعة سيّدة اللويزة بزهرتين، بوردتين مش متل كلّ الوردات. عبيرن ما رح يخلص ولا يضيع. أوراقن ما بتدبل، وعطرن اللي أثّر بكلّ إنسان من المحيط للحايج رح يضلّ ينشر العطر، ويزيد جمال على جمال الدني ورهافة ما بعدا رهافة لفرح الانسان.

عاصي ومنصور الأخوين وعّو التّمرد بالناس. شعّلو الثورة بالمجتمع وصار الانسان قيمة وللحياة معنى آخر وطعم أحلى وأغلى.

من ضيع الفقر إجو. أغنو لبنان والإنسانيّة بكنوز ما بتعادلها ثروات العالم. وفللو متل فلاّح راجع من سهلو بعد نهار من التعب. سرّبو وصارو صورة ع الحيط.

حتى ولو كنتم بعاد عن بعضكن نص متر، حتى ولو صرتو تمثالين، إنتو تمثال واحد بفكر وقلب وروح وإسم واحد. إسم الأخوين. لا بتفرّقكن لا رياح الحقد ولا الكذب ولا الافتراء، ولا حتّى سنين ضوئيّة ومجرّات بتبعد عن بعضا ملايين السنين. حتّى بالموت رح تبقو سوا.

بأسم العائلة منتوجّه بالشكر لجامعة سيّدة اللويزة، ومنتمنّى بيوم عيدها النجاح والتألّق الدائم لنشر الثقافة والعلم، ومنخصّ بالشكر الأب الرئيس وليد موسى على اللفتة الطيّبة الكريمة، والأديب الأستاذ سهيل مطر على كلّ المجهود والمحبّة، وللفنّان المُلهَم رودي رحمة الصديق الشاعر والنحّات، اللي بينحت بالصخر متل ما بينحت الكلمة حتّى تصير القصيدة عقد على عنق الشعر ولكلّ اللي فكّر بهالاحتفال، ولكلّ الحضور الموجود اللي زاد هاللقاء ألق وحنين، ولكلّ إللي ما إجو الشكر والإمتنان.

بالآخر الشكر الأكبر إلكن يا عاصي ومنصور. يا نجمة سطعت بسمانا المطفيّة. يا سنابل قمح بحقولنا العطشى. إنتو إللي ضوّيتو قمرنا تصار أحلى وشمسنا أدفى. سلالنا فاضت بالغلال وبالزيت خوابينا، ووطنًا رسمتوه طيور وسما زرقا. بينّا وبينكن ارتفعت مسافات ضوئيّة. الشوق بيجسّد الحضور، وعلى إسم اللهو الصارخ منحيّيكن يا عاصي ويا منصور اللي باقيين معنا ترصّعو إيّامنا بالفرح، وبالتحرّر.

عظيمين بأسم واحد جيتوع هالدني ورحتو، وتمثالين بأرض لبنان انزرعتو قدرنا نحمل المشعل، ننشر الرسالة ونكمّل المشوار... كتار... قلال... يكون... شو همّ... منكمّل باللي بقيو.

الجبلُ المغنّي.. نُصبًا؟!

هي الأسماءُ الحُسنى له تعالى. وإنّ منها أسماءَ كثيرةً له هو هذا الجبل المغنّي: وديع الصافي!

الجامعة، جامعتُنا، وفي سبيلِ وسامٍ جليلِ القدْرِ على صدرِها، احتضنت قلوبَ تقديرٍ وتكريمٍ.. قلوبَ محبّةٍ من ورودِ أيّار، واحتفت معهم بـ٧٥ سنةً من عطائه الصافي البديع. وقد كان ذلك مساء الأربعاء الواقع في ٢٦ أيّار ٢٠١٠، حيث، وقبل رفع السّتارة عن نصبٍ نصفيّ لهذا العظيمِ فإزميل النحّات رودي رحمه في باحة أنصابِ العظماءِ في بلادنا، كان فيلمٌ وثائقيٌّ.. وكلماتٌ وأغنياتٌ صَدحت، بها ولها، أكفٌّ وحناجر، وتوّجتها أغنيةٌ جديدةٌ للصّافي الصّوفيّ الهوى والرّوح، والذي لم تفته التحيّةُ التي لا تُفوّت: إليكِ الوردُ يا مريم...

١٩٢١ (أوّل ت٢) وُلد وديع الصافي في قرية نيحا- الشوف، شقيقًا لسبعة إخوة؛ وكان والده بشارة فرنسيس رقيبًا في الدرك.

١٩٣٠ الانتقال إلى بيروت، ودخوله مدرسة دير المخلّص.

١٩٣٨ فوزه بالمرتبة الأولى لحنًا وغناءً وعزفًا، في مباراة للإذاعة اللبنانيّة، فاختير له اسم فنّيّ: وديع الصافي.

١٩٤٠ بدء الانطلاقة الكبيرة مع أسعد السبعلي وأغنية: طَلّ الصباح وتكتك العصفور.

١٩٤٤ لقاؤه بمحمّد عبد الوهاب في مصر، والذي قال فيه: من غير المعقول أن يملك أحد هكذا صوت.

١٩٤٧ في البرازيل، مع فرقة فنيّة، لمدّة ٣ سنوات.

١٩٥٠ أغنيته الشهيرة: عاللوما...

١٩٥٢ تزوّج من ملفينا فرنسيس، إحدى قريباته، ورُزِقا بـ: دنيا، مرلين، فادي، أنطوان، جورج، ميلاد.

١٩٥٩ مهرجانات بعلبك، ونهضة الأغنية اللبنانيّة معه ومع: فيلمون وهبه، الأخوين رحباني، زكي ناصيف، وليد غلميّة، عفيف رضوان، توفيق الباشا، وسامي الصيداوي...

١٩٦٠ مهرجانات جبيل.

١٩٦١ فرقة الأنوار.

١٩٦٣ مهرجان الأرز.

١٩٦٤ أرضنا إلى الأبد في بعلبك.

١٩٦٥ مهرجانات نهر الوفا في نهر الكلب

١٩٦٩ مهرجان مزيارة.

١٩٧٠ مهرجان بيت الدين.

١٩٧٣ بعلبك من جديد. ومع صباح في فيلم سينمائيّ: موّال — نار الشوق.

١٩٧٦ يغادر لبنان إلى مصر، ثمّ بريطانيا، ويستقرّ في باريس.

١٩٨٩ تكريم في المعهد العربيّ، باريس.

١٩٩٠ عمليّة القلب المفتوح.

١٩٩١ جامعة الروح القدس— الكسليك تمنحه دكتوراه فخريّة في الموسيقى.

حاز أوسمة عديدة. ورغم منحه الجنسيّة المصريّة والفرنسيّة والبرازيليّة، فإنّ لبنانيّته صافية أصيلة. ولنا منه آلاف الأغاني زادًا للخلود...

الدكتورة لولا بيروتي، وباسم قسم الموسيقى في كليّة العمارة والتصميم والفنون الجميلة، رحّبت «بالدكتور وديع الصافي في جامعة سيّدة اللويزة، عملاقًا في الموسيقى والألحان، أطرب نفوس الملايين؛ وتأثّر به عشرات الملحّنين والمطربين في لبنان والدول العربيّة وسائر بلاد الاغتراب؛ وأغنى المكتبات الموسيقيّة والإذاعات والتلفزيونات بأجمل الأغاني الوطنيّة والدينيّة والشعبيّة، فصوّر هويّة لبنان بهويّته وهو

مدرسةٌ وحياةٌ ودينٌ أقرّت بموهبته جميع الأمم؛ وأدخل الغناء الريفيّ على الموسيقى المدنيّة، فأغنى الأبحاث في العلوم الموسيقيّة الإتنيّة وفي الموسيقى الفولكلوريّة».

وأذكى الأستاذ **سهيل مطر** النّارَ نارًا بقوله: «نحن جيل ترعرع، راهق، عشق، أحبّ، بكى، رقص... على صوت وديع الصافي. نحن أجيال، لا جيلٌ واحد، عاش على أغنيات وديع الصافي. ولكم أنشدنا معه، للطبيعة، للبنان، للهّ، للعائلة...»

وأضاف: «وديع الصافي كبيرنا، تاج رأسنا، أجمل وجوهنا.

ويا أبو فادي، لأنّك المثال، لأنّك الوطنيّ الكبير، لأنّك المؤمن، لأنّك عملاق الأغنية اللبنانيّة، أنت هنا.

فأهلاً بك... نحن نحبّك. وسنبقى نغنّي:

لبنان يا قطعة سما عالأرض تاني ما إلا»

أمّا رئيس الجامعة الأب **وليد موسى** فرفع صوتَه مجلجلاً: «الكلمات تركع الليلة، وتصلّي: يا الله احفظ لنا وديع الصافي.

كلّ الكلمات تتحوّل، الليلة، إلى إكليل غار يتوّج رأس هذا الرجل، الذي به نرفع الرأس.

كلّ الكلمات، تتبخّر، الليلة، لترتسم وسامًا على صدر هذا الرجل النبيل.

كلّ الكلمات تحاول، الليلة، أن تكون بمستوى هذه الحنجرة الأعجوبيّة؛ ولكن، من أين لها هذا المجد؟!

وديع الصافي، وكفى. لا ألقاب. الفنّان، المطرب، الدكتور، الموسيقار... كلّها صغيرة على قامته.

وديع الصافي، أبونا، أخونا، صديقنا، معلّمنا، رسولنا، وصاحب القلب الكبير الذي لا يخفق إلاّ بالحبّ.

وديع الصافي، اليوم، نتكرّم به. تتكرّم جامعتنا بوجود هذا الرجل، بيننا. وأتكرّم أنا شخصيًا، أنا ابن وادي بنحليه، لأنّني، في انتمائي الدمويّ، أعود إلى هذا الشوف الذي أنبتَ وديع الصافي.

٧٥ سنة في خدمة الفنّ؟ لا، إنّها ٧٥ سنة في خدمة لبنان، في خدمة الانسان، في خدمة الله.

وأضاف الأب موسى: في زمن السخافات و«الطقاطيق» والكلمات الماجنة والأجساد التي تتراقص ولا تغنّي،.. في زمن الهرطقات الفنيّة والعبث الصبيانيّ وتفاهة التعابير، تعالوا نستمع إلى وديع الصافي، يغنّي: الله نوري وخلاصي- إرحمني يا لله- أبانا... أبانا

هذا الغناء الدينيّ لم ينبع من التعصّب، بل من الايمان الحقيقيّ، وقد حاول الجمع بين اللحن السريانيّ واللحن البيزنطيّ والآيات القرآنيّة، وهو القائل: «لا يوجد شيء يفكّك لحمتنا في هذا الشرق، إلاّ التعصّب والتحزّب الطائفيّ».

نعم، أيّها الأصدقاء، قال الأب الرئيس: وديع الصافي غنّى الله، إلى حدّ أنّنا ونحن نستمع إليه، نرتفع معه إلى مستوى الله. وصدّقوني، أنّ في صوته جوقة كنسيّة كاملة. وإنّي عندما أستمع إليه في ترتيلة القدّيس أوغسطينوس: أنتَ، يا من أمرت البحر، أشعر بالأعجوبة تنتقل من صوت يسوع إلى صوته...»

وتحت عنوان وديع الصافي «نياغرا الصوت»، ألقى الدكتور **ميشال جحا** قصيدةً مطلعُها:

قالوا: «اللويزةُ» صَرْحُ العلمِ.. في شَغَفٍ
تُكرِّمُ المبدعَ الشادي بإحساسِ!!
رَبُّ الغناءِ «وديعًا» قلتُ: «غُنْمُ عُلاً
ونِعمَ جامعةٌ تسمو كنِبراسِ»!!

ومنها أيضًا:

«نياغرا» الصوتِ!! كوثَرَ العُذوبةِ!! مَنْ
عَبْرَ العصورِ كَأنتَ شدوُهُ الآسي؟!؟
صفاءُ دمعةِ عذراءٍ بِزفّتِها
وراحُ راهبِ دَيْرٍ ضاعَ بالكاسِ
تُحِسُ بالنورِ من قبرِ المسيحِ.. بِهِ
يومَ القيامةِ، في سَعْدٍ وإيناسِ
وَقَرْعِ أجراسِ أورشَليمَ في فَرَحٍ
وفي أذانٍ وتَجويدٍ وقدّاسِ!!

وقد كان في المناسبة كلمتا شكر من نقابة الفنّانين المحترفين للجامعة، تقدّم بالأولى الفنّان المطرب **جوزف عازار**، وبالثانية السيّدة مرلين الصافي بنت «والدعائلتنا الصغيرة عددًا والكبيرة به قدرًا، أطال الله بعمره وعمركم جميعًا».

ثمّ قدّم الأب موسى درعًا تقديريّة لأبو فادي..

هذا المفردُ بصيغة الجمع والبحرُ والسّهلُ والجبلُ والقدّيسُ الآخَرُ من بلادي- على قول الطالب **وليد بو سرحال** في كلمةٍ له لعلّ عنوانَها الصوتُ الإلهيّ..

ويَصدق!

الجامعة، التربية، ومستقبل المفهوم المُجتمعيّ في عالمنا المعاصر!

ألم يصبح الأمرُ ملحّا لنسألَ الجامعة عن مصيرِ تربيتِنا وعن مستقبلِ مجتمعنا؟

– عبدو قاعي –

ملخّص مجريات النّدوة التّفكّرية *

مقدّمة

لو كان علينا أن نخوضَ دورة تساؤلاتٍ تفكّريّةٍ على مستوى الجامعة، في ما يتعلّق بالتوجّهاتِ الجديدة، لا سيّما على صعيد الخُلُق الذي يجبُ أن تتحلّى بهِ تربيةُ الغد تجاه الأزمات المجتمعيّة، والطاقة، والهويّة، والدّين والبيئة، هذه الأزمات التي بلغت مستوى لم تبلغه قطّ في المجتمعات البشريّة حتى يومنا هذا، فما هي عناصرُ التفكّرِ التي قد نطرحُها للنقاش؟ وكيف يُمكننا معالجةُ هذا النقاش لكي يُصبح حوارًا حقيقيًا بين حضاراتٍ يسعى أفرادُها إلى إعادة إحياءِ ما يسمّى بالحضاراتِ «المتحاورة»؟

في الندوة التي انعقدت يوميّ ٢٨ و ٢٩ نيسان ٢٠١٠ طُرحَ هذا السؤالُ للنقاش بهدف إعادة الحوار إلى الجامعة، أي بهدف تَلمُّس الخطوط التوجيهيّة اللازمة لإرساء المواجهة مجددًا بين أوجه المنطق المتضادة في الإطار الأكاديمي، ليس على قاعدة القوّة الفاعلة التي تُحَرِّك هذه الأوجه إنطلاقًا من منطقيّة الدفاع عن أحقّيته، بل على قاعدة قوّة الوساطة التي ترسم مسار الرابط الإيجابيّ بينهما، وعلى أساس التخطّي لأحَقّيَة أيّ منطقٍ من أجل بلوغِ الحقِّ الإنسانيّ.

عالجت هذه الندوة مسألةً أساسيّةً، ألا وهي إمكانيّة أو عدم إمكانيّةِ إعادةِ إطلاقِ الحوار في التربية إزاء إمكانيّةٍ أو عدم إمكانيّة إعادةِ إطلاقه في المجتمع. وتطرّقت، بشكلٍ خاصّ، إلى البحث في الشروط اللازمة لإنجاح هذا الحوار.

إلى ذلك، بحثت النّدوة في الثمن الذي ستدفعه الإنسانيّة للانتقال من حالة اللاممكن أخلاقيًا على مستوى العلاقات المقطوعة بين العلم والايمان، إلى الممكن خُلقيًا على المسار المفتوح في العلاقة اللامتناهية بين العلم والإيمان في ظلّ الوضع الراهن لواقعنا التربويّ.

لبلوغ هذا الهدف، كانت المحاولة في أخذ المبادرة، فنتمكّن من مواجهة اللا-ممكن المستند على أنظومات أخلاقنا المتباينة والمتضاربة،ولِنعمل بجِدٍّ وبإيمانٍ لتسليطِ الضوء على حقول المعرفة الجديدة في علوم الألسنيّات، والتمعّن الإصغائيّ، والوساطة، والتحليل النفسيّ، والطاقة، والتّضمين الاجتماعيّ، والانثقاف، وعلم الانسان النقديّ، وعلم الوراثة، والتأويل، وغيرها من العلوم، من أجل توسيع أُفق ومجالات ما هو ممكن خُلُقيًا وإيمانيًا وعِلميًا في إطار إنسانويّ مفتوح على اللانهاية.

وعليه، تمّت معالجة هذه المسائل من وجهات نظر مختلفة وبعيدًا عن أطر المراقبة الموضوعيّة، بهدف التمكّن من تحرير مفاهيم المعرفة، والهويّة، والمواطنيّة، والانسانيّة من أَشْراكِ أنظمة المعتقدات الدّينيّة والعلميةِ التي تقيّد الانظمةِ التربويّةِ والتي تؤدّي الى صراعٍ حقيقيّ بين الحضارات.

ولقد سعى المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة إلى معالجة إشكاليّة الحوار والتحوّلات التربويّة الضروريّة لإعادة إرساء هذا الحوار على الساحتين التربويّة والاجتماعيّة، مشدّدًا في كُلِّ مناسبةٍ سانحةٍ على أنّ هدفه هو أن تشكّل هذه الندوة أساسًا لنشاطٍ تفكّري مستمرّ يركّز على التّربية أوّلاً.

وفي الواقع، فإنّ ما يسعى إليهِ هذا المركز، هو أن يتمكّن من الإجابة على السؤال الأساسيّ المطروح حول معنى الانسانيّة، هذا المعنى الذي لا يحقُّ لهُ حقّ إلاّ بعد الولادة الثانية للإنسان، أي الولادة بالرّوح، الولادة بالإنسانيّة، الولادة ببراءة الطّفولة وبالإنفتاح على الثقافة وعلى التربية التي توفّر سبل الوصول إليها.

من هنا، فالمركز يرى اليوم بوضوح أكبر، أنّ هذه التربية تعاني من مشاكل جمّة جعلت مستقبلها أسود حالكًا. وهو يُشير في هذا المجال إلى أنّ هذه المشاكل كانت قد اعتبُرت افتراضًا أنّها قد تكون من المسبّبات الأولى لتراجع الفكر المجتمعيّ في العالم، كما جاء في خلاصة الندوة التفكّريّة الأولى التي نظّمها في نيسان ٢٠٠٩.

وهكذا، وخلال يومين، عمل المركز بجهدٍ، وبمعاونة كلّ من جامعة سيّدة اللويزة وجامعة الروح القدس الكسليك- كُلّية الفلسفة، لإنجاح هذه الندوة التي أدارت أعمالها بتُؤدَة ومِهنيّة السّيدة دارين رشكيدي بلعط.

* بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على ميلاد غاليلي، وفي إطار نشاطات لجنة الإيمان والعلوم في الجامعات الكاثوليكيّة في لبنان.

أولسنا نحن مشاركين في الخَلْق؟

هكذا بدأت النّدوة وبطرح السّؤال عاليًا وبكلّ الصّراحة والتّحدّي كما يقول الأستاذ **سهيل مطر** مدير عام العلاقات العامّة في جامعة سيّدة اللويزة: أيّتها الجامعة، أيتّها المدرسة، ماذا فعلتُما بالإنسان؟ أين وصلتُما به؟ وهل تعترفان بأخطاءٍ... وخطايا؟... أين أصبح الله، أو الروح؟ أين أصبَحَت القيم...!

يُجيب المطران **الياس نصّار** على هذه الأسئلة مُطمئِنًا بأنّ الكنيسة هي كانت وستبقى هذا المطرح الأمين في الأرض، الذي يؤَمّن التّلاقي بين الثقافات ويدعو إلى التّكامل على قاعدة الحقّ والخير العامّ.

ثمّ يسأل الأب الدكتور **وليد موسى**، رئيس جامعة سيّدة اللويزة: هل نحن على الطريق المستقيم في عملنا الجامعيّ؟ هل نحن في نفقٍ مُظلم؟ على ضوء أيّة قناديل يمكننا أن نكتشف الطريق الصحيح؟

ويُضيف: في هذا اللقاء نهدُف إلى إيقاظ الغارقين في السّكر والخدر، لأنّهُ يضعُنا أمام مُنعطف كبير هو: كُلّ شيء قابل للبحث والمراجعة حتى المُسلّمات والثّوابت، شرط أن يكون النّقد بنّاءً ومُركّبًا على أُسس متينة.

ويتطلّع الدكتور **أسعد عيد**، نائب رئيس الجامعة لشؤون الأبحاث والتّطوير، إلى كُلّ ذلك ليشدّد على الدّور الذي لَعبهُ اللُغويّ الكبير نوآم شومسكي في مجالات تحرير الكلمة عن طريق اللُغة، واللُغة عن طريق التّربية، وليؤكّد علىّ أن هذا التّحرير لا يُمكن أن يتمّ إلاّ من خلال إعتاق التّربية من أغلال البنيات القائمة. وركّز عيد في هذا المجال، على أنّ النظريّة التربويّة الناتجة عن هذا التّحرير تجعل من الأستاذ هذا الشّخص المرافق للمتعلّم والدّاعم له ليساعده على اكتشاف قدرته على التّعلم والخلق بذاته في إطار مسار لُغويّ وأدبيّ وفِكريّ يساهم هو نفسه في إنتاجهِ.

التّربية والسّيطرة على العولمة

بناء على هذه الانتفاضة المفهوميّة والرّوحيّة، كان السّؤال الأوّل حول ما إذا كنّا سنتمكّن من أن نسيطر على العولمة من خلال إعادة قراءة المفهوم المجتمعيّ (على المستويات الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والماليّة...) في بُعده المدنيّ الأساسيّ، وفي واقع وَضعيّته الحاليّة في عالمنا المعاصر، في ظلّ الظروف الراهنة للعلاقات الثقافيّة، بين ذاكراتنا المكتوبة (القديمة) والتكنولوجيّة (الحديثة)؟

يقول **د. أنطوان سيف**، أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانيّة، في هذا المجال: أنّ الجهد الكبير المبذول لتمييز التربية عن الثقافويّة لم يُفضِ إلاّ إلى تعميق التداخل بينهما، وصل عند البعض إلى حدّ المماهاة، لا في الغايات والمآل بل حتّى في المناهج والأشكال وتقنيّات عبور الدروب. فالمعلّم بات حُكمًا ما طمح أن يكونَهُ دائمًا: صاحبَ دعوةٍ ورسولاً يواجهُ جمود أدواتِه التي تُعيقه من بلوغ عقول طلابه وأرواحهم، وانفلات الرؤى والأفكار الوافدة من أكثر من مصدر في إطار ما استقرّ على تسميته بالعولمة، غدا البوصلة الوحيدة الموجّهة للسّوق وللتّربية.

وهكذا، بين الإنطلاقِ المحلّي، الذي يسمّى، لمزيدٍ من الترفُّع، بالوطني، أو بنبرة أقل تواضعًا، بالمجتمعيّ، وبين الإنفِلات العولمي، ينكفئُ الوعيُ الباحث عن بوصلتِه في التغيير والتجميلِ واستردادِ اللإنسانيّ في معاقل وضع اليد والهيمنة، فينطوي على ذاته يُنقّب في ذاكرته المُرهقة والمُثقلة والمعوّقة، عمّا يمجّد موروثاتها بهدف بلوغ الكاثارسيس التطهيرية، التي تصل إلى إعادة بناء الذاكرة، أي إلى إعادة ترتيب المتضارب فيها، أي أيضًا القطع مع العناصر الغريبة والمشوّهة بها.

تربية جديدة ندعو إليها لحسن التّعامل مع ثقافاتنا، أم أنّها ثقافة جديدة لتربية لم ترَ النور بعد؟ الأجوبة ستكون في العُمق، هي أسئلة جديدة وهي أكثر تأزّمًا ومحرّضةً دومًا على مواجهة الإستكانة المستحكمة فينا.

إنطلاقًا من هذا الدفع التّفكريّ المقدّم من قبل الدكتور أنطوان سيف، طُرحت المسألة الجوهريّة الأُمّ، والتي تعنينا في عمق تفكُّرنا التّربويّ، ألا وهي تلك التي تدور حول تَبِعات العولمة، ثمّ التطرُّق إلى تأثير هذه التّبعات على الإنسان والحياة.

وفي محاولة للبحث عن دور الجامعة في ملاحظة وتحليل وفهم المكان المعولم (glocal) ، ما كان من الأستاذ **أوليفيي مونجين** مدير مجلّة «إسبري» الفرنسيّة، باريس، إلاّ أن طرح عدّة تساؤلات، ساعدته على توضيح معالم الرّؤى التي نبحث عنها، كالآتي:

أوّلاً: كيف يمكننا أن نفهم العولمة المعاصرة من دون أن نحوّلها إلى ظاهرة مَحض اقتصاديّة؟

ثانيًا: كيف نقيّم تبعات أزمة أيلول ٢٠٠٨؟

ثالثًا: هل أدّت هذه التّبعات إلى الإصلاحات المرجوّة؟

بعد التطرّق إلى الاتجاهات المتشعّبة التي نتجت عن «تيّارات العولمة المعاصرة» على مختلف الأصعدة الاقتصاديّة، والماليّة، والتكنولوجيّة، والسياسيّة، والثقافيّة، والدينيّة، والحضرية، وتلك المرتبطة بالهجرة...، حاول الأُستاذ مونجين أن يُفَسِّر معنى كلمة(glocal) «غلوكال»، أو العالميّ/ المحلّي، بفكرة «العولمة من الأسفل». في الحقيقة، يُنبهُنا أوليفيي مونجين في ذلك أنّهُ: لا يكفي أن نتصوّر تنظيمات مؤسّساتيّة «من الأعلى»، بل يجب أن نُدرج مشاريع إنسانيّة في أُطر ثقافيّة تتميّز بفرادتها. وكما جاء في قول أحد أعمدة الأنتروبولوجيا الحديثة كلود ليفي ستروس «إنّ احترام المزايا الكونيّة مرتكز على احترام نقاط التباين».

إنطلاقًا من هذه التوضيحات الأخيرة، كان لي أنا تساؤلان أساسيّان:

• التساؤل الأوّل يدور حول تحسيس السّلطة، وبخاصّة في الجامعات الكاثوليكيّة، والمسيحيّة والدّينية بشكلٍ عامّ، بمُتَطلّبات الآذنِ بها، والذي كلّه حبٌ وشهامة ومروءة ونزاهة وعدالة. فإذ بالأب الدكتور **روجيه شكري**، المدير الإداريّ في الجامعة، يُناشد الحضور قائلاً: المشكلة الأساس التي لاحقت التربية، كفعل هداية وتنشئة، هي، في الجِهة التي تَمتلك مصادرَها ومقاصدَها من جهة، وفي الجهة التي تُولي بها وتتولاّها وتُديرها وتنقلُها إلى الآخرين من جهة أخرى. فالتربيةُ، كما أتى في النص الإشكاليّ الذي وُضع لهذه الندوة، هي هذه المساحة لتحرير التنشئة من السلطة القمعيّة المفروضة، والتي أدّت بالإنسان إلى مزيد من الإرتهانات والصّدامات والخلافات الإجتماعيّة والروحيّة. إنّ السّؤال المطروح في هذه النّدوة، يدور حول الدِّرايات والوساطات التي يجب القيام بها في مجالات السُلطة التربويّة، من حيث المأذونيّات الروحيّة والمدنيّة والتنظيميّة والإداريّة لتفادي الإشكالات السّلطويّة والإداريّة القائمة حاليّا في مدارسنا وجامعاتنا، فما العمل من أجل تطوير هذه المأذونيّات الخلاّقة في الإدارة التّربوية، توصُلاً إلى إعادة إطلاق الرّوح القياديّة المتعدّدة الأبعاد لدى طُلاّبنا وفاقًا لميولِهم وقُدراتهم ومؤهّلاتهم؟!

• أمّا التّساؤل الثاني فيتمحوَر حول الأبحاث العمقيّة التي تنقُصنا، والتي تقتضي القبول بالقيام بقدرٍ كبيرٍ من التّحليل الذّاتي والتأمّل على المستويين الفرديّ والجماعيّ، من أجل تحرير الحوار من مضيقاته القائمة، فكانت الأجوبة على هذا التسّاؤل تحت العنوان الآتي، كما يلي:

تفعيل الشّروط الاجتماعيّة للحوار

بالاستناد إلى هذه التّأملات العميقة، طالبَ الأب **مروان تابت**، أمين عام المدارس الكاثوليكيّة في لبنان، بتفعيل الشّروط المجتمعيّة للحوار في المجتمع وفي الجامعة، فأكّد في ذلك على أن الجامعة تشكّل جسر العبور بين المدرسة والحياة الإجتماعيّة، كما أَصَرّ على أن هذه الجامعة هي أيضًا مساحة التعبير التي تتواجه فيها أشكال المنطق المضادة كافة في إطار مؤسساتي وهي التي تتكوّن فيها أسُس الشخصيّة الإنسانيّة.

وأشارَ الأب تابت أخيرًا، إلى أنهُ، في الجامعة تُنسج في الواقع العلاقات بين الثقافة والحقيقة والمجتمع. وعليه، فإن الإشكاليّة التي تُطرح، برأيهِ في هذا المجال، هي تلك التي تتمحور حول دور المدرسة فيما يتعلّق بالتحضير لهذا الدور وتطبيقهِ. ويُمكن صياغة السّؤال النّاتج عن هذا الطّرح كالآتي:

ما هي الثوابت والمتغيّرات التي تُحدّد أُطر التفّاعل بين الجامعة وبين الشروط المجتمعية لأزمنة الحوار؟

هذه الإشكاليّة المطروحة شغلَت بال المفكّر الفرنسي الكبير الأستاذ **جان- لويس شليغيل** المدير السابق لدار نشر «سوي» الفرنسية، فرنسا وعضو المجلّة العلمية "أرشيف العلوم الاجتماعيّة" فأشار إلى: أنّهُ لمن الثوابت الجامعيّة عندما نثير موضوع الجامعة، أنّهُ لا يمكننا أن نُغفِلَ موضوع اللّغات والثقافة العامة. لكن كيف يمكن ألا نُدخل اللغات والثقافة العامة في إطار المواد «التقنيّة» وضروريات المعرفة التقنيّة لكي تلعب دورها في تكوين «الإنسان المستقيم» الذي نسعى باستمرار إلى تحقيقه في ظروفنا الحالية؟

إنّ هذا السُؤال كان أكثرَ من سؤالٍ صائبٍ. هو كان سؤالاً صائبًا ومُلحًا، إذ حدا بالسّيدة **ندى سعد صابر**، مساعدة مدير العلاقات العامة، في جامعة سيدة اللويزة، لبنان، بالقول: إن تربية الغد هي أوّلاً دعوّة للتّوقفِ عن متابعة المسارات التربويّة القمعيّة والتّلاعبيّة، وهي صرخة من الأعماق للاعتراف بأنّ هذه المسارات هي أخطاءٌ من الماضي، لن تتكرّر، من أجلِ فهم تحديّات المستقبل.

وأضافَت السّيدة ندى: في عصرٍ أطلقت أمّنا الطبيعة نداء غضب ضدّ جشع الانسان اللامحدود، وفي عصرٍ بلغ عددُ الجرائم وطبيعتها حدودًا و أشكالاً مروّعة، وفي هذا العصر بالذات، حيث يتعذّرُ علينا فَهمُ الشباب ودخولُ عالَمِهم الخاص، نتوقّفُ برهةً لنعترفَ بالخطأ الذي ارتكبناه على المستوى التّربوي، محاولين إيجاد الحلول، لا سيّما في ظلّ تدهور وضع الوجود الانساني.

فلنتوقّف ولنقرأ الماضي، ولنتأمّل، ولنعترف بأخطائنا، ومن ثَمّ نُكمل الطّريق

إنطلاقًا من هذا العنوان العريض الذي أطلقتهُ السيّدة ندى سعد صابر، كانت لنا جولةُ حوار مع كُلٍّ من الأب الدكتور **بول روحانا**، عميد كُليّة اللاهوت في جامعة الروح القدس الكسليك، والأبِ الدكتور **بول خوري**، وهو الباحثُ المشغفُ في حقل المعنى، والدكتور وجيه قانصو أستاذ الهندسة والفيلسوف المتخصّص في القراءة التأويليّة، أي في مجالاتِ تأويل الكتبِ الدينيّة انطلاقًا من الروابط التي تُقرّبُها من مضمونها، وذلك بهدف التوفيق بين الدين ومنطق الحوار.

وكان السّؤالُ الأساس، العامُ والمحرجُ في آنٍ، في هذه الجولة، حول إمكانيّة أن نطبّق هذا التأويل إنطلاقًا من الجامعة، مع التّركيز على اختباراتٍ تدخل ضمن «الأخلاق والدين»، و تتناوَلَ، بشكل وجوديّ وحسّي، تركيبةَ الجامعة الأكاديميّة والبشريّة لِجهة الإعدادِ المهنيّ، وما بعد المهنيّ، كما والإعداد البشريّ والروحيّ العامّ من جِهة، والأطر الاجتماعيّة، والثقافيّة، والنفسيّة، والروحيّة الخاصّة بالطلاّب من جهةٍ أُخرى. (الأب روحانا).

وكان أن تفرّعت عن هذا السّؤال أسئلة كثيرة تندرج في قسمين بحسب الأب روحانا:

القسم الأوّل: ما هو قدر التفاعل بين المستويات التي ذكرنا سابقًا؟ هل نحن أمام مجالات جامعيّة منعزلة ومنغلقة على التقنيّات المهنيّة؟

القسم الثّاني: ما هي الحصّة المخصّصة، في الشكل والمضمون، لاعداد الانسان والمواطن؟ كيف تساهم جامعاتنا في نزع الصفة الطائفيّة عن الدين وإرساء ثقافة مبنيّة على العلاقة من خلال الإيمان؟ (روحانا)

من ناحية أخرى يقولُ الأب **بول خوري**: أنّهُ ينبغي إرساء منطق الحوار التأويليّ ابتداءً من الجامعة، وأُضيف بل من الصفوف الابتدائيّة، على غرار ما بدأنا تحقيقه مثل «الفلسفة للأولاد» إلى جانب ما يكتب تحت عنوان «الفلسفة لعديمي القيمة». وإذا لم يحصل المطلوب بعد بهذا الشكل أو ذاك، أعتقد أنّه من الملحّ إنشاء- بانتظار إدراج موضوع «منطق الحوار» منذ الصفّ الأوّل متوسّط- ما يشابه مركز «الانسانيّات» في الجامعة من أجل التطرّق إلى مواضيع الأديان والثقافات، والذي يهدف إلى الإعداد لنشر روح الحوار في وقت لاحق في المدرسة وخارجها. ونأمل أن يأتيَ اليوم الذي نرى فيه القادة الروحيّين والسياسيّين يعتمدون منطق الحوار لخيرِ شعبهم... وشعوب الأرض.

ويُضيف د. وجيه قانصو على ما سبقَ مُتسائلاً: كيف نحرّر قارئ النصّ الدينيّ من إكراهات المعنى وإلزامات المداولة المعتمدة في تلقّي النّصّ الدينيّ، وكيف نحرّر النّصّ الدينيّ أيضًا من دلالات مقرّرة مسبقًا تفرض عليه ما يجب قوله وتحجُبُ عنه ما يمكن أن يقوله؟ ويُجيب: هذان التحرران، يكفلان للقارئ أن يعيش عصره ويتلبّس هواجس ذلك العصر وقلقه وهمومه ومخاطره وآفاقه، ويكفل له فاعليّة حضور ذاتيّة أثناء حدث القراءة والفهم؛ ويتيحان له في الوقت نفسه الدخول إلى النص والسكن في داخله والتحرّك في أرجائه بحريّة من دون إملاءات مسبقة، ليتمّ بناء شروط جديدة للحوار والاتصال والتلقّي بين القارئ والنصّ، تتحدّى النصّ والقارئ معًا

وتستثيرهما في ابتكار أنساق دلاليّة قادرة على تدشين فضاءات معنى خصبة وتقديم أجوبة جديدة غير مسبوقة.

وتابع: لا يعود القارئ بذلك مُرغمًا على تلبُّس دور «المفسِّر النوعيّ»، الذي لا يعبأ بمتغيّرات الأزمنة والأمكنة والتحوُّلات الثقافيّة، ويتقيّد دائمًا بشروط جامدة للوصول إلى معانٍ ثابتةٍ و«موضوعيّةٍ»، وهو السلوك الذي حوّل فهم النص وتفسيره إلى فعل استحضار لأفق السلف وتقمُّصٍ مصطَنعٍ لقرائحهم اللغويّة وأمزجتِهم الثقافيّة. الأمر الذي ألقى القارئ داخل وضعيّة حرجة ومستحيلة، وهي الخروج من زمانه والدخول في زمان آخر، لينحصر جهده باستدعاء ما يقوله النّص في زمن صدوره الأوّل مع الإيهام الملفّق والضاغط بأنّه مطابق لما هو موجّه إلينا ويخاطب زماننا، حاجبًا بذلك ما يمكن أن يقوله النصّ لزماننا، لأنّه ببساطة عطّل حيويّة التلقّي وفاعليّتها بين النصّ والقارئ، وقطع قناة الاتصال والحوار بين أفق الحاضر المتمثّل بالقارئ وأفق النصّ القادم من الزمن البعيد.

على هذا، ما كان من الأب الدكتور **بولس وهبه**، وهو الأُستاذ المحاضر في قسم العلوم الاجتماعيّة، كليّة الانسانيّات، في جامعة سيّدة اللويزة، إلاّ أن يُشدِّد على كون التأويل هو حلقة وسيطة في الحوار بين التّربية والمجتمع، هذا الحوار الذي هو في عمق إشكاليّة النّدوة التي تتناول البُعدين التربويّ والمجتمعيّ، ليس كبعدين متوازيين، بل كمسارين داخل مشروع واحد في تكامل يُفترض أن يكوّن جدليّة تهدف إلى بنيان الكلّ في تفاعليّةٍ تصاعديّة. وهل من الممكن الحديث عن التربية بشكلٍ أكاديميّ، أو، كما تجري العادة على تسميته في كثير من الأوساط، بشكل «احترافيّ»؟ وهل التربية عمليّة منوطة بأخصائيين، أم هي، نتيجة وسبب في آنٍ معًا للحالة التي نسمّيها المجتمع؟ أوليس هي، بمعناها الأشمل والأوسع، نهج حياة أو نهج تعاطٍ، أو كلٌ يدخل في الكلّ؟

الجامعة لمن ولماذا؟ وحدها الفلسفة يُمكنها أن تمنح الجامعة المساحة الصّالحة للإنعتاق وللإلتزام في آن

إنّهُ اليوم الثاني من النّدوة. في هذا اليوم، تمّ الإنتقال إلى جامعة الرّوح القدس في الكسليك حيثُ أكّدت الدكتورة **هُدى نعمة**، عميدة كُليّة الفلسفة والعلوم الإنسانيّة على وجوبِ بناءِ مساراتٍ جديدة في الجامعة تربُط بين العقل و الإيمان، كما وبين العلم والأخلاق، وبينهما وبين الخُلُق الإنسانيّ.

فكان من الدكتور **أنطوان قُربان**، وهو الطبيب والفيلسوف، والأستاذ في الطبِّ وفلسفةِ العلوم في لبنان وباريس، أن أيّد هذا التأكيد وناصرهُ في مُرافعةٍ عن موقف غاليلي الذي تميّز بالعلميّة المُنفتِحة على الرّوح الإيجابيّة، تحت عنوان: بين غاليلي والمفتّش الكبير. فيقول الدكتور قربان: أن غاليلي لم يكن لديه الدليل العلميّ القاطع حول حقيقة إكتشافاته، لكن كان لديه الحسّ الرّوحيّ والدفع الإيمانيّ السّابقان لهذا الدليل؛ فما العمل من أجل تحقيق هذا الوعي اللامتناهي المحرّك للعلم؟

وعن هذا السؤال أجاب الأب الدكتور **سليم دكّاش** بقوله: إنّ الجامعة، هي هذا الرّكن الحيّ الذي لا يتعرّف على مِقياسه الحقّ إلاّ في الشخص الذي يُصبحهُ الطالب (كولفن باخ)، بمعنى الروح النّقديّة، والقدرة على البحث، وتحمُّل المسؤوليّة، والقياديّة والتضامن بين الناس، وسهولة التعلّم المستمر، والتمتُّع بالرّوح الكونيّة. فالجامعة، هي بالتالي، هذا المكان لتحقيق الوعي اللامتناهي المُحرّك للعِلم على المستويين الفرديّ والجماعيّ. ويُضيف الأب دكّاش أنّهُ على الجامعة أن تُدخل على كُلّ تخصُّص زيارة نقديّة تجتمعُ من ضمنها إنفتاحات الفِكر وآداب وفنون الفلسفة، وأُصول العلوم، والخُلُق، والعُلوم الإنسانيّة، والمفاهيم الإيمانيّة، والتاريخ، وعلوم الإجتماع والنّفس، من أجلِ مَنح الطالب إمكانيّة الإنفتاح على الثقافة الإنسانيّة كلّها.

أمام هذا الإستنتاج المُفرح، ما كان من طالبة الدكتوراه في حقول الفلسفة، والتي هي في الوقت عينه تَشغل منصب نائب الرئيس للشؤون الثقافيّة في الجامعة الأنطونيّة، ومن هذا المنصِب تبحثُ بُشغَفٍ وصمتٍ عن معاني الثقافة في مساحات أزمنة المعنى اللامتناهية، معنى الحياة، ومعنى المعنى، السّيدة **باسكال لحوّد**، إلاّ أن تدخل على هذا المعنى في التّكوّن الدائم للفلسفة، لتُلصِقَ هذا التكوُّن بالجامعة، جاعلةً منه تمرينًا روحيًا ، وفي الوقت عينه مدخلاً للتّفكُّر، مدعوًا لإغناء كلّ حقول الفكر والعلم، من أجل إعادة صياغة هذه الحقول في إطار تعليميّ يُعيد لها مكانتها الكونيّة و الزمنيّة الحقيقيّة.

فالفلسفة، من هذا المنظور، بحسب السيّدة لحود: تفتح آفاقًا واسعة للإنقشاعات الروحيّة داخل الإلتزام الإنسانيّ، فهي تسمح بإبقاء قدم للإنسان في الأزليّة. لكنّ إدراك إنسان ما بعد الثورة المعلوماتيّة للزمان راحَ يتّسم بكسوف فكرة التقدّم، وبالتالي بعدم القدرة على الخلق و على التّميز في المستقبل من جهة، وبِعدم العزم على إعادة قراءة بُنية ذاكرة الإنتماء في تدويناتها الزّمنيّة الطويلة المدى بحسب قول عبدو قاعي، للتّمكّن من الإنتماء إلى الماضي كتراث يحتاج أن يُستكمل من جهة ثانية. من هُنا بِتنا نرى الفرد مقفوصًا في الآن يحمِّله كمّا مبالغًا فيه من الإنتظارات، ومقيمًا باستمرار في منطق الطوارئ. وقد أُضيفَ هذا التحوّل إلى تسارع إيقاع الزمان الإجتماعيّ، وحركيّة صيرورة الشباب كقيمة محوريّة صَبّت في ما راح يشدُّهم باتّجاه السّرعة، والتّلقائيّة، والإندفاع، والإنفعاليّة... بحيث غدا اليوم أنّ كُلّ تمهُّلٍ، وكلّ إستئذانٍ لتمديد مسافة اللحظة، هو خروجٌ من المنافسة، ونوعٌ من الإنحلال فالموت.

وينعكس ذلك على الحياة السياسية التي أصبحت سلسلةً متواصلة من الحالات الطارئة يجيب عليها المجتمع بمنطق «الإجماع الإنفعاليّ»، حيث يُختزلُ الواقعُ باحتمالين متناقضين، ويُصبِحُ أيّ تأجيلٍ أو استمهالٍ للموقف خطيئةً.

إنّ «ديكتاتوريّة الآنيّ» وتعميمَ منطقِ الطوارئ يؤثّران في الجامعة من حيث قيمُها ومهامُّها ومستقبلُها، وبناءً عليه، يُمكن القول إنّهُ فيما الجامعة هي مؤسّسة نقل أو انتقال معرفيّ، فهي لا يمكنها أن تستمرّ خارج زمانيةٍ ممتدّةٍ ينبني فيها حاضرُ البحث على ماضيه، وينشدُّ إلى مستقبلِه، كما لا يمكنها أن تقوم بدورها المعُقْلِن والنقديّ، إذا ما انتصر فيها إيقاعُ الطوارئ والمنافسة.

في هذا السياق، تركُن السّيدة لحّود إلى الفلسفة من حيث هي: تمرين ذهنيّ وروحيّ على مقاومة التلقائيّة، عبرَ تدريب الإرادة والفكرعلى انتهاج الطريق الطويل. هي تدريب على عبور هذه المسافة الطويلة من الذّات، من العالم ومن الآخرين، مُكابِدة للصّبر الإيجابيّ، في مواجهة منطق الإستسلام من جهة، ومنطق الإندفاع الأعمى من جهة ثانية.

من هُنا، كانت أهميّة التشديد على ممارسة الفلسفة في الجامعة، كمنهجية تفكُّريّة وكإطارِ نقاش مُنفتح نحو الزمان اللامتناهي ، ومرتكز على مقاربة عقلانيّةٍ نقديّة.

بعد هذه الطلّة من السّيدة بسكال لحّود، كان للأب **بشارة خوري** طلّةٌ موازية، أكّد فيها على ما جاء في الكلمات السابقة، مُضيفًا عليها أنّهُ: على الفلسفة أن تُبنى في الجامعة كمساحةٍ عامّة يَعملُ الإنسان في أرجائها على إعادة إحتلالِ ذاته كحقلٍ للمعنى، فيكتشفَ عندئذٍ أنّ التربيةَ التي قُمنا بها في الماضي قد عقّدت ما كان بسيطًا في الأصل. فإذا ما كانت التربية قد غدت مُعقّدةً لهذه الغاية، فذلك لكوننا قد كنّا فلاسفةً سيّئين ومن دون أن ندري. كُلّ هذا جعل أنظمَتنا المُعقديّة غيرَ بسيطةٍ، إذ أُعيدَ ربطُها بزمنيّات التاريخ الدّامي الذي فرّقنا، ما أدّى بهذه الأنظمةِ إلى العملِ على تعزيزِ المواجهاتِ فيما بيننا عبر فرض أنظمةٍ تَربويّةٍ لنقل العلامات والإشارات التي تشهد لهذه المواجهاتِ في الذاكرة. فنحنُ بحاجة إلى فكرٍ فلسفيّ يعيدُنا إلى العقلِ والروحِ وإلى الفنّ والعِلم معًا، لنستعيد صُدقَ إيمانِنا، وصفاءَ أديانِنا إنطلاقًا من جامعاتِنا.

بعد العودة إلى تمزيقِ أرضِ المدينةِ وفقًا لذاكراتِ تاريخ صدماتِ دماءِ المقيمين فيها، هل من أملٍ في إعادةِ إحلالِ الفراغِ العامّ اليوم؟ سؤالٌ كبيرٌ يبقى مطروحًا ومُشرّعَ الأبواب.

أمام هذا السؤال الكبير والموجع قال الأستاذ الجامعيّ جاك بوشارد من باريس ١٢، بأنّه أصبح ضروريًا اليوم تخطّي الثنائيّة القائمة على الصديق/ العدوّ التي بنيت عليها السياسة. علينا أن نسأل من جديد الدين، وكلّ الأديان، كما يُلحّ عبدو قاعي، حول أصول الحرب التي يحملها الدّين أو تحملها الأديان في أصولها حينما تُريد أن تتمسّك بالسّلطة.

هناك مكان في الدين الأساس(RELIGARE) للواحد كنظام للمتعدّد، بحسب عبدو قاعي. هذا المكان لا يمكن إلاّ أن يكون فارغًا، وعلى التربية أن تملأه بإرادة ورغبة الجميع، أي الواحد الذي هو نظام المتعدّد؛ وإلاّ، فلن يبقى للمبادئ الإلهيّة العليا إلاّ تشريع الإنفصالات بين البشر، وتأكيد صَوابيّة المواجهات في ما بينهم، فتُصبح بذلك القبوليّة الإنسانيّة في خبر كان.

على هذا يُضيف الدكتور **ميكايل فوسيل**، الأستاذ المحاضر في جامعة بورغونيي- فرنسا، والعضو في مجلّة إسبري، بأنّهُ: في هذا الفراغ الذي يكوّن الساحة العامّة، على الجامعة أن تبني قواعد التربية على فلسفة ما هو سياسيّ، والذي هو في الآن ما هو إقتصادي (Ecos-Nomos) ، كونهُ ليس من الممكن التفرقة بين الغاية الإنسانيّة والوسائل التي يجب اعتمادُها لبلوغها، والتي هي أيضًا يجب أن تبقى إنسانيّة.

وإذ بالدكتورة **أمل ديبو**، على إثر هذه الدعوة الى بناء الإنسان السياسيّ ببعده الاقتصاديّ في إطار فلسفيّ إنسانويّ شامل، تدخل على خطّ الجامعة وإعادة بناء المدينة هذا، بصفة كونها تعمل اليوم كأستاذة في عِلم الحضارات في الجامعة الأميركيّة- بيروت، وعملت في السّابق في الأمم المتحدة من أجل النهضة الإنسانيّة كما ونهضة كلٍّ من المرأةِ والولدِ بشكلٍ خاصّ، لتُدقّ ناقوسَ الخطر حول مآل السياسات الاجتماعيّة في لبنان والعالم معلنةً: جِئتُ إليكم اليوم لأقول أنّي شهِدتُ بأُمّ العين التراجعات التي حصلت في بُنيات كُلّ السياسات المدنيّة، وأشهدُ أمامكم اليوم، وبدون حرج، بأنّ السياسات الاجتماعيّة قد فقدَت الحسّ السياسيّ في الزمن الحاليّ، لتذوبَ في حركةِ دورانِ الرأسمالِ الماليّ، الذي اختطفها إلى الصناديق المظلمةِ، السّوداء التّابعة للذّاكرة التكنولوجيّة المملوكة من أقوياءِ العالم.

كلّ هذا أدّى، برأيها، إلى تمزيق شعوب الأرض بحسبِ ذاكرة هويّاتهم، ووضعهم في نزاعٍ على أرض مدِنهم، الجماعة في مواجهة الأخرى؛ وأفضلُ مثالٍ على ذلك، هو كتاب جاك بوشارد الذي أُرفِقَ بأعمال هذه الندوة، إذ إنهُ يتكلّمُ عن النزاعات الداخلية في الذات اللبنانيّةِ التي أدّت إلى التمزُّقاتِ على أرضِ لبنان بين الهويّاتِ، وذلك تحت عنوان: Mon Malheur arabe

هل يُمكن أن نعِيَ معنى الثقافة المدنيّة من دون أن نُصَفّي ذاكراتنا من دمِ الثقافويّة الطائفيّة التي فرّقتنا بعضُنا عن بعض في عُمقِ قلوبنا؟

إنّها السّاعة الثانية عشرة والنّصف ظهرًا من هذا النهار التّفكُّري الطّويل. الرؤوس راحت تدغدغها انتظارات قوابل الطعام، لكنّ السّؤال المطروح عليها في الحين عينه يدعوها إلى مزيدٍ من الجوع والعطش المُغايرين لِمقاصِدِها؛ وهي دعوة إلى جوعٍ وعطش من نوعٍ آخر. هو الجوع والعطش الفكريّان والمشفوعان بألم الضعف والعجز الإنسانيّين تجاه مرارة الواقع المُتمزّق والهارب أمام أعين العاملين على إصلاحه. وقد تمكّنت الدكتورة **ميرنا عبّود مزّوق**، وهي الأستاذة الجامعيّة في العلوم الإجتماعيّة في جامعة الرّوح القدس الكسليك، وفي الدراسات العليا في المدرسة اللبنانيّة للتعليم الإجتماعيّ- جامعة

القدّيس يوسف، من إعادة الديناميّة إلى هذه الرؤوس، بعد أن أطلعتنا على الخبرات الناجحة التي قامت بها في جامعة الكسليك مع طُلاّبها حول موضوع الخُلقيّة والدين. وقد شاركتُها أمَلها في مزيد من الرّجاء، في حال كان بمقدورنا في السنوات المقبلة أن نقوم بالعمل الجبّار، الفكريّ والرّوحيّ والعِلميّ، المطلوب منّا إنطلاقًا من الجامعات، من أجل إعادة بناء هيكليّة لغاتنا على قُدراتنا الخَلقيّة والخُلُقيّة، مُستندين في ذلك على تصميمنا على إعادة تحليل وقائعنا الاجتماعيّة والنفسيّة، وبخاصّة في ما يعود لحالاتنا الدينية والسياسيّة والاقتصاديّة والماليّة المعولمة والمشرزمة في آن.

وقد يكون علينا أن نصف حالاتنا الثقافيّة المتواجهة بالحالات الثقافويّة. لكنّ المشكلة الواقعة هنا هي أنّنا موجودون أمام واقع ليس لهُ كلمةٌ خاصّة تصفه، وفي كُلّ لُغات العالم؛ فالثقافويّةُ هي في الواقع كلمةٌ غير موجودةٍ، وأعني بها هنا: هذه الحالة الثقافيّة التي غالبًا ما تكون ناتجةً في الأصلِ عن معركةٍ دمويّةٍ فرّقت بين جماعاتٍ الانتماءات الدينيّة والعرقيّة المطبوعة في الذاكرة حيثُ يندمج الدين كعلاقة بين السّماء والأرض مع التّاريخ الزّمنيّ، كتدوين للأُصول الدمويّة للنّزاعات التي ولّدت التّقاليد والعادات ومقاليد السّلطة.

وقد يكون علينا أن نصف حالتنا الجانحة إلى المزيد من اللامساواة الثّقافيّة والاقتصاديّة، بحالة التّصادم بين الثقافات. وقد يكون علينا بشكلٍ خاصّ أن نُشير إلى أنّ هذه الحالة هي ناتجة عن فشل عمليّة التثاقف التي ارتكزت عليها التربية.

وقد يكون علينا أخيرًا أن نشدّد على كون التثاقف يتمُّ من خلال عمليّات الإتصال التي تحصل بين الناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، وعلى أن الاتصال الثقافيّ بين الناس لا يُمكن أن يكون إتصالاً مُجرّدًا في الأصل، كونهُ يحمل في طيّاته ذاكرات الأطراف التي تقوم به وقدراتهم على قراءة هذه الذاكرات في أعماقها الرّوحية وفي خطوط مجرياتها التّاريخيّة.

على هذا الأساس، يُفترض بنا أن نُعيد اعتبار ما رميناهُ في سلّة المهملات من المفاهيم الثقافيّة الإنسانيّة، وأعني بذلك مفهوم الإنثقاف، وهو هذا المفهوم الذي يدعو إلى أن يَقبَلَ حاملُ الثقافة القويّة بأن يُصغيَ أكثر إلى حاملِ الثقافةِ الضعيفة. فحاملُ الثقافةِ الضعيفة هو الوحيدُ الذي يجب أن تُعطى لهُ فرصةٌ أكبر لكي يَقوى في ثقافته، كما يجب أن نتحاور معه انطلاقًا من هذه الثقافة، لكي نُعيد بذلك للأرض خيراتِها ولِكلّ إنسانٍ اعتبارَهُ.

من هنا نُطلقُ مبدأ الحوار الذي هو القاعدة الأساس للوساطة بين البشر. هذه القاعدة لها مُرتكزان أساسيّان، هما:

• **أوّلاً:** اليقين البحثيّ الذي ليس إلاّ يقينًا بالشّك العلميّ، وتمسُّكًا بهذا الشّك العلميّ الذي يفتح العلم على ذاته، إلى اللانهاية. هذا اليقين البحثيّ ليس إذًا إلاّ يقين اللايقين في مجالات المادّة والحياة على الأرض.

• **ثانيًا:** يقين الحبّ الذي يفتح الإنسان على ذاته وعلى العلم، إلى اللانهاية، أي الإيمان بالحياة رغم الموت؛ ومن هنا أهميّة التربية والمدنيّة والدين كعلاقة بين السماء والأرض، أي بين المادّة والروح، بين الحركة الغاشِمة والحبّ المولّد للمعنى.

على هذا الإيقاع، ناشد الدكتور **ملحم خلف** الحضورَ، وبواسطِتهم أممَ الأرض وشعوبَها، أن يوقفوا زمنَ الإنحطاطِ هذا الذي يجرفنا جميعًا إلى مهاوِر الظلمات، حيث التواصل بيننا أصبح مزيدًا من السّيطرة بعضنا على بعض والإخضاع والتّرهيب. فالحقيقة أصبحت بالتالي نوعًا من المنافسة على السّلطة المطلقة التي تُمنح جوازاتها من خلال مساحات التربية، حيث فقدت من ضمنها مناخات النقد والتّفكّر، ولم يبقَ فيها إلاّ أبواق تُردّد الأفكار المبتذلة، وتقمع، في الوقت عينه، كُلّ المحاولات التي جرت لنشر ثقافات التنوّع الإنسانيّ؛ ويَتُمّ هذا القمع عبر بناء الحواجز المفهوميّة المطلقة وغير القابلة للنقاش، والتي أُريدَ لها أن تكون عِلميّة وطاهرة وديمقراطيّة إلى أبعد الحدود.

يقول الدكتور ملحم: عبدو قاعي يدعونا إلى تجربة عالم التواصل الذي يكسر الحدود، حدود العلوم المتحجّرة لبلوغ الحسّ العلميّ الأوسع، وحدود المعتقدات المتصلّبة للإنعتاق في رحابة لبلوغ وَسَاعة الإيمان، فهل نُصغي لهُ؟ لقد حَلمَ بمدينة اللقاء بين المتفارقين فهل نعمل معهُ لنبني هذه المدينة، ونعيد السّلام إلى الأرض؟ فلنتحرّر من هيمنة السّلطة، لنتمكّن من بناء قوّة إنسانيّة الإنسان على الأرض إذا بقي لنا ذرّة حبّ لها.

الوساطة إخفاق فموت، أم انطلاقة لحياة جديدة؟

وفي النهاية كان الكلام عن الوساطة. وهل التربيةُ إلاّ محاولةٌ لإعطاء القدوة تسهيلاً لبناء الوساطة، أي وصل أماكن القوّة بأماكن الضعف، لتغذيةِ الضعيف بما لدى القويّ من سماح و عطاء؟

من هذا المنطلق، علّقت طالبة الدكتوراه ورئيسة جمعيّة العاملين الإجتماعيّين والعاملات الاجتماعيّات في لبنان، السيّدة **ريتّا شوشاني حاتم**، على مسألة ثقافة الوساطة وطرق التّفاعل معها في المدارس والجامعات بقولها: إنّ جلّ ما فعلته المؤسّسات التربويّة في هذا المجال، في السّنوات الأخيرة، هو منع النشاطات السياسيّة داخل جدران حرم الحيّز الذي تشملُهُ سلطة كلّ منها، بينما الحلّ كان في التربية على السياسة. وتُضيف السّيدة شوشاني أنّ حاجات الأرض، أي حاجات الجماعات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وحاجات المجتمع لجهة بناء المواطنيّة والتلاحم الاجتماعيّ والسياسيّ والثقافيّ، هي كُلّها حاجاتٌ إلى نوع من الوساطة الفاعلة التي تؤدّي إلى إعادة بناء العمل السياسيّ الحقّ إنطلاقًا من الجامعة.

كلّ هذا يدعوني إلى الاستنتاج من جِهتي، كأستاذ في علم الوساطة، أنّ السياسة هي فنٌّ أساسيّ في التكوين التربويّ. هي فنُّ بناء الإنسان الفرديّ و/ أو الجماعيّ على التواصل بين ذاته الأنانيّة وذاته الآخريّة، من أجل تغليب الثانية على الأخرى. وهو فن بناء الجسور بين هذه الذّات الفرديّة و/ أو الجماعيّة السّاعية إلى آخريّتها وذات الآخر الفرديّة و أو الجماعيّة السّاعية هي أيضًا إلى الهدف عينه، من أجل توفير اللقاء بين هذه الذاتيّات الباحثة عن التّوحُد في آخريّتها.

على هذا، ما كان من عالم الاجتماع الأوحد الباقي في فرنسا وأوروبا من رعيل بيير بورديو، ومن التوجّهات الفكريّة التي طالما دافع عنها كبار علماء الإجتماع الوضعيّون أمثال إميل دوركهايم وكلود ليفي ستروس، وهو الدكتور روبير كاستيل الذي أصدر أخيرًا في دار نشر سوي كتابًا بعنوان تصاعد الشكوك، إلاّ أنّه أكّد على وجود أزمة ضارية اليوم تنهشُ في نظامي الجامعة و المجتمع. والمسألة المطروحة بقوّة في هذا الصّدد هي في العودة إلى الخُلقيّة الإنسانيّة المدنيّة (المواطنيّة)، خُلقيّة الحقوق (الحقوق الإنسانيّة): حقّ العمل، حقّ العيش بكرامة، حقّ التّعلّم والإنفتاح على كلّ المعرفة والبحث العلميّ بعلميّة مفتوحة من دون المسّ بإنسانيّة الإنسان وكرامته.

أما السّؤال الكبير المطروح في هذا المجال، فهو يدور حول إمكانيّة الدّفاع عن هذه الخُلقيّة وعن المعارف والقيم التابعة لها، في عالم أصبح يعيش أكثر فأكثر على المنافسة، ليصُبّ حول كيفيّة القيام بهذا الدفاع، وسبُل تحويله إلى بناء تربويّ جديد من خلال الجامعة، في عالمٍ فقدَ كلّ مقاييس العمل والتقييم، كما والقوى البشريّة اللازمة التي قد تسمح لهُ بذلك.

ثمّ رحنا نتساءل ما إذا كان يمكننا بعد أن نُكمِل طريقَنا على مسالِكِ الوساطَة، بشيء من الرجاء، ولو ضاقَ الأملُ بهذا المقدار.

يقول الدكتور **جان جاك بالان**، وهو الرئيس والمدير العامّ لمؤسّسة سينيكو فرنسا، والكاتب المعروف في مجالات البناء التربويّ للقدرات الاقتصاديّة الجديدة: إنّ المستقبل، ولو كان صعب الميراث، سيكون علينا مواجهته بصيغة «الذكاء والتّحوّل»، التي تتطلّب أن نعمل على تسليط أضواء ثلاثة على الواقع. و يمكن تحديد الرؤى المرجعيّة التي تُستَمدُّ طاقةُ النور منها بالآتي:

• **أوّلاً:** إسقاط حالة التفتيت في القيم والثقافات القائمة حاليًا، عبر إعادة إحياء الرّؤية الروحيّة والمجتمعيّة لحالة التّفاعل والتّضامن والإصغاء بين الذاتيّات الإنسانيّة في أعماق الجهود التي نقوم بها فرديًا وجماعيًا للتّحرّر من استعباداتها المختلفة.

• **ثانيًا:** الكفّ عن العمل التطبيعيّ القائم حاليًا، إنطلاقًا من المقاييس الثقافيّة الأحاديّة التي تعتبر ناجحة، والقيام بكلّ الجهود اللازمة لتطبيع الأنظمة القائمة عبر بناء الأطر التربويّة والمجتمعيّة لتحقيق فكرة التنوّع بالاعتماد على الذكاء الجماعيّ المتحرّر من قيود الانتماءات المتصارعة والمتصادمة.

• **ثالثًا:** العمل بجهد لتنشيط مواقف ثلاثة لدى المواطنين، ودعمها، وتنميتها، من أجل تسريع القوى الإنسانيّة في مواجهة قوى السّيطرة، سيطرة سلطة الأقوى التي عولمتها سرعة التكنولوجيّة.

هذه المواقف هي:

الاحتراس والتّنبّه والتّيقُظ ا لتّبصُر الدّائم

توفير شروط الإنماء الإنسانيّ لهذه المواقف الإيجابيّة، في مناخ من التّقبّل الإنسانيّ والسّماح والغيريّة من أجل مواجهة قوى التّسرّع والسّيطرة في المنافسة البربريّة.

بالاستناد إلى هذه الثّلاثيّة في المواقف المطلوب تنشيطها من أجل إيقاظ القوى المدنيّة والرّوحية، هذه الثلاثيّة التي ليست بالفعل إلاّ محاولة للعبور الى الوساطة عبر ما تؤمّنه هذه الأخيرة داخل الإنسان من امتدادات في المساحات الزّمانيّة والمكانيّة اللازمة لذلك، انبرى الدكتور باسكال مونين، وهو المدير المسؤول عن الدراسات العليا في ميادين علوم الإعلام والتواصل في جامعة القدّيس يوسف– بيروت، والكاتب المعروف في مجالات هذه العلوم، ليؤكّد أنّه: يطلب اليوم أكثر و أكثر من الإعلاميّ أن يلعب دور المراقب على منابع الإعلام وعلى قنواته. هذه المراقبة هي الوحيدة التي قد تسمح، برأيه، للإعلام من: أن يصبح الوسيط الصحيح، بين الحدث والخبر والمُعلِمين في صِدقِ مقصدهم، وفي ما يتخطّى إنشداداتهم الإنتمائيّة التي تَتَظهّر من خلالها معاني نُصوصِهم، وبين الناس المتلقّين لهذا الإعلام، والذين يتوقون اليوم إلى الصّدق الإعلاميّ في العمق، لكنّهم يرفضونه اجتماعيًا ليظلّوا متناغمين مع إنشداداتهم الإنتمائيّة الثقافيّة الإجتماعيّة.

من هنا يطالب الدكتور **مونين**: بإرساء القواعد الصّلبة للبنية الخلقيّة الإعلاميّة في هذا العالم المعولم، وبترسيخ هذه البنية في التربية على مستوى المواقف والقيم، وذلك سعيًا لحماية الإنسان ككائن إنسانيّ له كرامته ويعمل للدّفاع عن الحريّة وعن حقيقة الأمور بحسّ من المسؤوليّة. ويُشير الدكتور مونين، بصورة خاصّة، في هذا المجال، إلى أنّ: هذه البنية الخُلقيّة هي في الأساس مبنيّة على روح الوساطة، إذ لن يسمح لها بالوجود في أساسها إلا على طريق الإصغاء الصحيح، بمعنى الإنتباه المتبادل والصريح والصّادق للأقوال والنوايا. إنّه الإصغاء النابع من القبوليّة والموضوعيّة للذاتيّات كلّها، ولو أخطأت. إنّه الإصغاء المتحوّل إلى كلمة صادقة لتغليب الحياة على الموت، ولو صحّ الأخير برهانًا.

الخُلاصة

في خلاصةِ القول، خلاصةُ الخلاصةِ ومقصدُها، وفي هذه الخلاصة المقصد أقول: إنّ التربيةَ، ماضيًا وحاضراً ومستقبلاً، لن تصحّ إلاّ إذا عُدنا واعتمدنا على عزيمتنا، وبكلّ جِدّية، أخذنا القرار الحاسم والنهائيّ بأن نسير في التّربية، أوّلاً على طريق التّحرّر والإنعتاق من العبوديّة، أيّة عبوديّة، وبخاصّة عبوديّة الذات الأنانيّة، للإلتزام ثانيًا بالحرّيّة، حُريّةِ الخيار، أيّ خيار، لأنّ هذا الخيار لن يكون إلاّ صدقًا وحبًا بعد قرار التّحرر من عبوديّة الذات الأنانيّة.

بهكذا قرار، سنرى أنفُسَنا نتركُ هويّتَنا الأولى، التي هي هويّة الانتماء الأولى فينا، التي تُشرّدُنا وتُبعدنا بعضنا عن بعض، لنتوجّه نحو الهويّة الثانية التي نبنيها على الأولى، وبكلّ احترام لِكيانها الرّوحيّ الذي أعطانا القُدرة على تخطّي كيانها الزّمنيّ.

بهذا الخيار، ستُصبح التربيةُ هذا البناءَ الدّائمَ والمستمرّ للهويّةِ الثانيةِ للإنسانِ الفرديّ والمجتمعيّ، الرّوحيّ والماديّ. فيُعمل، من خلالها، على تَعبيدِ معبرِ اللقاءِ مع الآخر، كما وعلى تبديد الغيوم وكلّ السّوادات.. كُلّها في مضاءات هذا المعبر، من أجل التّمكّن من فتح البصائر أمام آفاق اكتشاف الإنسانيّة وفُتُحات الرّوح في الذّات، في الآخر وفي العالم، ومن دون الطّعن بالهويّة الأولى، بل من خِلالِ فهمها كبعد أساسيّ للوجود يجب نقله من مكان العداوة إلى مكان المصالحة.

مركز الدراسات المريميّة محتفيًا بعيد البشاره

غداة إعلان يوم ٢٥ آذار، عيد بشارة العذراء مريم لدى المسيحيّين، عيدًا وطنيًا، بادر مركز الدرسات المريميّة في جامعة سيّدة اللويزة إلى إطلالة على مستوى الحدث، ولاسيّما أنّ الجامعة تحمل اسم مريم؛ فعمل مدير المركز الأب عبدو أنطون إلى إجراء الاتصالات وعقد الاجتماعات، إن في الجامعة، وتحديدًا في إطار كليّة العلوم الانسانيّة ومكتب العمل الرعويّ الجامعيّ، أو خارجها مع جمعيّة أبناء مريم ملكة السلام التي تضمّ محامين مسلمين ومسيحيّين، بحيث تمّ عقدُ ندوةٍ، شارك فيها أساتذةٌ وطلاّبٌ ومدعوّون معنيّون، وغلبَ عليها طابعُ الشّهادات، بحيث جاء في كلمة عميدة العلوم الانسانيّة الدكتورة **كارول كفوري:**

I hesitate to talk about religion; it is such a private part of our lives, but when Father Antoun asked me to speak about the Virgin Mary, I felt I could say a few words.

I grew up in a family very devoted to the Virgin Mary. My parents' house has statues and pictures of the Virgin Mary, and what I remember with is the peaceful, calm smile of the Virgin Mary. She was always the mediator; at the marriage of Cana when she said, "Do what he asks you to do?"

Mary implores us to prayer. Her messages from Medugorige are always encouragement to continue praying the rosary. Some of us may think about the usefulness of prayer in this world so full of movement and noise. I think that prayer can help to bring us inner peace without which we can accomplish very little.

والأب **عبدو أنطون** قال بدوره لِعامٍ مَضَى، كانَتِ البادِرَةُ، أَنّ يَوْمَ ٢٥ آذارَ يُصْبِحُ عيدًا وَطَنيًا.

فَتَمَنّيْتُ، وَقْتَها، وَصلّيتُ إِلَى العَذْراءِ، لَوْ أَنّ المُناسَبَةَ تَكُونُ لَها وَحْدَها، فَيَجْتَمِعُ اللبُنانِيّونَ مَعًا لِلصّلاةِ، بِكَلامٍ عَنِ العَذْراءِ وَعَنْ مَعْنَى بِشارَةِ السّماءِ لَها.

بَعْدَها، بِفَتْرَةٍ وَجِيْزَةٍ، شَاءَتِ العِنايَةُ الإِلَهِيّةُ أَنّ فَريقًا مِنَ المُحامِينَ، مُسْلِمينَ وَمَسِيحِيينَ، رِجالاً وَنِساءً، لَبّوا نِدَاءَ السّماءِ وَأَلّفُوا جَمْعِيّةً، تَحْتَ اسمِ: «أَبْناءُ مَرْيَمَ مَلِكَةِ السّلامِ». وَبِوَحيٍ مِنَ العَذْرَاءِ، أَقَامَتْ هَذِهِ الجَمْعِيّةُ برتُوكولَ تَعاوُنٍ مَعَ رَهبانِيّتِنا تَسْهيلاً لِتَحْقيقِ أَهْدَافِها... فَكَانَ لِقاؤُنا اليَومَ باكُورَةَ أَعْمالِها وَأَعْمالِ مَرْكَزِ الدّراساتِ المَرْيَمِيّةِ فِي الجامِعَةِ.

وحدّدت أمينة سرّ الجمعيّة المحامية **باتريسيا دكّاش** أهداف الجمعيّة بالنقاط الآتية:

- «لا سلام دون عدالة ولا عدالةَ دون غفران»، ولا سلام من دون مصالحةٍ على صعيد الفرد والعائلة والمجتمع.
- السلام هو هبةٌ من الله للانسان وهبةُ السماء للأرض، تنبعُ من القلب الذي يصفحُ ويسامح.
- إحلالُ السلام هو من أولى اهتمامات جمعيّتِنا، عن طريق الانفتاح على الأخوة في الديانات جميعها، وذوي الارادات الطيّبة ومشاركتِهم بناءَ السلام معًا.
- مهمّتنا الأساسيّة في هذه الجمعيّة، تربية الأجيال على المحبّة والأخُوّة الوطنيّة، وعلى تفاعل الحضارات والثقافات والأديان والمعتقدات، لا على الصراع في ما بينها وحبّ السيطرة.

وأضافت: رجاؤنا وأمنياتنا أن يُصبح لقاء جامعة سيّدة اللويزه نقطةَ انطلاق للقاءاتِ صلاةٍ أخرى، واجتماعاتِ عملٍ مشتركة، كي تُشكّل الروحُ اللويزيّة دربًا جديدًا إلى التقارب، نسلكه إلى السلام عبرَ العدالة، تجسيدًا للتفاعل والتآخي عبر المعرفة التي عبّر عنها Teilhard de Chardin بقوله: «بقدر ما يزدادُ الانسانُ معرفة، يزدادُ اقترابًا من أخيه الانسان». وما لقاؤنا هنا مسيحيّين ومسلمين، بروح الاحترام والتقدير الأخويّين، تحت ظلّ والدتنا الروحيّة السيّدة العذراء، ملكة السلام، الكلّيّة القداسة والطهارة والنقاوة، إلاّ لنعلن للملأ أنّ لبنان سيبقى قِبلةً لكلّ من آمن بأنّ الانسانَ أخو الانسان...

إحتفاليّة "وجهُ مريمَ السّلام"

.. وكان لمركز الدراسات المريميّة خطوةٌ أخرى متقدّمةٌ صوبَ مريم، بأمسيةٍ شعريّة، ظلّلها «وجهُ مريمَ السّلام»، وتقدّمت حضورَها السيّدة **رندى عاصي-برّي**، رئيسة الجمعيّة الوطنيّة للحفاظ على آثار وتراث الجنوب اللبنانيّ، والتي حملت التحيّةَ من جنوب القداسة: من قانا العرس، وصور الكاتدرائيّة الأولى، وصيدا شفاء الكنعانيّة، ومغدوشة سيّدة المنطرة،.. منتهيةً إلى هذا الرجاء: «ما أحوجنا في لبنان وفي العالم المسكون بالجشع والحقد والكراهية والظلم والأثم والعدوان ونكران الآخر، أن نُسكن مريم القضيّة والرسالة في حركتنا، وفي كلّ المساحات التي تتحرّك فيها على مختلف الصعد والمستويات من أجل أن يحلّ السلام، والذي هو اسم من أسماء الله ووجه من وجوه مريم».

وختمت السيّدة برّي بضمّة شعريّة، منها:

يا بنتَ عمرانَ الأبيّ وإن يكـــــن ... لحنُ المؤذّنِ للكنيسةِ مسجدا
أو كان إنجيلُ المسيحِ لأحمـــــدَ ... قرآنَه ولصوتِه رجعَ الصـــدى
من نهجِ واحدِهم زَرعْنا أرضَنـــا ... عزّا وأَسقينا الغمامةَ مـــوردا
.. فبنهجِ أحمدَ صار عيس قائدي ... وبدينِ عيسى ما نَكرتُ محمّدا

وكان رئيس الجامعة الأب **وليد موسى** قال مرحّبًا: «أهلاً بكم، وشكرًا لراعية هذا اللقاء السيّدة الكريمة رندة برّي؛ وكما العذراء هي وجه سلام، فإنّ وجهها المضيء بالمحبّة خير تعبير عن السلام والعطاء والأخوّة الانسانيّة».

وهتف مصلّيًا: «يا مريم، يا أمّنا، باركي هذا الحضور، باركي هؤلاء المجتمعين حولك. أعطِينا أن نبقى مؤمنين بأنّ المحبّة هي وحدها السبيل إلى وحدة لبنان واستقراره وسلامه. امنحي أسرة هذه الجامعة الطمأنينة والعافية، وصلّي من أجلنا».

ورئيسُ المركز الأب **عبدو أنطون** رسمَ «للأمسية أَبْعادًا وَآفاقًا تَعْلُو المَحْسُوسَ وَالمَنْظُورَ- على قوله، وهي:

- لأنّها وَقْفَةُ شُكْرٍ أَمامَ الله الذي عَطَفَ بِحُبّ، مِنْ خِلالِ مَرْيَمَ، عَلَى الطَبِيعَةِ البَشَرِيّةِ.
- لأنّها تَعْبِيرُ حُبّ جَماعِيّ نَحْوَ مَرْيَمَ...
- لأنّها فُرصةُ الصّلاةِ؛ ومَنْ قالَ إِنّنا، عَلَى اختِلافِ انتِماءَاتِنا العَقائِدِيّةِ، لا يُمْكِنُنا أَنْ نُصَلّيَ مَعًا؟!

وتابع: «إِخوَتي الأَحِبّاءَ، نَحْنُ هُنا، عَلَى دُرُوبِ غَيْرِنا مِنَ القِدّيسينَ الشُّعَرَاءِ الذينَ استَلْهَمُوا رُوحَ الرّبّ، فَسَالَتْ أَقْلامُهُم مَدْحًا وَتَعْظِيمًا. إِذا صَلّينا مَرّةً، فَلَنْ تَكُونَ الأَخِيْرَةَ.

وما دُمْنا نُحِبُّ مَريمَ وَنُكَرّمُها، سَتَبْقَى أَبَدًا صاحِبَةَ الدّعْوَةِ...
وَسَوْفَ نُلَبّي دَعْوَتَها...»

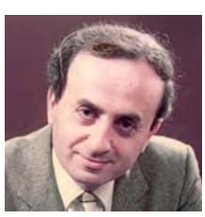

.. ومن الشعراء، وكانوا المحامي ريمون عازار ومهدي منصور وباسمة بطولي والياس خليل والشيخ سامي أبو المنى والدكتور ميشال كعدي، قدّمتهم السيّدة ندى سعد صابر، جَنينا بعضَ زهرٍ وثمرٍ.. هذه المختارات:

من المحامي **ريمون عازار**:

... واحرُسينا
أنتِ في أيقونةِ الشرقِ ظهورٌ أبديٌ
أنتِ في لبنانِنا الدهريّ أرزٌ أزليٌ
واجمعينا

أنتِ في أرضِ التّلاقي الموعدُ الأغلى

وأنتِ الدِيَمُ.

أنتِ إنْ أَشرقتِ فينا

أينعَتْ من حولِنا الدنيا بهاءً وجمالا

وسألنا:

أَتُرى الصحراءُ قدْ صارتْ جِنانًا تبسِمُ

وتغاوتْ في ذُرَى حَرْمونَ منّا القِمَمُ

وارتفعنا

مثلَ طُوْرٍ من تجلٍّ وصلاةٍ

راسخٍ لا يُهْزَمُ.

واعضدِينا

قد تسامى الحبُّ فينا

وتلاقينا جميعًا في حِماكِ

بصفاءٍ هاتفينْ:

إنّكِ الأمُّ الشفيعُ المُلْهِمُ

نحنُ في لبنانَ آمنًا وقلنا

إنّنا الشعبُ المسيحُ المسلِمُ.

ومن الأستاذ **مهدي منصور**:

أزكى السلامِ عليك يا قدّيسةُ — وعلى ابنِك المزروعِ في نجوانـــا
وكما دخلتِ عليّ من جدارِ — البيتِ.. قومي وادخلي لبنانـــا
هُزّي إليه بجذعِ جرحِ جنوبِـه — يَتساقطِ الشهداءُ من عَليانـــا
وطني هو ابنُك والجرارُ مليئةٌ — بالخمرِ... تُدمى.. والكؤوسُ حزانى
ملأوا جرارَ قلوبِنا بالويـــلِ — فالتفتي إلينا واسمعي دعوانـــا

ومِمّا جاء في قصيدة السيّدة **باسمة بطولي**:

ستّ السّلام إنّا لديكِ تَوسّطـــي — هديًا يقي العمرَ الرّياحَ المُعْصِفَهْ
يا أمّيَ المِعطاءَ كم لكِ خلتُنـــي — أمّا لكَثْرةِ ما بحبّكِ مُدْنَفـــهْ
.. هلاّ نَزلتِ! هنا التّناهشُ، ما سوى — خيطٍ بثوبِك قادرٌ أن يوقفَـــهْ

ومن قصيدة الأستاذ **الياس خليل** هذا المقطع:

مرّه رحت عاسيّدة لبنـــان — حتى لحريصا إنـــدر ولادي
شفت المسيحي صامد القربان — وما أطيب القربــان زوّادي
وعا مدخل الساحه شفت إنسان — فالش عانص الدرب سجّـادي
مسلم عم يصلّي على القــرآن — مطرح ما صلّى الياس للفـادي
وعيت قلبي شعلة الايمــان — وطلّيت متل الدير عا الــوادي
ورفعت راسي وقلت يا لبنــان — من كل ملّه وكل شرع وديــن

العدرا الحنونه بتجمع بلادي

وجاء في قصيدة الشيخ **سامي أبو المنى**:

ذكراكِ يا أمُّ عطرٌ في حدائقنا — من سرّ ألغازه نستنبتُ الزّهـرا
سرُّ الأنوثة عطرٌ طاب مولـدُه — تبارك الربُّ كم أوحى به فِكَـرا
سرُّ الأمومة عطرٌ منك منتشـرٌ — يفيضُ عطفًا ويسمو للعلى طهـرا
سرُّ التواضع عطرٌ من نسائمـه — تُروى النفوسُ، ومنه تُؤخذُ العبـرة
سرُّ الشفاعة عطرٌ من لطائفـه — شذا حنانك كم في صدقه أبـرا!!
وسرُّ حبِّكِ روحُ العطر في جسدٍ — وَلدْتِهِ، صار خبزًا طيّبًا، خمـرا..
يا وجهَ خيرٍ، وفيه المؤمنون رأوا — وجهَ السلام ولم يستغربوا الأمـرا
عيناكِ في ألمٍ والرأسُ في خجلٍ — حانٍ، وثغرُكِ، كم في طهره أغرى

وأخيرًا، أنشد الدكتور **ميشال كعدي**:

كَبّري يا مريمُ واعْتَلِنـــي — فَرَجاكِ القُدْسُ، والبَيْتُ الحَـرامْ
إرْحَمِينا وَانْقِذِينا، وَارْحَمِـي — أنْفُسًا حَرّى، أيَا عَذْرا الأنـــامْ
شَهْرُ أيّارَ، المُنى، من حُلْمِنـا — أشْرَقَ المُخضرُّ، وامْتَدّ الخـزَامْ
نحنُ يا أُمُّ، لنا منكِ الرّجـا — وَرَجَانا ابنُكِ الفادي، الهُمَـامْ
نحنُ يا مريمُ، شِئْناكِ الحِمَى — نَحمِلُ الكأسَ سَلامًا وابْتِسـامْ
خَلِّصي، لُبنانَنا، أقداسَنـا — وَخُذِي منّا صلاةَ المُستهـامْ
جَدّ في روحي الصّفا يا مريمُ — جَدّ في نفسي أنا حُبُّ السَّـلامْ

الإيمان والتعليم العالي

باميلا الشمالي
باتريك جريجي

يتكّون الإنسان من الجسد والنفس والروح بحيث تتكامل هذه الأجزاء فتشكّل كيانًا لا يتجزّأ. وبالرّغم من هذا التكامل، يحصل أن يتطوّر واحد من هذه الأجزاء وينمو على حساب غيره، وعندها لا يكون الإنسان بكلّيته الكاملة.
ويصدف أنّ إطار حياتنا الجامعيّة يضمن نموّ الجسد والنفس من خلال الأنشطة المختلفة على صعيد الجسم والعقل، بحيث يبقى نموّ الروح في مرتبة متراجعة.
سعيًا لتفعيل البعد الروحيّ للطلاّب والأساتذة والإداريّين في جامعة سيّدة اللويزة، وسعيًا لتحقيق رسالة الجامعة في تنشئة الطلاّب على النـزاهة الأخلاقيّة والتضامن الإنسانيّ المنبعث من إيماننا بالله، تشكّلت نواة من أساتذةٍ وطلاّب، كان كلٌ منهم يسعى على طريقته وبقدر طاقته لتحفيز التربية على مبادئ الإيمان والحثّ على العيش.
من هنا، انتظمت اللقاءات تحت شعار «الإيمان والتعليم العالي»، فتلاقى فيها حوالى عشرة أساتذة وطلاّب من كليّات العلوم السياسيّة والإدارة العامّة والدبلوماسيّة، والعلوم الإنسانيّة والهندسة .

وقد اتّفق هذا الفريق على إقامة التنسيق مع المبادرات التي تقوم بها الجامعة. فبدأ العمل للاتفاق على سبل تفعيل دور الإيمان ضمن الناشط التعليميّ، من خلال إشراك مستويات الجامعة جميعها في ذلك، وبالتعاون مع المرشد العامّ الأب بو شبل والعمل الرعويّ الجامعيّ.
وتتركّز هذه الخطّة على نقاط أساسيّة، منها: - تشجيع الأساتذة على تنمية الحياة الروحيّة للطلاّب من خلال الشهادة في إطار الصفّ. - الانتباه لنظرة الطلاّب إلى موضوع الإيمان، وتجسيده في حياتهم التعليميّة والعمليّة.- اقتراح خطّة عمل على الإدارة بناءً على ثوابت الجامعة، من أجل دمج الإيمان بعمليّة التعليم.
و يتابع الفريق نشاطه من أجل الوصول إلى سكّة سير واضحة من أجل تحقيق هذه الأهداف وتثبيت القيم والمبادئ المسيحيّة في إطار الجامعة.

من حَصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

سهرة إنجيليّة في صوت المحبّة ٢٠١٠/٣/١٢

العمل الرعويّ الجامعيّ العامّ في لبنان ينظّم سنويًا برنامجًا في شبكة الصوم والقيامة تحت عنوان «الشباب والإنجيل»، شاركنا فيه عبر إذاعة صوت المحبّة مع الأخت كاتيا ريّا حيث جرت مناقشة إنجيل مرقس ٧/٢٤-٣٠

Mother's day ٢٠١٠/٣/٢١

الأحد ٢٠١٠/٣/٢١، احتفلنا بعيد الأمّ، فبدأ النهار بالقدّاس الإلهيّ الذي ترأّسه الأب فادي بو شبل، والذي جاء في كلمته:

باسم هؤلاء الصبايا والشباب، أقِف أمام وجه كلّ أمّ لأقول لها:
آهٍ ما أجملَ وجهَك يا أمّي! كم فيه من الحبّ والحنان والروعة!
ما أجمل عينيك اللتين تعبتا من السّهر في سبيل نموّي ونضوجي ونجاحي وتحقيقي ذاتي!
ما أبهى شفتيكِ اللتين كانتا ولا تزالان تدفقان عليّ قُبلات الدفء والطُهر والسلام!
صدّقيني يا أمّي، لو مهما قُلت وكتبتُ وتأمّلت وأعلنتُ، فلن أوَفّيك حقّكِ وحقّ والدي! ورُبّما احتجتُ إلى كلّ أبجديّات الأرض أُقدّمُها لتنظمي ما يروق لكِ من آيات الحبّ وعرفان الجميل والشكر الجزيل.
وفيما أقدّم لكِ هذه التقدمة، أرفعُ ناظريّ إلى السماء نحو أمّ يسوع الفائقة العذريّة والجمال، وأنا سعيدٌ كلّ السعادة، لأنّها هي أمّ الله وأمّنا جميعًا، هي التي تحبّنا اليوم بقلبها الذي أحبّت به الله حُبًّا لا يعرف الحدود، وتنظر إلينا بالعينين اللتَين نظرت بهما إلى وجه يسوع المعبود، لأقول لها: أُعطفي نظرك على أُمّهاتنا وآبائنا، فإنّهم عطيّة الله لنا. إحميهم وباركيهم وظلّليهم تحت كنف ردائك الواليّ، واذكريهم أمام الثالوث الأقدس ليمنحهم الصحّة والبركة والقداسة في هذه الحياة والحياة الأبديّة.
.. ثمّ كان غداءٌ واسكتشاتٌ وألعابٌ ترفيهيّة...

Easter weekend retreat ٢٠١٠/٣/٢٨-٢٧

التأم أكثر من ٣٠ شابًا وشابّة من العمل الرعويّ الجامعيّ في الرياضة الروحيّة السنويّة، زمن الصوم، في دير مار إدنا- نهر إبراهيم، تحت عنوان «الصوم يفتح لكم باب السماء».

Easter Mass ٢٠١٠/٣/٣١

وفي ٢٠١٠/٣/٣١، احتفلنا بقدّاس الفصح المجيد في الجامعة، حيث ذكّرنا الأب بو شبل بعظمة حبّ سيّدنا يسوع المسيح لنا.

Founder's day ٢٠١٠/٥/١٤

وبمناسبة عيد الجامعة ٢٣، وكان تحت عنوان football is coming home، حيث مثّلت الأنديةُ البلدانَ المشاركة في المونديال، أخذ الـ Pastoral على نفسه تمثيل البرتغال برقصةٍ ومنصّةٍ وألوانٍ وبتوزيع صورة سيّدة فاطيما التي صودف عيدُها في ذلك النهار، وعليها هذه الصلاة:

أيّتها العذراء مريم الفائقة القداسة، يا سلطانة الورديّة المقدّسة، لقد سُررنا بأن تظهري لأطفال فاطيما وتكشفي لهم رسالة مجيدة. نناشدك أن تملأي قلوبنا حبًّا مُتّقدًا لتلاوة الورديّة. وبتأمّلنا في أسرار الخلاص التي نتذكّرها فيها، نرجو أن ننال النِعم والفضائل التي نطلبها، باستحقاقات يسوع المسيح، ربّنا ومخلّصنا.

نُكرّس لقلبك الوالديّ ذواتنا، عائلاتنا، بلادنا، وجنسنا البشريّ كلّه، إحمينا وخلّصينا.

يا قلب مريم، مصدر الحبّ الحقيقيّ، إملأ قلوبنا بالمحبّة الإلهيّة وبالحبّ الأخويّ الحقيقيّ الذي بدونه لن نعرف السلام. إمنح كلّ البشر والشعوب أن يفهموا ويتمّموا وصيّة يسوع «أحِبّوا بعضكم بعضًا»، حتّى يسود السلام والعدل والحقّ في المسيح. آمين.

في احتفال الجامعة بعيد العمّال في ٢٠١٠/٥/٦

بعناية من إدارة الجامعة، شاركنا في الإعداد لحفل غداء في مطعم الجامعة لحوالى ٧٠ عاملاً من العمّال الأجانب، وفي حضور الأبوين بشارة الخوري وفادي بوشبل، اللذين شكرا هؤلاء العمّال على جهودهم المستمرّة. وقد حضّر شبيبة العمل الرعويّ ألعابًا ترفيهيّة، ووزّعوا الجوائز على الفرق الرابحة.

عيد القربان الأقدس

ومع غروب شمس الخميس الواقع في ٢٠١٠/٦/٣، وبدعوة من العمل الرعويّ الجامعيّ NDU وجماعة الصلاة المريميّة Podbordo، وعلى جاري العادةِ في الجامعة، كان احتفالٌ حاشدٌ بالقدّاس الإلهيّ، تلاه تطوافٌ بالقربان الأقدس، اتّجهت فيهما العقولُ والقلوبُ إلى تأمّلات في ما يمثّله الكاهنُ وما أُوكل إليه من دور ويضطلع به من رسالة من وحي القول «يسوع، إذًا، هو رئيس الكهنة الذي يناسبنا، هو قدّوس بريء لا عيب فيه...» (عب ٢٦/٧)

المطران **بولس دحدح**، النائب الرسوليّ للآتين في لبنان، الذي احتفل بالقدّاس، ركّز في عظته على أنّ الكهنوت والأفخارستيّا سرّان متلازمان، موضحًا قولَه: يمكننا أن نحصل على أيٍّ من الأسرار السبعة: العماد والتثبيت والزواج والاعتراف ومسحة المرضى..، خارج الذبيحة الإلهيّة؛ ولكن، لا يمكننا أن نحصل على سرِّ الكهنوت إلاّ من خلال الذبيحة الإلهيّة. فلا يوجد إفخارستيّا من دون كاهن، ولا فائدة للكهنوت وللكهنة والأساقفة من دون الأفخارستيّا. الأفخارستيّا هي قمّة الأسرار، وهي زبدتها وخلاصتها. من خلال سائر الأسرار نبشّر حتمًا بكلمة الله، ولكنّ التبشير الصحيح الواقعيّ الحقيقيّ الذي يعطي استمراريّة لتجسّد المسيح على هذه الأرض، هو سرّ الأفخارستيّا.

من هنا، أضاف، كان علينا أن نتحسّس، نحن الكهنة وأنتم المؤمنين، أهميّة هذا السرّ، ودورَ الكهنة ورسالتَهم في تمثّل المسيح وتمثيله وتقديمه طريقَ حقٍّ وحياة...

ومن التأمّلات والدّعاءات التي تخلّلت محطّات التطواف واحدةٌ تتعلّق بخوري آرس، الكاهن المعرّف وشفيع كهنة الرعايا، جان ماري فياني؛ وأخرى تتعلّق بيادري بيّو، الكاهن الذبيح؛ وثالثة بأبونا يعقوب الكبّوشي، كاهن الخدمة؛ ورابعة بالبابا يوحنّا بولس الثاني، الكاهن الرسول...
فلقد كانت روح الله ترفرف على غَمرِ الجامعةِ.. والجماعة!

يا عدرا

ريتّا مهنّا

سنة ١٨٧٣ بتخلق طفلة بضيعة صغيرة بفرنسا. بعمر الـ١١ سنة عانت من مرض مستعصي. وبعد وقت من العذاب والمعاناة، إنت يا عدرا ببسمة صغيرة منّك قدرتي تشفيا. هيدي البنت أكيد منعرف إنّها القدّيسة تريزيا الطفل يسوع!!

وهلّأ، يا عدرا، منطلب منّك تشفينا ببسمتِك، وتريّحي نفوسنا التعبانة، وتعطي الفرح لقلوبنا. ونحنا بدورنا بدنا نجرّب قَدّ ما فينا نعطي غيرنا. منشكرك لأنّك سمحتيلنا نحبّك، وخلّيتينا نحبّ الحياة من خلالك.
بترجّاكِ يا عدرا.. بترجّاكِ، لكلّ مين بعد ما تمتّع بمعرفتك تقرّبيه منّك، وتعرّفيه عليكِ، وعلى حنانك الأموميّ.

يا عدرا خلّين كلّن يعرفو إنّك إنتِ موجودة، وإنّك إمّ الكلّ السهرانة دائمًا علينا، وإنّو بلاكِ الحياة ما إلها معنى، ومعك، معك وحدك بتحلى.

الأب فادي بو شبل المريميّ
المرشد العامّ في جامعة سيّدة اللويزة

'الله يراني'

«الله يراني»! هذه الكلمة التي تلفّظ بها الأخ إسطفان نعمة، وكانت بمثابة شعار حياته، إن كانت تدلّ على شيء، فعلى مدى تحفّظه من جهة لعيش الحياة كلّها في الحضور الإلهيّ، ومن جهة ثانية على معرفتة بالكتاب المقدّس؛ لأنّ هذه الكلمة نطق بها إبراهيم، أبو المؤمنين، يوم كان يقود ابنه الوحيد إسحق ليقدّمه ذبيحة للربّ، إذ سألّه إسحق قائلاً: «يا أبتِ». قال: «هاءنذا، يا بُنيّ». قال: «هذه النار والحطب، فأين الحَمَل للمحرقة؟» فقال إبراهيم: «الله يرى لنفسِه الحمل للمحرقة، يا بُنيّ». ومضيا كلاهما معًا (تك ٢٢/٧-٨).

وإذا غصنا أكثر فأكثر في الكتاب المقدّس، نجد في سفر المزامير كيف أنّ صاحب المزمور ١٣٨ ينشد حضور الله في كلّ مكان، ويرى إلى أنّ الإنسان أينما ذهب ستبقى عينا الربّ مفتوحتين عليه...في هذا الزمن الصعب الذي نعيشه، حيث تكثُر الضبابيّة على الضمائر، وتحتلّ الأنانيّة مكان الصدارة، ويُصبح كلّ ما هو مستور مسموحًا به، يأتي إعلان تطويب الأخ إسطفان، ليكون صرخة أمام إنسان عصرنا الذي أدار ظهره للخالق، وفصل ما بينه وبين الله، وكأنّه أصبح يعيش في عالم ليس فيه مكانٌ لله، لأنّه اعتقد أنّ الله يبقى في عالمه «السماء»، ونحن لنا عالمنا «الأرض»، ونسي أنّنا «فيه نحيا ونتحرّك ونوجد» (أع ١٧/٢٨)، ونسي أيضًا كلام الحقّ نفسه الذي قال: «من دوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا» (يو ١٥/٥).

لذلك، تبقى الدعوة موجّهة إلى هذا الوطن الرسالة لبنان بشكلٍ عامّ، وإلى الكنيسة فيه بشكلٍ خاصّ، لكي نعرف مدى محبّة الله لنا كشعب، ولكلّ واحدٍ منّا كأشخاص. لأنّه مع كلّ إعلان تطويب أو قداسة، تنفتح السماء وتُمطر نعمَها، فيرتوي الإنسان ويهتف: المجد لك يا ربّ المجد لك.

ولكي نتعرّف على هذا الراهب الذي عاش على أرضنا، ما علينا إلاّ أن ننظر في سيرة حياته، ونكتشف معًا عمل النّعمة الإلهيّة التي أُفيضت عليه من لحظة وجوده إلى قبوله سرّ العماد حتى انتقاله إلى بيت الآب.

الأخ إسطفان نعمة، من هو؟

هو يوسف ابن إسطفان نعمة وكريستينا البدوي حنّا خالد من لحفد— جبيل. وهو صغير العائلة المؤلّفة من أربعة صبيان وابنتين هم: سركيس، ونعمة الله، وهيكل وتوفيقة، وفروسينا.

ومن المُرجّح أن يكون قد أُعطي إسم يوسف تيمّنًا بالقدّيس الكبير مار يوسف البتول، لأنّه وُلد في شهر آذار المُكرّس لإكرامه من سنة ١٨٨٩.

في قريته الجبليّة نشأ، وتعلّم الإيمان من والديه التقيّين، والتصق بالأرض التي كانت بمثابة الكتاب المفتوح أمام عينيه على عظمة الخالق في خلقه. حصّل بعض مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة القرية، ومن ثمّ في مدرسة سيّدة النعم في سقي رشميّا بعد دخوله الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة سنة ١٩٠٥.

في دير القدّيسين قبريانوس ويوستينا في كفيفان، عاش سنتَي الابتداء في الرهبانيّة تحت عناية ورعاية رجل الله الأب إغناطيوس داغر التنّوري، مُتّخذًا لنفسه إسمًا جديدًا: إسطفان، تيمّنًا بشفيع بلدته واسم أبيه.

في هذا الدير، عرف كيف يتمرّس بالحياة الرهبانيّة، وكيف يعيش الفضائل الإلهيّة والمسيحيّة، ويُمارس الصلاة والتأمّل والعمل

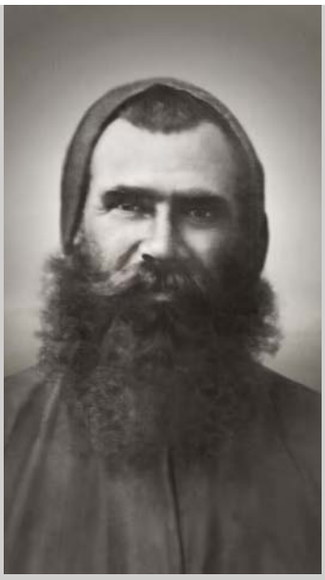

اليدويّ، بحيث اختير بين الإخوة المُساعدين. فبعد إبراز نذوره الرهبانيّة في ٢٣ آب سنة ١٩٠٧، راح يعمل في النجارة والبناء وأشغال الحقل؛ وقد منحه الله بُنية جسديّة قويّة ساهمت في عمله كرئيس حقلة، وأمضى حياته الرهبانيّة بالعمل في جنائن الأديار التي تنقّل فيها: دير سيّدة ميفوق، دير مار أنطونيوس-حوب، دير مار شلّيطا- القطّارة، دير مار مارون- عنّايا، دير سيّدة المعونات- جبيل ودير ما قبريانوس ويوستينا في كفيفان.

في الصمت والمحبّة والإحترام كان عمله مع الرهبان والعمّال؛ فالكلّ يشهد على استقامته وأمانته للسيّد المسيح الذي كان يشهد له أمام من عايشهم. إقتفى آثار الرهبان القدّيسين، فحافظ على قوانين رهبانيّته بدقّة وأمانة، ووزّع أوقاته بين العمل والصلاة إلى أن نقله الآب إليه في الثلاثين من شهر آب سنة ١٩٣٨ عن ٤٩ سنة، فصحّ به قول سفر الحكمة: «بلغ من الكمال حدًّا لا يبلغه سواه في سنين كثيرة» (حك ٤/١٣).

دُفن جثمانه في دير كفيفان، فكتب عنه رئيس الدير آنذاك الأب أنطونيوس نعمة ما يلي: «غادر هذه الفانية نهار الثلاثاء الساعة السابعة مساءً في الثلاثين من آب، الأخ إسطفان نعمة اللحفدي. وكان أخًا عاملاً نشيطًا غيورًا على مصلحة الدير، قويّ البُنية، صحيح الجسم مسالمًا، بعيدًا عن الخصومات، قنوعًا، فطنًا بالأعمال اليدويّة، محافظًا على واجباته ونذوراته، قائمًا بما عهد إليه حقّ القيام».

جثمانه لا يزال سالمًا. وبعد أن بوشر التحقيق في قداسته في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٠١، صدّق البابا بنديكتوس السادس عشر على فضائله البطوليّة في ١٧ كانون الأوّل سنة ٢٠٠٧، ثمّ حدّد إعلان تطويبه في ٢٧ حزيران عام ٢٠١٠ في دير كفيفان. حيث بقي جثمانه يرشح نعمًا وبركات سماويّة.

روحانيّته:

يُعلِّم كتاب التعليم المسيحيّ في الفقرة ٢٥٦٥، أنّ «حياة الصلاة هي أن نكون بوجه عاديّ في حضور الله المُثلّث التقديس، وفي مشاركة معه. وهذه المشاركة الحياتيّة هي دائمًا ممكنة، لأنّنا بالمعموديّة قد صرنا كأنّنا واحد مع المسيح (راجع رو ٦/٥)».

هذا التعليم ينطبق على رجل الصلاة والعمل الأخ إسطفان الذي نفرح مع الكنيسة في لبنان والعالم بإعلان تطويبه لمجد الثالوث الأقدس وخير الكنيسة كلّها. لأنّه بحضوره الصامت كان يعكس لمُعاصريه حياته المُستترة مع المسيح في قلب الثالوث الأقدس، هو الذي عرف أن يصبر على أوجاعه ولا يشكو من ألمٍ أو موت، يتقشّف ويتجرّد في طعامه، ويقنع بما عنده وبما له، لأنّه لا يبغي إلاّ أمرًا واحدًا وهو العيش في الحضرة الإلهيّة.

صحيح أنّ قلبه كان حاضرًا كلّ حين حيث هو كنزه الأغلى يسوع، الذي لأجله وقَفَ حياته كلّها مُقتفيًا آثاره في الطاعة والفقر والعفّة، إلاّ أنّه كان مُحبًا للأرض التي ارتوت من عرق الأجداد ودماء الشهداء ودموع المتألّمين وصلاة العابدين، هذه الأرض، أرض لبنان، التي اعتبرها النسّاك «**وقف الله على الأرض**»، هذه الأرض التي كانت له مدرسة قداسة ومصدر روحانيّة.

ومن المعروف أنّه لم يترك إرثًا كتابيًا في الرهبنة ولا يوجد الكثير عن حياته، لأنّه عاش ما هو عاديٌ جدًا بشكلٍ يفوق العادة.

وبما أنّ ذِكْر الأبرار يدوم إلى الأبد، فقد حفظ معاصروه بعض السِمات التي تحلّى بها هذا الأخ العامل القدّيس كالبسمةِ الحالمةِ التي لم تفارق وجهه؛ فالكتاب المقدّس يقول:«القلبُ الفرحانُ يُبهج الوجه»(أم١٥/١٣). بالإضافة إلى الصمت الذي يُعتبَر حكمة الحُكماء، والتأمّل الذي يجعل الإنسان يرتفع إلى ما فوق المادّة، ووداعة القلب التي يتعلّمها الإنسان من يسوع القائل:«...تعلّموا منّي إنّي وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت١١/٢٩).

كُتب عنه: «وجهه وجه البراءة والحكمة، وجه السلام والحبّ. أضاء عينيه بنور الإنجيل ونور الإيمان؛ إيمان الأرز وابن القرية اللبنانيّة، إيمان الأجداد والآباء والأمّهات، إيمان البساطة والفرح. ليّنٌ في المحبّة والرحمة والحنان والعطاء مثل السنابل أمام نسيم الصباح، وصلبٌ في الإيمان والجهاد والعدل والقداسة كتجذّر السنديان في عمق التراب. فكلّما نظر إلى الشمس، تطلّع إلى السعادة في نور وجه المسيح وبهائه وجماله».

ثلاث عبارات تلفّظ بها الأخ إسطفان ولا يزال إخوته الرهبان يتناقلونها وهي:

«الله يراني»

«هنيئًا لمن تزيّن بالعِلم الذي يقود إلى الله»

«المحبّة لا تحتاج إلى عِلم لأنّها من القلب تخرج»

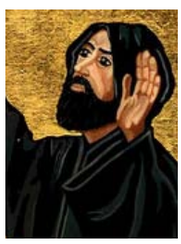
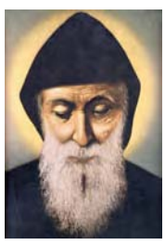

علاقة الأخ إسطفان بالقدّيسين
شربل ورفقا ونعمة الله

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأخ إسطفان عاش في الرهبانيّة التي أعطت الكنيسة قدّيسين عِظامًا. وشاءت العناية أن يعيش هو في الدير الذي كان القدّيس نعمة الله مُعلِّمًا للاهوت فيه، وقد مرّ من بين تلامذته الأخ شربل مخلوف.

وبطبيعة الحال من المؤكّد أنّه سمِع عن هذين القدّيسَين، وتبارك من ضريح مَن عُرف بقدّيس كفيفان، ووصلت إلى أذنَيه أخبار القدّيس شربل. وكان بحُكم وجوده في كفيفان قريبًا من دير مار يوسف- جربتا حيث عاشت القدّيسة رفقا.

من المُلفت للنظر أنّ القدّيسين شربل ونعمة الله والأخ إسطفان، كلّهم حملوا إسم القدّيس يوسف؛ فهل هناك من عناية؟ هل هناك من رسالة؟ إذا كان ما يُميّز القدّيس يوسف البتول هو أنّه عاش بين يسوع ومريم، وعَمِل بما قاله له الربّ، فهل تبقى صدفة أن يكون قدّيسونا حملوا إسم شفيعهم قبل دخولهم الدير للدلالة على عيشهم بين يسوع ومريم وتحقيق أعمالهم حسب إرادة الله الآب؟!

فالقدّيس شربل (حكاية الله) يُخبِر عن عظمة الحياة التأمّليّة والصلاة والغوص في عالم الله، والقدّيس نعمة الله يشهد على نعمة العيش في الحياة المُشتركة، والأخ إسطفان نعمة العامِل في الأرض إستطاع أن يكون كلّ حين في حضرة الله.

هنيئًا للأرض التي أُعطِي لها أن تكون مسقط رأس وموطئ قَدَم لقدّيسين وقدّيسات عِظام أمثال قدّيسينا.

والطوبى لكنيسة لبنان التي تفتخر سنة بعد سنة باللآلئ التي تتزيّن بها وتُظهرها للعالم بأسره. والبهجة للرهبانيّة اللبنانيّة التي أعطت ولا تزال تُعطي قدّيسين لمجد الله وخير الكنيسة المقدّسة. والفرح والسرور لكلّ الذين يطلبون شفاعة الأخ إسطفان لأنّه لن يرُدّهم خائبين.

ويبقى الشُكر الأعظم لإلهنا وملِكِنا يسوع المسيح الذي بفضل قيامته أرسل لنا روحه القدّوس ومنحنا نعمة التبنّي، وأعطانا أن ندعوالآب أبانا.

بشفاعة العذراء مريم سيّدة لبنان وصلاة الأخ إسطفان نعمة، بارِك ربّي وطننا وشعبنا، كنيستنا وأهلنا، أديارنا وكلّ من له تعب علينا.

صلاة

أيّها الآب القدّوس، يا مَن دعوت الأخ إسطفان نعمة إلى الحياة الرهبانيّة، وزيّنته بمواهب روحك القدّوس، فعاش في حضرتِك، مُردّدًا "الله يراني" مُمارسًا الفضائل الإلهيّة والإنسانيّة.

نسألك أن تمنحنا بصلواته النّعمَ الضروريّة لحياتنا، وأن ترفعَه طوباويًا وقدّيسًا على مذابح الكنيسة المقدّسة، لنقتفيَ خُطاه ونخدُمَك على مِثاله، ونمجّدَك وابنَك الوحيدَ وروحَك القدّوس، الآن وإلى الأبد. آمين.

ملفّات

اقتصاد لبنان بين اليوم والغد

- مؤتمر -

انعقد مؤتمر «اقتصاد لبنان بين اليوم والغد»، بدعوةٍ من كليّة الأعمال والعلوم الاقتصاديّة، في الجامعة، يوم ٢٢ نيسان ٢٠١٠، وبرعايةِ وزير الاقتصاد والتجارة محمّد الصفدي.

الوزير **محمّد الصفدي** تحدّث عن مؤشّرات مشجّعة وأخرى مقلقة في الوقائع، وإصلاحات مطلوبة في البنية التحتيّة. قال: في الوقائع مؤشّرات مشجّعة، أبرزها:

– نموّ اقتصاديّ متواصل منذ العام ٢٠٠٧ معدّله السنويّ يقارب ال٧،٥٪، وتدفّقات نقديّة كبيرة زادت حجم الودائع في المصارف في العام ٢٠٠٩ ١٨ مليار دولار أميركيّ أي ما نسبته ٢٣٪ وارتفاع لاحتياطيّ النقد الأجنبيّ لدى مصرف لبنان إلى حوالى ٢٦ مليار دولار في آخر العام الماضي.

أمّا الدين العامّ، وعلى الرغم من ارتفاعه المستمرّ، فقد سجّل انخفاضًا بالنسبة إلى الناتج المحليّGDP من ١٨٠٪ في آخر العام ٢٠٠٦ إلى ١٥٧٪ في آخر العام ٢٠٠٩.

ولكنّ الوقائع تحمل أيضًا مؤشّرات مقلقة، من أبرزها:

• تمركز النشاط الاقتصاديّ القويّ قطاعيًا وجغرافيًا. فنموّ النشاط الاقتصاديّ في السنوات القليلة الماضية تمركز في قطاعي السياحة والعقارات، في بيروت وبعض مناطق الجبل. أي إنّ الازدهار الاقتصاديّ هذا لم يشمل مجمل المناطق والناس. كما أنّ الفورة العقاريّة، وهذا موضوع اقتصاديّ واجتماعيّ هامّ جدًا، وبالأخصّ بالنسبة للشباب، رفعت أسعار شراء وإيجارات الشقق بشكل غير اعتياديّ مما ولّد أزمة سكن للأسر الجديدة والشابّة.

• عدم تحويل التدفّقات النقديّة بما يكفي إلى قروض لاستثمارات منتجة لعدد كبير من المقترضين، إذ إنّ حصّة التسليفات للقطاع الخاصّ من إجماليّ موجودات المصارف هي ٢١٪ فقط، وهي نسبة في انخفاض متواصل منذ العام ٢٠٠٦.

• استمرار نموّ الدين العامّ بكلفة خدمة دين مرتفعة يلحظ لها مشروع موازنة ٢٠١٠ أكثر من ٤ مليار دولار، وهذه تمثّل لوحدها نصف إيرادات الموازنة.

إلاّ أنّ المؤشّر الأكثر مدعاة للقلق هو تراجع إنتاجيّة الاقتصاد اللبنانيّ. فمعدّل إنتاجيّة العامل في لبنان حاليًا أدنى بحوالى ٢٠ إلى ٢٥٪ عمّا كان عليه عام ١٩٧٤. فمع كلّ الاعتبارات بالنسبة للأخطاء الإحصائيّة الممكنة ، يدلّ هذا المؤشّر على خلل أساسيّ في بنية الاقتصاد اللبنانيّ، إذ إنّ هذا الواقع قائم بعد مرور عشرين سنة على انتهاء الحرب في لبنان.

ويصاحب ضعف الإنتاجيّة هذا عدم قدرة اقتصادنا على خلق فرص عمل كافية، بالأخصّ للشباب ولذوي الكفاءات. وأعداد كبيرة من العمّال وغالبية أصحاب المهارات يطمحون إلى الهجرة بحثًا عن عمل يجني دخلاً لائقًا. ولولا مجالات الهجرة وأسواق العمل المتاحة للبنانيّين في دول الخليج العربيّ لكان وضع البطالة في لبنان مأساويًا.

في مواجهة هذه الوقائع المشجّعة والمقلقة معًا، يطرح الناس أسئلة مشروعة عن مصير الاقتصاد وفرص العمل، وعن الدخل وعمّا تقوم به الدولة وما هو مطلوب منها.

أمّا أبرز الإصلاحات المطلوبة فهي تتركّز على الانسان كما على البنية التحتيّة.

ففي مجال بناء القدرات البشريّة يحتاج لبنان إلى إصلاح التعليم العامّ لرفع مستوى جودته في المدارس الحكوميّة التي هي الخزّان البشريّ الأكبر لليد العاملة، والركيزة الأهمّ للإنتاجيّة الاقتصاديّة. فعندما يرتفع مستوى التعليم وتتحسّن جودته، يرتفع مستوى الإنتاجيّة في جميع القطاعات والأنشطة الاقتصاديّة. ومع تقديرنا للجهود المبذولة من الجميع في التعليم المدرسيّ والجامعيّ الرسميّ والخاصّ، فإنّ مستوى التعليم في لبنان تراجع بصورة ملحوظة، حتّى أنّ عددًا كبيرًا من متخرّجي الجامعات يفتقدون إلى القدرة التحليليّة المنهجيّة لا بل القدرة على كتابة نصّ واضح.

وعليه، فإنّ تحسين نوعيّة التعليم المدرسيّ والجامعيّ في لبنان وربطه باحتياجات سوق العمل، مسألة اقتصاديّة محوريّة تتوقّف عليها إنتاجيّة العامل، وترتبط بقدرة الاقتصاد على النموّ وإنتاج فرص العمل ولاسيّما للشباب. وآمل أن نعطي هذه المسألة الأهميّة التي تستحقّ.

وفي موازاة إصلاح البنية البشريّة، يحتاج الاقتصاد اللبنانيّ إلى ورشة تشريعيّة لتحديث القوانين وتحسين بيئة الأعمال لإطلاق قدرات

القطاع الخاصّ الذي بفضله اجتاز الاقتصاد الوطنيّ أخطر المراحل، والذي من دونه لا يتحقّق أيّ نمو.

كذلك يحتاج الاقتصاد إلى إصلاحات في البنية التحتيّة الماديّة، يأتي في طليعتها إصلاح قطاعات الكهرباء والاتصالات والنقل. وفي هذا الإطار سبق أن اقترحتُ على مجلس الوزراء مشروعًا لبناء سكّة حديثة للقطار على امتداد الساحل تتكامل مع شبكة طرقات سريعة بين الساحل والمناطق الجبليّة والبقاع لتسهيل وتسريع انتقال الناس ونقل البضائع. وهذا المشروع من شأنه أن يفتح المناطق اللبنانيّة بعضها على بعض، ويحفّز الناس للعيش والعمل خارج حدود العاصمة المكتظّة بالسكّان، ويشجّع المستثمرين لنقل أعمالهم جزئيًا آو كليًا إلى الشمال والبقاع والجنوب ممّا يحقّق تلقائيًا إنماءً متوازنًا للمناطق.

وجاء في مداخلة العميد الدكتور **إيلي يشوعي:** من المرتكزات الأساسيّة لحال الاستقرار الاقتصاديّ، السياستان الماليّة والنقديّة والتنسيق المستمرّ بينهما. فالأولى تعنى بالموازنة العامّة للدولة وما تحويه من نفقات وواردات تعكس سياسة الحكومة في مجالات الإدارة الرسميّة والإنماء والتنمية والضريبة، وتهتمّ الثانية بتوفير السيولة للاقتصاد أوّلاً ومن ثمّ للخزينة لكي ينمو هذا الاقتصاد بدرجة أعلى من نموّ السكان ويوفّر فرص العمل الملائمة للّذين يعرضون مهاراتهم المهنيّة في أسواق العمل وأيضًا الحياة اللائقة والكريمة للأسر من مختلف الفئات الاجتماعيّة.

التنسيق بين السياستين الماليّة والنقديّة لازم؛ فمن غير الجائز أن تعتمد سياسة نقديّة انكماشيّة تعقّم السيولة في استعمالات لا يفيد منها القطاع الخاصّ المنتج مثل الودائع المصرفيّة الكبيرة في البنك المركزيّ أو إصدارات سندات الخزينة وشهادات الإيداع أو ارتفاع الحساب الدائن للخزينة في مصرف لبنان، هدفها الظاهريّ السيطرة على التضخّم والمضيّ في انتهاج سياسة تثبيت سعر صرف العملة الوطنيّة، ومن جهة أخرى سياسة ماليّة توسّعيّة تزيد نسبة العجز الماليّ وحجم الدين العام وتضخّ سيولة من دون إنتاج وتتعارض مع هدف السياسة النقديّة. فإمّا أن تكون السياستان انكماشيّتين في حالات الفورة الاقتصاديّة تفاديًا للتضخّم وتقلّب سعر الصرف، أو توسّعيتين في حالات الركود الاقتصاديّ لحفز الاستهلاك والاستثمار والنموّ.

اعتمدت الدولة في لبنان، ومنذ نحو عقدين من الزمن، سياسة نقديّة انكماشيّة اعتبرت لا بدّ منها لتثبيت سعر صرف العملة، ارتكزت على تعقيم السيولة والفوائد المرتفعة، وقد تسبّبت في تضخيم الدين العامّ وإبطاء توسّع النشاط الاقتصاديّ وهجرة الأدمغة اللبنانيّة، وعلى سياسة ماليّة توسّعيّة باستمرار، غالبًا ما كانت تموّل الهدر في الإنفاق الرسميّ والمحاصصة في النفقات العامّة وخدمة الدين العامّ المتعاظم بسبب السياسة النقديّة الانكماشيّة. فقد بلغ المتوسّط السنويّ لإنفاق الدولة خلال تلك الفترة ٦،٧ مليارات دولار، وعائداتها السنويّة ٤ مليارات دولار، مسجّلة عجزًا سنويًا وسطيًا قارب ٣ مليارات دولار.

وقد مثّلت الرواتب والأجور والمساعدات الاجتماعيّة متوسّط ٤٠٪ من إنفاقها السنويّ وخدمة دينها ٤٠٪ أيضًا ودعم الكهرباء ٧ ٪ والمشاريع الإنمائيّة ١٣ ٪ فقط.

ولا تزال المصارف مع مصرف لبنان تموّل ٧٥٪ من الدين العامّ الإجماليّ بينما يمثّل التمويل الخارجيّ ١٣٪ منه.

التعقيم والاستبعاد النقديّان جليّان في القرار الاقتصاديّ الرسميّ: ودائع المصارف لدى مصرف لبنان، راهناً ٣٦ مليار دولار؛ قروض مصرف لبنان للخزينة ١٠ مليارات دولار؛ ديون بشكل ودائع للقطاع العامّ في الجهاز المصرفيّ ٧ مليارت دولار؛ ديون المصارف على القطاع العامّ ٣٠ مليار دولار. واقعُ أن تشكّل الودائع المصرفيّة ثلاثةَ أضعاف الإنتاج المحليّ، يجب أن يكون نعمة لا نقمة على لبنان، أي أن تساعد على توسّع رقعة الاقتصاد وأنشطته وإنتاجه، لا أن تجعل القطاع الخاصّ كما هي الحال راهنًا، يُستهلك كثيرًا بالدين بسبب الاستيراد الكثيف والعجز الكبير في الميزان التجاريّ، والقطاع العامّ ينفق كثيرًا بالدين ويراكم دينًا عامًّا إضافيًا يرمي بثقله وأعبائه على المنتجين والمكلّفين اللبنانيّين. فالديون لكلّ

القطاع الخاصّ لا تتعدّى ٢٥ مليار دولار من أصل ١٠٠ مليار دولار ودائع مصرفيّة، بينما القطاع العامّ ممسك بـ٦٦ مليار دولار منها.

لا يزال النظام الضريبيّ في لبنان بعيدًا من مفهومي العدالة الاجتماعيّة والفاعليّة الاقتصاديّة، الضرائب متركّزة داخل مطارح محدودة: الأجور والسيّارات المستوردة والتبغ والكحول والبنزين والاتصالات وضريبة القيمة المضافة، ولها في غالبيّتها طابع غير مباشر لا يأخذ في الاعتبار مستوى الدخل ولا قدرة المكلّف على الدفع ولا يحفّز الإنتاج. فعندما تفرض رسوم جمركيّة عالية على السيّارات الجديدة المستوردة ومنخفضة جدًّا على السلع الاستهلاكيّة المستوردة خصوصًا من دول تقلّ تكلفة إنتاجها عن تكلفة الإنتاج في لبنان، يُضحي النظام الضريبيّ عقابًا، يعاقب البيئة ونوعيّة حياة اللبنانيّين، ويعاقب الإنتاج والمنتجين. وعندما تطبّق الضريبة بدقّة على الأجر، ويتملّص الدخل منها، يتعمّق التفاوت الاجتماعيّ.

فمن نظام الأجر إلى نظام الدخل الذي يحتوي على الأجر والإيجار، والفوائد المصرفيّة وتوزّع الأرباح، وأرباح الأصول الماليّة والعقاريّة، وعائد الدراسات والاستشارات، وحتّى الإرث إذا اعتبرناه دخلاً إستثنائيًا، تلعب الضريبة عندئذ دورها الاجتماعيّ وتتحلّى بفاعليّتها الاقتصاديّة، خصوصًا عندما تستعمل أداة لحفز العجلة الاقتصاديّة لا لعرقلتها، وتتوزّع بكفاءة واعتدال على أماكن إنفاق أوسع وأشمل.

قصور القطاع العامّ وتخبّطه يسبّبان فرض سلسلة من الضرائب غير المباشرة والأعباء الماليّة التي لا تلحظها قوانين الضريبة في لبنان، ضريبة الحفر على الطرقات، وضريبة التلوّث والدخان والغازات والإشعاعات، وضريبة الكلورين في مياه الشرب، وضريبة هدر المال والوقت في الإدارات الرسميّة، وضريبة عدم توافر الكهرباء ومياه الاستعمال المنزليّ والريّ، وضريبة الأطعمة الملوّثة والأدوية السامّة، وضريبة حرق الأعصاب على الطرقات والمفارق غير المدروسة التي تصبّ فيها، وضريبة تغيير وجهة سير المركبات التي تفرغ الشوارع فجأة وتؤثّر على التجارة، وضريبة خدمة الدين وتسديده على أجيال المستقبل.

صندوق النقد الدوليّ الذي يساعد الدول النامية التي تشكو عجزًا في ميزان مدفوعاتها وقيودًا على سعر صرف عملتها وحركة رساميلها الداخليّة والخارجيّة، يقدّم لها قروضًا مشروطة ببرامج إصلاحيّة محدّدة تندرج تحت عنوان النيوليبراليّة الاقتصاديّة، لكنّ تلك الدول لا تزال رغم ذلك ترزح تحت أعباء ديون كبيرة، ١٥٠٠ مليار دولار، ولا تزال شعوبها تعاني من الفقر والجوع والمرض والأمّية والبطالة، فهي وقعت حقيقة في فخّ الارتهان الماليّ الطويل المدى من دون تنمية بشريّة مباشرة. ونجد هذه الدول في أفريقيا وأميركا اللاتينيّة وآسيا والدول العربيّة غير النفطيّة منها لبنان.

عنوان البرامج الإصلاحيّة للصندوق، تحرير الاقتصاد، وتقليص دور الدولة من خلال الخصخصة وعدم التدخّل في الأسعار ومسارات الإنتاج وترك قوى السوق تحدّدهما، وتحرير التجارة الخارجيّة وخفض الحماية على الإنتاج المحليّ والعوائق الجمركيّة وغير الجمركيّة، وخفض الإنفاق الحكوميّ الذي يطال أيضًا مجالات الصحّة والتعليم، وخفض الاستثمار والاستهلاك الرسميين برغم أثرهما المضاعف على النموّ، وتشجيع التصدير الذي من خلاله خرجت الثروات الخاميّة ولا تزال من كثير من الدول النامية بأبخس الأثمان، وإلغاء الدعم والحماية للأنشطة الاقتصاديّة، ورمي الدول الفقيرة في أتون المنافسة الدوليّة.

لبنان الرسميّ، التزم من هذه السياسة بما لا يجب أن يلتزم به: الخفض الدراماتيكيّ للحماية على الإنتاج المحليّ الذي عرّضه للمنافسة غير المتكافئة والإقفال، وفتح الحدود بدل الانفتاح الاقتصاديّ، ولم يلتزم من هذه السياسة بما كان يجب أن يلتزم به: رفع الدعم عن العملة واعتماد سياسة الاستقرار النقديّ وعدم إلغاء أسواق النقد والقطع بدل سياسة التثبيت التي كلّفت لبنان عشرات المليارات من دولارات الدعم وديونًا كبيرة على القطاع العامّ وأعباء ضريبيّة أضافيّة لخفض العجز في الموازنات العامّة نتيجة تلك السياسة وحجمًا متواضعًا للاقتصاد، وهجرة مستمرّة للأدمغة والكفايات.

ما نتمنّاه، ليبيراليّة اقتصاديّة، نعم، لكن أكثر إنسانيّة أو مؤنسنة، ترتكز على أعادة توزيع عادلة للثروة الوطنيّة، وخفض التفاوت الكبير بين المداخيل، والانضباط التامّ في الإنفاق الرسميّ، وتحسين نوعية الحياة والقضاء على الظلم الاجتماعيّ والتهميش، ومحاسبة المرتكب ومساءلته ووضع قواعد ورموز وطنيّة لأخلاقيّات النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ في لبنان، أدارة وتطبيقًا داخل القطاعين الرسميّ والخاصّ.

هذا اقتصاد لبنان اليوم وهكذا نريده غدًا، داعمًا لدولة لبنان ومؤسّساتها ولشعب لبنان ومصالحه ومصالح أجياله الجديدة.

وتحت عنوان «واقع الحال الاقتصاديّة العامّة»، تحدّث د. **غازي عبدالله وزني:** اقتصاد ٢٠١٠ امتداد لواقع حال ٢٠٠٩: يتوقّف على الاستقرار الأمنيّ والسياسيّ.

١. **مشروع موازنة ٢٠١٠:** إنّها موازنة التسويات السياسيّة والتوافق الحكوميّ.

- **إيجابيّات مشروع الموازنة:** (قراءة أوّليّة).

١. لا تتضمّن ضرائب موجعة للمواطنين، وابتعدت عن زيادة في معدّل الضريبة على القيمة المضافة.

٢. اهتمت بأولويّات المواطنين: فزادت

- الانفاق الاستثماريّ (٪ ١٤٨ +) :
كهرباء- الطرق- المياه.
- التقديمات الاجتماعيّة: (٪ ٢٤ +) :
الطبابة— الأدوية.

٣. تعفي من رسوم التسجيل في المدارس الرسميّة للعائلات المتوسّطة والفقيرة الدخل.

٤- تتوجّه إلى الشراكة بين القطاع الخاصّ والقطاع العامّ لتمويل عجزها.

- **سلبيّات مشروع الموازنة:** (قراءة أوّليّة) .

١. تخلّت عن الإصلاحات، وغير منسجمة مع البرنامج الإصلاحيّ لباريس ٣.

٢. قلق من تزايد العجز في الماليّة العامّة من ٨،٥٦ ٪ من الناتج المحلّيّ عام ٢٠٠٩ إلى ١٠،٧٤ ٪ ، فضلاً عن انخفاض كبير للفائض الأوّليّ إلى ٢٧ مليار ليرة مقابل ١٣٢٣ مليار ليرة عام ٢٠٠٩ .

٣. الخشية من عدم القدرة على احتواء تنامي الدين العامّ نسبة للناتج المحلّيّ إلى ١٤٧ ٪ والعودة

إلى المنحى التصاعديّ. يقدّر أن يرتفع الدين العامّ من ٥١،١ مليار دولار إلى ٥٥،١ مليار دولار، أي بزيادة ٤ مليار دولار.

٤. مغالاة وزيادات غير طبيعيّة للإنفاق الاستثماريّ التي تصل إلى ٢٠٣٣ مليار ليرة، أي بزيادة ١٢١٤ مليار ليرة. لا تملك الحكومة القدرة على استيعاب أو استخدام نصف هذه الاعتمادات.

٥. زيادة الضريبة على فوائد الودائع من ٥ إلى ٧ ٪ غير ضروريّة. تستطيع الحكومة فرض ضريبة على سندات الخزينة المحمولة من قبل القطاع المصرفيّ اللبنانيّ وضريبة على الربحيّة العقاريّة وعلى تسوية المخالفات البحريّة.

٢. النموّ الاقتصاديّ:

يبقى قويًّا في السنة الجارية، إنّما بوتيرة أقلّ عن العام الماضي، إذ نتوقّع أن يقارب ٧ ٪ مقابل ٩ ٪ في عام ٢٠٠٩، بينما قدرت وزيرة المال النمو بحوالى ٤،٥ ٪.

يستند النموّ الاقتصاديّ إلى العناصر الآتية:

- في الدرجة الأولى، على الاستهلاك الناجم من حركة سياحيّة قويّة، ومجيء اللبنانيّين المغتربين، ودفع الحكومة القسم الثاني من تصحيح الرواتب والأجور، وأيضًا على استثمارات القطاع الخاصّ خصوصًا في القطاع العقاريّ.

- تحسّن أداء الاقتصاد في المنطقة حيث يُتوقّع أن يتجاوز النموّ ٥ ٪ مقابل ٢،٢ ٪ في العام الماضي.

- السياسة الماليّة والنقديّة المحفّزة للنموّ: خفض معدّلات الفوائد على التسليفات، ودعم الفوائد، وإعفاء من الاحتياطيّ الإلزاميّ لمشاريع إسكانيّة وبيئيّة وتعليم وجامعات... وتشجيع القروض الاستهلاكيّة والعقاريّة...

- تزايد الانفاق الاستثماريّ في مشروع موازنة ٢٠١٠ بنسبة ٢٤٨ ٪ لتصل إلى ٢٠٣٣ مليار ليرة مقابل ٨١٩ مليار ليرة عام ٢٠٠٩ (للبنية التحتيّة— الكهرباء— الطرق— المياه— المباني...)- (الافادة من فائض السيولة في المصارف— الشراكة بين القطاع الخاصّ والقطاع العامّ):

- تحسّن الصادرات بعد خروج العالم من الركود. يبقى حجم الصادرات ضعيفًا، إذ لا يتجاوز ٧ ٪ من الناتج المحلّيّ عام ٢٠٠٩ مقابل أكثر من ٢٠ ٪ في الأردن وتونس.

- تعافي الاقتصاد العربيّ، وخصوصًا الخليجيّ. ملاحظة: النموّ الاقتصاديّ القويّ الذي شاهدناه في السنوات الثلاث الأخيرة لم يساهم في ولادة فرص عمل، بل بقيت الهجرة هاجس وهدف العائلات والشباب.

٣. السياحة: رافعة للنموّ الاقتصاديّ— نتوقّع نموًّا مطّردًا في العام الحاليّ، وأن يصل عدد السيّاح إلى حوالى ٢،٥ مليون سائح أي بزيادة ٣٥ ٪ بفضل الانتعاش الاقتصاديّ في المنطقة، والمناخ المستقرّ داخليًّا والتسويق الإعلاميّ من قبل الوزارة.

- توفّر السياحة إيرادات تقارب ٤ مليار دولار، وتؤثّر مباشرة وغير مباشرة في نشاط العديد من القطاعات الاقتصاديّة.

٤. القطاع العقاريّ: محرّك رئيسيّ للنموّ الاقتصاديّ.

- نتوقّع مواصلة المنحى التصاعديّ لأسعار العقارات ولكن بوتيرة أبطأ أي أن تراوح الارتفاعات بين ١٥- ٢٠ ٪ مقابل أكثر من ٤٠ ٪ في العام الماضي .

- نتوقّع أن لا تتجاوز المبيعات العقاريّة ٥،٥ مليار دولار مقابل أكثر من ٧ مليار دولار في العام الماضي، أي بانخفاض نحو ٢٢ ٪ بسبب تراجع الطلب من قبل المستثمرين الخليجيّين وتوجّه طلب المغتربين اللبنانيّين نحو الشقق المتوسّطة الحجم، وزيادة الفرص الاستثماريّة في الخارج.

- يحظى القطاع العقاريّ اللبنانيّ بثقة المستثمرين اللبنانيّين والخليجيّين نتيجة صموده في وجه الأزمة العالميّة التي أصابت غالبيّة الأسواق العقاريّة في المنطقة والعالم.

٥. القطاع المصرفيّ: أداء قويّ في الداخل ونموّ لافت في نشاطه الخارجيّ نتيجة توسّعه إقليميًّا وعالميًّا.

- نتوقّع أن يتراجع نموّ القطاع من ٢٢ ٪ إلى أقلّ من ١٥ ٪ في العام الحاليّ نتيجة انخفاض هوامش الفوائد بين لبنان والخارج وتعافي المصارف في المنطقة وعودة المنافسة خصوصًا الخليجيّة، واستقرار الأوضاع الماليّة العالميّة إضافة إلى توسّع الفرص الاستثماريّة في الخارج وتراجع المخاوف لدى المغتربين اللبنانيّين.

- استمرار تراجع دولرة الودائع بسبب مواصلة التحوّيلات من الدولار إلى الليرة، إضافة إلى نموّ ملموس في الاقراض للقطاع الخاصّ، وتراجع حجم السيولة الفائضة، وزيادة حصّة مداخيل القطاع من الخارج.

- يبقى القطاع المصرفيّ المموّل الرئيسيّ لاحتياجات الحكومة البالغة نحو ١٥،٣ مليار دولار.

٦. القطاع الماليّ، الوضع النقديّ:

- متين ومستقرّ بفعل سيولة كبيرة بالعملات الأجنبيّة لدى المصارف، ووجود احتياطات ضخمة لدى مصرف لبنان بالعملات الأجنبيّة تجاوزت ٣٠ مليار دولار ناجمة في شكل أساسيّ من التحويلات من الدولار إلى الليرة.

- مواصلة الخفض التدريجيّ للفوائد، ولكن بوتيرة أبطأ بسبب اقترابها من المعدّلات في المنطقة وخوفًا من هروب الودائع.

- متابعة مصرف لبنان امتصاص السيولة الفائضة لدى المصارف للسيطرة على التضخّم النقديّ، وحفاظًا على استقرار القطاع المصرفيّ، وتجنّبًا لانهيار سوق الفوائد، وسعيًا للحفاظ على الاستقرار النقديّ.

٧. الماليّة العامّة: تغيّر منحى العجز من انخفاضيّ إلى تصاعديّ.

- ارتفاع العجز من ٨،٥٧ ٪ من الناتج المحليّ عام ٢٠٠٩ إلى ١٠،٧٦ ٪ عام ٢٠١٠، نتيجة ارتفاع زيادة التحويلات إلى مؤسّسة كهرباء لبنان و تزايد خدمة الدين العامّ و تضخّم حجم الانفاق الاستثماريّ.

- تأخير الإجراءات الإصلاحيّة: خصخصة الخليويّ— إصلاح هيكلة مؤسّسة كهرباء لبنان.

- ملاحظة: انخفض عجز الماليّة العامّة من ١٣،٥ ٪ من الناتج المحلّيّ عام ٢٠٠٦ إلى ٨،٥٤ ٪ عام ٢٠٠٩ .

٨. الدين العامّ: استقرار الدين العامّ نسبة إلى الناتج المحلّيّ:

- وصول المديونيّة العامّة إلى حوالى ٥٥ مليار دولار مقابل ٥١،١ مليار دولار عام ٢٠٠٩. أي

بزيادة نحو ٨،٢ ٪.

- توقّف المنحى التراجعيّ للدين العامّ نسبة للناتج المحلّيّ من ١٨٠ ٪ عام ٢٠٠٦ إلى ١٤٨ ٪ عام ٢٠٠٩ .
- استقرار الدين العامّ نسبة للناتج المحلّيّ (١٤٨ ٪) .

٩. التضخّم:

- ارتفاع التضخّم من ٣ ٪ العام الماضي إلى أكثر من ٦ ٪ في العام الحاليّ نتيجة تزايد اسعار المشتقّات النفطيّة والموادّ الغذائيّة في الخارج.

في المقابل تطرح وزيرة المال ارتفاع التضخم إلى حدود ٣،٧ ٪.

وحول «واقع القطاعات المنتجة» قدّم الأستاذ **ماركو أيّوب** الورقة التالية:

المقدّمة

- كيف تنمو الصناعة أو أيّ إنتاجيّ؟
- كيف تطوّرت Silicon Valley، كيف نمت المطاعم في الجمّيزة؟
- كيف نمت الصناعة في الولايات المتحدة؟
- هل مكوّنات الصناعة في فرنسا (صناعات نسبيًا كبيرة) مثل الصناعة في جارتها إيطاليا (صناعات نسبيًا صغيرة)؟
- ما هو تكوين الصناعة في لبنان؟
- موضوع الحماية: هل هي ضروريّة، هل هي مفيدة، هل هي مسيئة؟
- ما تأثير العولمة والحماية على الصناعة؟
- موضوع الكلفة: هل هو فعلاً عائق على صناعتنا؟
- دور الدولة في الإنماء الصناعيّ، كيف كان وكيف هو الآن في عديد من البلدان؟
- الخطط الصناعيّة في لبنان: عديدة وجيّدة، ولكن هل يمكن تطبيقها؟

أسئلة عديدة سيظهر من خلالها أنّ الأجوبة غير واضحة والمسألة غير سهلة.

الموضوع صعب ليس فقط عمليًا، ولكن أيضًا فكريًا.

أسئلة عديدة.. ولربّما يمكننا استخراج بعض الاستنتاجات والتوجّهات.

والواقع أنّه عَرضَ لموضوع الكلفة، والعولمة والحماية، وواقع الصناعة، مقدّمًا أمثلةً واقعيّةً من واقع حالِ بعضِ الدّول وفي لبنان أيضًا، مقترحًا بعضَ الأفكار العمليّة على مستوى خلق بيئة للصناعات الصغيرة مماثلة «للجمّيزة» أو على مستوى الصناعات الكبرى، بحيث، «ونظرًا لميزاتنا، وبالرّغم من أكلافنا ومن دون حماية، يكون مستقبل زاهر للصناعة في لبنان».

وأوجز الدكتور **لويس حبيقة** مداخلته «النموّ الاقتصاديّ والتنمية الاجتماعيّة في لبنان» بالآتي: لا شكّ أنّ الاقتصاد اللبنانيّ يتطوّر مع الوقت بالرّغم من الظروف الصعبة التي نعيش فيها. وقد جاء في محاضرة للرئيس فؤاد السنيورة ألقاها في جامعة لندن LSE في ٢٠٠٦/٥/٩ أنّ الناتج المحلّيّ الاجماليّ الفرديّ اللبنانيّ كان يوازي في سنة ١٩٧٥ الناتج الفرديّ البرتغاليّ والايرلنديّ. أمّا اليوم (أي في تاريخه)، فهو يوازي خمس الناتج الفرديّ البرتغاليّ وعشر الايرلنديّ، ممّا يدلّ على حجم الخسارة التي تكبّدها اللبنانيّون في العقود الماضية. هذا بالاضافة إلى الدمار والخسائر البشريّة والهجرة والديون والقلق على المستقبل وغيرها.

يعرف النموّ بنسبة الزيادة السنويّة للناتج المحلّيّ الاجماليّ الحقيقيّ خلال سنة أو أقلّ وفي دولة معيّنة، وذلك لمتابعة تطوّر الاقتصاد العامّ. هنالك من يعرّف عنه بنسبة الزيادة السنويّة للناتج المحلّيّ الفرديّ، ممّا يسمح بمتابعة أوضاع الفرد، وبالتالي تطوّر مستوى معيشته. فالنموّ ليس هدفًا بحدّ ذاته، وإنّما وسيلة لتحقيق رفاهيّة أعلى، أي تنمية اجتماعيّة أفضل. فهو سلاح فاعل لمحاربة الفقر وتطوير نوعيّة العمل والحياة وتحديث البنية التحتيّة. إنّه وسيلة تسمح بتعزيز الخدمات من صحّة وتعليم وغذاء وتحسين كلّ المؤشّرات المحدّدة من قبل الأمم المتحدة.

من نتائج النموّ، زيادة الطلب على السلع والخدمات دون أن ينتج عنه تضخّمًا لأنّ الاقتصاد يكبر. من نتائجه استيعاب اليد العاملة وخاصّة المتخرّجة الجديدة من الجامعات، فتزداد فرص العمل الداخليّة وتخفّ الهجرة. في تقرير للبنك الدوليّ حول النموّ، يتبيّن أنّ هنالك ١٣ دولة نمت بنسبة سنويّة قدرها ٧٪ على الأقلّ منذ سنة ١٩٥٠ ولمدّة ٢٥ سنة متتالية. هذا يعني أنّ حجم الاقتصاد يتضاعف مرّتين كلّ ١٠ سنوات. هذه الدول هي بوتسوانا، البرازيل، الصين، هونغ كونغ الصينيّة، إندونيسيا، اليابان، كوريا الجنوبيّة، ماليزيا، مالطا، عمّان، سنغافورة، تايوان الصينيّة وتايلاندا. يتبيّن أنّ بينها دولة عربيّة واحدة هي عمّان، وأفريقيّة واحدة هي بوتسوانا، وأميركيّة لاتينيّة واحدة هي البرازيل، أمّا الحصّة الكبرى فهي لآسيا وخاصّة للصين والاقتصاديين المتفرّعين منها. يشير التقرير إلى عدم وجود نموذج واحد للنموّ، وإنّما لكلّ مجتمع خصائصه وتاريخه وثقافته.

هنالك شروط عصريّة للتقدّم تنبع من التجارب ومدعومة أصلاً من النظريّات الاقتصاديّة المتنوّعة. فهل يتمتّع الاقتصاد اللبنانيّ بها، وما هي فرص التجدّد والتنوّع كي يتجهّز بشكل أفضل؟

أوّلاً: احترام حقوق الملكيّة الفرديّة؛ وهذا ما اشتهر به الاقتصاد اللبنانيّ عندما كانت اقتصادات المنطقة تخضع لقوانين التأميم والثورة الزراعيّة والإصلاحات المتنوّعة. أمّا المطلوب اليوم بالإضافة لما سبق، فتنفيذ قانون حماية الملكيّة الفكريّة الذي يشكّل أحد المداخل الأساسيّة للبنان إلى منظّمة التجارة العالميّة.

ثانيًا: حريّة التبادل والعقود وهذا مهمّ لتوسيع قاعدة الاقتصاد. فالعوائق في وجه التبادل التجاريّ الداخليّ تؤخّر التقدّم. من هذه العوائق الفساد الإداريّ العامّ والقوانين والقواعد القديمة التي تهرّب المستثمرين.

ثالثًا: أسواق تنافسيّة شفّافة وفاعلة، حيث تتنافس الشركات لإرضاء المستهلك الذي يجب أن يكون سيّد السوق أو مَلكه. فالمنافسة الشديدة الحرّة تشجّع على التغيير والإبداع. لكن هنالك عوائق كبيرة أمامها، منها قانون حماية الدولة للوكالات الحصريّة الذي يبقي الأسعار مرتفعة، ويشكّل أحد العوائق الرئيسيّة أمام دخول لبنان إلى منظّمة التجارة العالميّة. يحتاج لبنان إلى قوانين عصريّة لحماية المنافسة وقانون جديد لحماية حقوق

المستهلك بحيث يحصّل الأخير حقوقه بسرعة عبر محاكم متخصّصة تبتّ بفعاليّة في الشكاوى.

رابعًا: أسواق رؤوس مال شفّافة وفاعلة؛ وهذه ناقصة لكنّها ضروريّة لتحقيق النموّ والتنمية. يحتوي لبنان على قطاع مصرفيّ فاعل، لكنّه يحتاج إلى قطاع ماليّ متكامل تمويلاً للاستثمارات وتأمينًا لحاجات الادّخار.

خامسًا: الاستقرار النقديّ، وهذا تحقّق عبر تثبيت سعر صرف الليرة تجاه الدولار الأميركيّ، ممّا سمح بالسيطرة على التضخّم الذي تفشّى في الثمانينات، وكانت تكلفة السيطرة عليه عالية جدًا. لهذا الاستقرار النقديّ فوائد كبيرة، إلاّ أنّ له مساوئ مهمّة أيضًا تتعلّق بربط الواقع الاقتصاديّ الداخليّ بالأميركيّ. في كلّ حال، من الصعب الآن الانتقال إلى سعر الصرف الحرّ، طالما أنّ الوضع اللبنانيّ الداخليّ متقلّب لأسباب متعدّدة معروفة.

سادسًا: نسب ضرائبيّة منخفضة؛ وهذا ما تمتّع به الاقتصاد اللبنانيّ تجاه معظم الاقتصادات الحرّة. يجب على الحكومة أن تباشر بضبط الإنفاق ووقف الهدر وتحقيق بعض الإصلاحات الإداريّة قبل مطالبة المواطن اللبنانيّ بدفع المزيد من الرسوم والضرائب. المطلوب إعادة بناء الثقة الضائعة بين المواطن وأجهزة الدولة التي يموّلها.

سابعًا: تجارة دوليّة حرّة، أي انفتاح على الأسواق الخارجيّة في الاتجاهين وهذا متوافر، لأنّ التحدّي الأكبر للبنانيّين يكمن في تخفيض عجز الميزان التجاريّ الذي يؤثّر سلبًا على ميزان المدفوعات. خفض العجز يعتمد على زيادة إنتاج القطاعات ثمّ التسويق. أمّا العلاقات الاقتصاديّة مع سوريا فهي في غاية الأهميّة، وما الاتفاقيات الموقّعة إلاّ وسيلة لتفعيلها. فالمشكلة لا تكمن في الاتفاقيّات، وإنّما في التنفيذ الذي أعاقته الظروف.

يحتاج لبنان إذًا إلى ورشة عمل كبيرة وجديّة كي ينتقل إلى الدرجة التي يطمح إليها اللبنانيّون.

وعن «دور المصرف المركزيّ في زيادة حجم الاقتصاد والسيطرة على التضخّم»، قال الأستاذ **رائد شرف الدين** النائب الأوّل لحاكم مصرف لبنان:

دور المصرف المركزيّ في تحفيز النموّ الاقتصاديّ

هدفت السياسة النقديّة المعتمدة من قبل مصرف لبنان منذ العام ١٩٩٣ إلى أربعة:

- إعادة الثقة بالعملة الوطنيّة
- تحفيز التسليفات للقطاعات الإنتاجيّة
- المحافظة على قطاع مصرفيّ سليم
- تشجيع الاستثمار

أوّلا. إعادة الثقة بالعملة الوطنيّة

إنّ الثقة هي العامل الأساسيّ للتطوّر الاقتصاديّ والحفاظ على استقرار الأسعار. وقد عملت سياسة استقرار سعر صرف الليرة بشكل أساسيّ على استرداد الثقة والحدّ من التضخّم بعد أن عرف لبنان تدهورًا حادًا لسعر صرف الليرة منذ أواسط الثمنينات لغاية العام ١٩٩٢ حيث تضاعفت الأسعار بشكل تضخّم مفرط Hyperinflation. وبالرّغم من الإقبال الحاليّ على الليرة اللبنانيّة، فإنّ مصرف لبنان متمسّك بسياسة التثبيت النقديّ بمستوياتها الحاليّة، باعتبار أنّ مصلحة لبنان هي في استقرار عملته الوطنيّة، ولا توجد أيّ مصلحة اقتصاديّة في تحسين سعر الصرف. إنّ لبنان بلد مستورد، ومستوى الحياة لدى شريحة واسعة من اللبنانيّين مرتبط بسعر الليرة، وأيّ تعديل يخفض من قيمتها سينعكس سلبًا على الاستقرار الاجتماعيّ والاقتصاديّ بما فيه الاستقرار التسليفيّ ونجاح سياسات الخصخصة مستقبلاً وغيرها من سياسات تحفيز الاستثمار المنتج.

ثانيًا. تحفيز التسليفات للقطاعات الإنتاجيّة

أدرك مصرف لبنان، ومنذ مدّة طويلة، أنّ التسليف المدروس والمنظّم يشكّل ركيزة للنموّ الاقتصاديّ حيث جهد خلال السنوات الماضية في تقديم التحفيزات المتنوّعة للمصارف من أجل الانخراط في برامج تسليفيّة تشجّع القطاع الخاصّ على الاستثمار في القطاعات الإنتاجيّة وزيادة فرص العمل. فقام بوضع الشروط التنظيميّة لإفادة المصارف من دعم الدولة للفوائد المدينة للقروض التي تنحها للمؤسّسات الصناعيّة أو السياحيّة أو الزراعيّة أو تلك الممنوحة عبر المؤسّسات الدوليّة. وقد حدّد مصرف لبنان الحالات التي تحصل فيها المصارف على إعفاءات خاصّة من الاحتياطيّ الإلزاميّ مثل منح القروض للمؤسّسات الصغيرة والمتوسّطة لقاء كفالة من شركة كفالات والقروض الإنتاجيّة والقروض السكنيّة الممنوحة من قبل المؤسّسة العامّة للإسكان. كما أعفى المصارف من الاحتياطيّ الإلزاميّ لدى منحها قروضًا صغيرة إلى مؤسّسات الإقراض الصغير أو حين تقوم مباشرة بمنح القروض الصغيرة للمؤسّسات التي تتألّف من أربعة أشخاص أو ما دون لإطلاق وتطوير مشاريعهم الإنتاجيّة.

كما قام مصرف لبنان، في حزيران ٢٠٠٩

بتوسيع دائرة الحوافز للتسليف المحلّيّ المدروس والمنظّم، حيث أصدر تعاميم تهدف إلى تشجيع الإقراض بالليرة اللبنانيّة بكلفة أقلّ من خلال تقديم إعفاءات جديدة من موجب تكوين الاحتياطيّ الإلزاميّ بحدود معيّنة، وذلك لتمويل قروض المسكن الأوّل أو لمتابعة التعليم العالي وكذلك لتمويل المشاريع الصديقة للبيئة أو أيّ مشروع استثماريّ جديد ينطلق لغاية حزيران ٢٠١١، ممّا يساهم في تحريك الاقتصاد وتوفير فرص عمل جديدة.

وقد آلت هذه التحفيزات إلى إعادة إحياء التسليفات للقطاع الخاصّ بحيث ارتفعت بمعدّل ٣٤٪، علمًا أنّ ارتفاع مضاعف التسليف Credit Multiplier له تأثير إيجابيّ على النموّ الاقتصاديّ.

ثالثًا. المحافظة على قطاع مصرفيّ سليم

تركّزت جهود مصرف لبنان منذ العام ١٩٩٣ على إرساء مجموعة متكاملة من النظم المصرفيّة، التي قد تكون اعتبرت متشدّدة في حينها، لكنّها أثبتت فعاليّتها وكفاءتها في جعل القطاع المصرفيّ، المؤتمن الأساسيّ على مدّخرات اللبنانيّين، أحد أهمّ مكامن القوّة في الاقتصاد الوطنيّ، وذلك من خلال حثّ هذا القطاع على التجهّز بالخبرات والمهارات والتقنيّات العالية التي تؤهّله للتمدّد في الأسواق الإقليميّة والدوليّة والانخراط بكفاءة في العولمة الماليّة وتسهّل عليه التكيّف وجبه الصعاب والأزمات على اختلاف أنواعها وآخرها ارتدادات الأزمة الماليّة العالميّة الراهنة.

من أهمّ ركائز السياسة المصرفيّة العامّة المعتمدة من مصرف لبنان خلال السنوات السابقة تحصين رسملة المصارف، ومطالبتها بتكوين نسب ملاءة عالية تعدّت مؤخّرًا نسبة الـ١٢٪ وبالاحتفاظ بمعدّلات سيولة مرتفعة تفوق حاليًا نسبة الـ٣٠٪ من أصل الميزانيّة المجمعة للمصارف، والتركيز على اعتماد مؤونات عامّة ورافعة ماليّة أقلّ، كما ومطالبة المصارف بالربط بين القيام بنشاطات معيّنة ومقدار قيمة الأموال الخاصّة للمصرف وبتطبيق المعايير الدوليّة أيضًا فيما خصّ الإدارة الحكيمة والشفافيّة والمحاسبة ومكافحة تبييض الأموال، إضافة إلى الحثّ على اعتماد سياسات تسليفيّة تراعي ما بين الغاية التجاريّة من القرض وإدارة المخاطر وسياسات فوائد واقعيّة تمنع السعي وراء مردود مرتفعة يحمل المزيد من المخاطر، وكذلك التشديد مؤخّرًا على توزيع نسبة أقلّ من الأرباح ورسملة جزء منها لتشكّل عنصرًا مساعدًا للقطاع المصرفيّ في حال الأزمات.

كما قضت سياسات مصرف لبنان بالحؤول دون إفلاس المصارف في لبنان عبر تشجيع عمليّات الدمج من دون إيقاع خسائر للمودعين. وقد خرج من السوق ٣٠ مصرفًا خلال العقد والنصف الماضي من دون تكبيد أيّة خسارة أو تسجيل كلفة على المودعين.

ومن جهة أخرى، فإنّ الحفاظ على سلامة القطاع المصرفيّ قد ساهم في تضاعف قدرة القطاع المصرفيّ على تمويل الدين العامّ، وسمح بتجنيب آثار سلبيّة قد كان من الممكن أن تطال النموّ الاقتصاديّ بشكل مباشر نتيجة إدارة الدين العامّ كما هو الحال في اليونان.

رابعًا. تشجيع الاستثمار

إنّ مفاد ثبات سعر الصرف هو تشجيع الاستثمار الخاصّ، وذلك لأنّ الاستقرار عامل أساسيّ لإنجاح توقّعات المستثمرين. ويظهر استطلاع الأوضاع الاقتصاديّة إلى ارتفاع الاستثمار الصناعيّ والاستثمار العقاريّ منذ العام ٢٠٠٦.

ومن جهة أخرى عمل مصرف لبنان على تشجيع المبادرة عبر إطلاق برامج لتفعيل الطاقة الإنتاجيّة في الاقتصاد على النطاق الصغير والمتوسّط وذلك عبر توحيد الجهود على الصعيد الوطنيّ كاستحداث حاضنات، واستقطاب الرأس المال المخاطر...

تحت مظلّة (ESA, Berytech, South Bic, BIAT, Bader, MIT Business plan, Young Entrepreneurs Lebanon).

دور المصرف المركزيّ في الحدّ من التضخّم

أمّا فيما يتعلّق بالحدّ من التضخّم، وكما أشرت سابقًا، فقد ساهمت سياسة تثبيت سعر الصرف في استعادة الثقة ولجم التضخّم المفرط بصورة حاسمة وصل إلى أرقام غير مسبوقة في الثمانينات وبداية التسعينات.

ويلجأ مصرف لبنان إلى تعقيم السوق الماليّ للجم التضخّم عندما تكون السيولة فائضة، وذلك عبر إصدار شهادات إيداع بالليرة اللبنانيّة والدولار الأميركيّ.

أهميّة إعادة إحياء الطبقات المتوسّطة

إنّ المعيار الحقيقيّ لأيّ سياسة اقتصاديّة واجتماعيّة هو في مدى مساهمتها في بناء طبقة متوسّطة واسعة ومندمجة في الاقتصاد الوطنيّ. فالطبقة المتوسّطة هي صمّام الأمان الاجتماعيّ والاقتصاديّ، بل، والسياسيّ، وهي التي يعتمد عليها تماسك الهرم الاجتماعيّ. فكلّما اتسعت هذه الطبقة واستقرّت أوضاعها، كلّما كان هنالك استقرار اجتماعيّ واقتصاديّ وسياسيّ. فالمجتمعات التي لها تاريخ طويل من الاستقرار، هي تلك التي تمثّل طبقتها المتوسّطة الشريحة الأوسع، بحيث لا تشكّل القمّة القاعدة إلاّ أعدادًا لا تصل في مستواه إلى عدد الطبقة المتوسّطة، إنّ الخطر يكمن في انكماش الطبقة المتوسّطة وانحدار أعداد كبيرة منها إلى قاعدة الهرم، بحيث يصبح الأكثر عددًا في المجتمع، وتبقى القمّة عبارة عن قلّة معزولة لا علاقة لها ببقيّة المجتمع ممّا ينتج خللاً حقيقيًا في المجتمع وخطرًا قد لا تتبيّن آثاره إلاّ بعد حين.

وبحسب تصريح عن نائب المدير العامّ لمكافحة الفقر والإدارة الاقتصاديّة في البنك الدوليّ، داني ليبزيغر، في شهر آذار ٢٠٠٨، «يمكن القول، في أنموذج البلدان ذات الدخل المنخفض، أنّ هنالك ٣٠ في المائة من السكّان تحت خطّ الفقر والنخبة في أعلى العُشر، وذلك يعتمد التقدّم والتطوّر إلى حدّ كبير على الطبقة المتوسّطة التي تشكّل ٦٠ في المائة. في كثير من البلدان النامية، توفّر هذه الشريحة قدرًا كبيرًا من الاستثمارات المحلّيّة، والقوّة الشرائيّة، واليد العاملة، ويمكن القول، (أنّها توفّر) الاستقرار الاجتماعيّ. كما تقدّم هذه الشريحة التي هي فوق خطّ الفقر أنموذجًا للفقراء. يتعيّن على الحكومات أن تضاعف الجهود خاصّة على الـ ٦٠ في توفير السكن وصولاً إلى تكوين الثروات».

الواقع في لبنان

يظهر التقرير حول «الفقر والنموّ وتوزيع الدخل في لبنان» المعدّ من قبل وزارة الشؤون الاجتماعيّة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائيّ، بالتعاون مع إدارة الإحصاء المركزيّ في العام ٢٠٠٨، أنّ:

- حوالى ثمانية في المائة من السكّان اللبنانيّين يعيشون تحت ظروف الفقر المدقع (أي أقلّ من خطّ الفقر الأدنى). وهذا يعني أنّ حوالى ٣٠٠ ألف فرد غير قادرين على تلبية احتياجاتهم الأساسيّة من الغذاء والحاجات غير المتعلّقة بالتغذية. يعادل خطّ الفقر الأدنى (عند تحويل سعر الصرف الرسميّ الحاليّ) ٢،٤٠ دولار أميركيّ للفرد يوميًا.
- حوالى ٢٨،٥ في المائة من السكّان، أي نحو مليون لبنانيّ، يعيشون دون خطّ الفقر الأعلى، أي أنّ مستوى استهلاكهم أقلّ من ٤ دولار أميركيّ للفرد في اليوم الواحد.

وفي دراسة لميزانيّة الأسر للعام ٢٠٠٧- ٢٠٠٥، المعدّة من قبل إدارة الإحصاء المركزيّ، قمنا بمحاولات لتحديد الطبقة المتوسّطة في لبنان، ووجدنا بعد التمعّن في توزيع الدخل من جهة والاستهلاك من جهة أخرى، وذلك بعد تعديل توزيع الإنفاق السنويّ وحسب الأفراد وفق نسب التضخّم من العام ٢٠٠٤ للعام ٢٠٠٩، أنّ الطبقات المتوسّطة تضمّ الأفراد ذوي الإنفاق اليوميّ المتراوح بين ٥،٠٦$ و٢٢،٠٧$ وتشكّل ٦٣٪ من المجتمع.

إنّ التفاوت في المداخيل يوثّر على أنماط الاستهلاك، وبالتالي على بنية ميزانيّة الأسر، فنلاحظ أن الإنفاق الأسريّ على المسكن والماء والغاز والكهرباء والمحروقات يتصدّر الباب الأوّل من أبواب الإنفاقات بشكل عامّ مع وجود بعض التفاوت بين الأسر ذات المداخيل الضعيفة والمتوسّطة والمرتفعة على نحو ٣٤٪، ٢٧٪ و٢١٪ بالتوالي.

ونلاحظ أنّ الأسر ذات المداخيل الضيّقة أنفقت جزءًا مهمًا من ميزانيّتها على الغذاء (ما يزيد عن ٢٢٠٤٪) والصحّة (١٤،٠٨٪). في المقابل تدنّى حجم هذا الإنفاق لدى الأسر ذات المداخيل المرتفعة ليبلغ نسب الـ١٤،١٦٪ و٤،٢٪ على التوالي. كذلك ازداد حجم الإنفاق الأسريّ على النقل والتسلية مع ارتفاع الدخل؛ فقد بلغت نسبة الإنفاق على النقل والتسلية لدى الأسر المرتفعة الدخل ١٥،٤٩٪ ز٥،٠٥٪ على التوالي في حين بلغت ٦،٠٧٪ و٢،٦٦٪ لدى الأسر المنخفضة الدخل. أمّا التعليم فهو يحتلّ المرتبة الرابعة من أبواب الإنفاق الأسريّ للمداخيل المتوسّطة والمرتفعة، في حين يحتلّ المرتبة الخامسة من أبواب الإنفاق الأسريّ للمداخيل المتدنيّة.

ووفقًا لأبواب الإنفاق الأسريّ، فإنّ الطبقات المتوسّطة تعنى بشكل مباشر بالقروض للمسكن الأوّل لمتابعة التعليم العالي التي قام مصرف لبنان بتحفيزها.

الخلاصة

إنّ توجّهات مصرف لبنان الأخيرة لتحفيز دور القطاع الخاصّ وإطلاق عمليّات التسليف بالليرة اللبنانيّة سوف تبعد أسواقنا عن المضاربة، وتخفّف من المخاطر لدى القطاع المصرفيّ، وتؤمّن قدرة أكبر على النموّ والتحكّم بالتطوّرات الاقتصاديّة خصوصًا لجهة توفير فرص عمل أكثر لشريحة واسعة من اللبنانيّين، كما أنّها سوف تعيد إلى الليرة دورها كعملة تسليف ومحاسبة بعدما كانت إلى فترة طويلة عملة ادّخار وتداول بشكل محدود أيضًا الأمر الذي يعزّز إعادة تفعيل الاقتصاد الوطنيّ.

ومن المرتقب أن يكون لتوجّهات مصرف لبنان الأخيرة دور كبير من حيث تفعيل وتشجيع توجيه التحويلات الماليّة للمهاجرين إلى لبنان نحو استثمارات وفرص عمل جديدة، خصوصًا بعد بلوغ حجم التحويلات رقمًا قياسيًا غير مسبوق قيمته ٧ مليار بحسب البنك الدوليّ، ممّا رفع لبنان إلى المرتبة الثانية في المنطقة بعد مصر من حيث حجم التحويلات، وأيضًا إلى المرتبة الأولى في المنطقة والسابعة في العالم من حيث حجم التحويلات إلى الناتج الإجماليّ.

إنّ مصرف لبنان مستمرّ في سياسة الاستقرار النقديّ، لأنّ الحفاظ على سلامة النقد الوطنيّ بات يشكّل الركيزة الأساسيّة لتدعيم الثقة والاستقرار الاجتماعيّ والاقتصاديّ والمحافظة على المستوى المعيشيّ لشريحة واسعة من اللبنانيّين.

إنّ إعادة إحياء الطبقات المتوسّطة في لبنان وتأمين العدالة الشاملة في توزيع الدخل الوطنيّ لا يمكن أن تتحقّق بسياسات مصرف لبنان وحدها، وإنّما هي بحاجة لسياسات حكوميّة ماليّة داعمة وإصلاحات اقتصاديّة طال انتظارها. لذلك فإنّ الأوّلويّة، وفي ظلّ المخاطر التضخّميّة المتوقّعة واحتمال ارتفاع الأصول والذهب، تكمن في مكافحة عجز الموازنة لتحرير موارد إضافيّة للتنمية. والأمر الملحّ هو إسراع الحكومة الجديدة في تطبيق الإصلاحات في قطاع الطاقة والكهرباء والاستفادة من السيولة المتوافرة بالليرة اللبنانيّة التي، إذا ما أحسن استعمالها، تكفي لتوفير التمويل المطلوب للقطاع الخاصّ لتنفيذ مشاريع كبرى تحتاج إليها البلاد في مجالات عدّة وخصوصًا في مجال الطاقة والبيئة والمياه ممّا سيفضي إلى تخفيض مهمّ في عجز الموازنة ويفتح أمام البلاد فرصة ذهبيّة لتحسين مناخ الاستثمار وتأسيس اقتصاد حديث ديناميكيّ، يوفّر فرص عمل لـ٢٤ ألف متخرّج جامعيّ سنويًا ومداخيل أفضل تحسّن القدرة الشرائيّة لدى الطبقات المتوسّطة وتعيد لها دورها الأساسيّ في تفعيل عجلة الاقتصاد.

وفي مجال «دور المصارف في حفز النموّ الاقتصاديّ» اختصر الدكتور **هشام البساط** قوله: عنوان قد يبدو أكاديميًا لموضوع يحتاج إلى إعادة نظر شاملة في السياسات الاقتصاديّة والماليّة المتبعة في لبنان؛ وذلك لإيجاد الحلول اللازمة لتنشيط عجلة الاقتصاد اللبنانيّ، ودفعها إلى الأمام.

إنّ استمرار تزايد المديونيّة العامّة، وارتفاع معدّلات الفوائد السائدة في لبنان قلّصت نسبيًا من قدرة المصارف على لعب دورها الأساسيّ في تحريك القطاعات الاقتصاديّة في لبنان، نظرًا لاستمرار صغر السوق اللبنانيّة المتمثّلة بالبورصة، وعدم وجود أيّة إصدارات سندات للشركات.

• في المرحلة السابقة، جاءت زيادات حاجات الدولة إلى الاقتراض المصرفيّ على حساب القطاع الخاصّ، الذي كان يستقطب معظم النموّ في موارد المصارف:

خاصّة عند بداية إصدار الدولة لسندات بالعملات الأجنبيّة عام ١٩٩٥، حيث بلغت حصّة الدولة من الإقراض المصرفيّ ٤٢،٥٪. ابتداءً من عام ٢٠٠٢ ثمّ أخذت نسبة الإقراض للقطاع العامّ تتجاوز نسبة الإقراض للقطاع الخاصّ لتصل في نهاية عام ٢٠٠٩ إلى ٥٤،٥٪.

واليوم لا تتجاوز قروض المصارف للقطاع الخاصّ ٢٥٪ من ودائع العملاء، ما يشير إلى وجود مجال كبير لتنمية التسليفات لهذا القطاع.

• في الأعوام الأخيرة كان لمصرف لبنان دور رئيسيّ في توجيه الإقراض نحو بعض القطاعات، وذلك من خلال منحه المصارف تخفيضات على الاحتياطيّ الإلزاميّ، أو تخفيضات على الالتزامات بالليرة اللبنانيّة الخاضعة للاحتياطيّ الإلزاميّ في حال منحت قروضها إلى قطاعات وجهات متنوّعة تشمل التالي.

القروض الإسكانيّة الممنوحة عبر المؤسّسة العامّة للإسكان، والقروض الممنوحة لمصرف الإسكان التي يستعملها الأخير لمنح قروض سكنيّة، القروض الممنوحة بكفالة شركة كفالات، ومختلف القروض الصغيرة الحجم الممنوحة بالليرة اللبنانيّة، القروض المدعومة الفوائد الممنوحة لبعض القطاعات مثل القطاع الاستشفائيّ والسياحيّ والصناعيّ بشكل خاصّ، والقروض الصديقة للبيئة، والقروض الممنوحة بالليرة اللبنانيّة لمتابعة الدراسة في مؤسّسات التعليم العالي.

• لكن، مع النموّ الكبير في ودائع المصارف عام ٢٠٠٩ والتي وصلت إلى أكثر من ٩٥ مليار دولار. استمرّ الدين العامّ في لبنان أيضًا في ارتفاعه ليصل في نفس العام إلى أكثر من ٥١ مليار دولار يتوزّع كالتالي:

٥٥٪ المصارف في لبنان- ٢٠٪ مصرف لبنان- ٦٪ الضمان الاجتماعيّ- ١٣٪ اللبنانيّ- ١٢٪ الأطراف الدوليّة= ١٠٠٪ وبالتالي أصبح لدى المصارف فائض كبير في السيولة.

ولقد أكّدت وزارة المال مؤخّرًا أنّ الدولة اللبنانيّة ستسعى إلى إشراك القطاع الخاصّ في تمويل مشاريع القطاع العامّ. وهنا يأتي دور المصارف في تمويل الشركات التي ستساهم في مشاريع القطاع العامّ.

خاتمة

في ظلّ تحسّن التصنيف الائتمانيّ للبنان مؤخّرًا إلى B^+ ، في مقابل تراجع التصنيف الائتمانيّ للعديد من الدول العربيّة المجاورة. هناك فرصة لتقوم المصارف اللبنانيّة بدور أساسيّ في إنعاش الاقتصاد المحلّيّ، عبر تمويل المشاريع الإنمائيّة المجدية في مختلف القطاعات الاقتصاديّة.

وفي إطار «استراتيجيّات جديدة لمستقبل اقتصاديّ أفضل في لبنان» قدّم رئيس جمعيّة الصناعيّين اللبنانيّين المهندس **نعمة افرام** المداخلة الآتية:

أوّلاً: استراتجيّة لنموّ ذكيّ مستدام وشامل

• اعتماد اقتصاد مبنيّ على المعرفة والابتكار.

• السعي من أجل اقتصاد يستثمر الموارد بشكل فعّال وأكثر تنافسيّة.

• تشجيع الاقتصاد الهادف إلى تشغيل يد عاملة أكبر.

• تفعيل الاقتصاد المتوازن بين القطاعات الإنتاجيّة من أجل سلامة الاقتصاد الوطنيّ وتحقيق ترابط اجتماعيّ- مناطقيّ واسع.

• تحفيز التوجّه نحو اقتصاد يعتمد أحدث التقنيّات، ويهدف إلى تسجيل أعلى قيمة مضافة ممكنة.

ثانيًا: في بعض من المبادرات المطلوبة

• لاستثمار في ميادين الأبحاث، بغية إطلاق أفكار جديدة يمكن ترجمتها إلى مشاريع إنتاجيّة، أو تحويلها إلى خدمات. والهدف ضمان النموّ وتأكيد مستمرّ لفتح آفاق عمل جديدة.

• تفعيل الأنظمة التربويّة وتحديث التعليم العالي. والهدف تسهيل دخول الشباب إلى ميادين العمل.

• التشجيع على استعمال الموارد المتوفّرة في لبنان على أفضل وجه، والتوجّه نحو استخدام الطاقة المتجدّدة.

• تنظيم وتفعيل قطاع النقل.

• السعي إلى بتّ الحلول حول أجدى السبل في إنتاج واستهلاك الطاقة.

• إطلاق نهضة صناعيّة لمواكبة الألفيّة الثالثة لتحويل الصناعة اللبنانيّة إلى صناعة قادرة على المنافسة العالميّة. وأيضًا إلى زيادة الإنتاج الصناعيّ ليشكّل في مرحلة أوّليّة ٢٠ بالمئة من الناتج المحليّ الإجماليّ.

• دعم المهارات والعمالة الشابّة.

والهدف تحديث سوق العمل وتأمين مشاركة مجدية في الحياة المهنيّة. كما إيجاد معادلة توازي بين العرض والطلب في سوق العمل.

• السعي إلى تحاشي الفقر المجتمعيّ والحفاظ على الطبقة المتوسّطة، عبر زيادة فرص العمل. هذا الأمر يؤدّي حتمًا إلى تأمين حياة أفضل، مع تثبيت لكرامة الإنسان وحد من الحصريّة الطبقيّة في عالم العمل والفائدة هنا اقتصاديّة ووطنيّة أيضًا، وتنتج عنها بديهيًا مشاركة في الحياة الإنتاجيّة، ولحمة بين أبناء الوطن والمناطق كافّة.

• اعتماد أسس ومبادئ النموّ الشامل والعادل والمتوازن لتغطية جميع المناطق خدماتيًا. مع تأمين البنى التحتيّة المتطوّرة وتخصيص المناطق اقتصاديًا وصناعيًا وزراعيًا وخدماتيًا. والهدف هو الحدّ من التباين الخدماتيّ— الإنتاجيّ ولجم حركة النـزوح ناحية المدن والهجرة إلى الخارج.

• تشجيع المشاريع الخلاّقة فنّيًا وحرفيًا.

ثالثًا: في بعض من شروط نجاح هذه المبادرات

• الاستثمار في النموّ.

• مشاركة القطاع الخاصّ وإشراك المناطق والأطراف.

• اعتماد سياسات تحفيزيّة.

• إعادة النظر في القوانين الضرائبيّة.

• تفعيل الإدارة وأجهزة الرقابة وتأمين الشفافيّة وتبسيط المعاملات.

• استحداث شروط تسليف مميّزة لإطلاق المشاريع ذات القيمة المضافة.

• **آليّة عمل نموذجيّة للوصول إلى نهضة صناعيّة**

هذه الآليّة، تطال واحدة من المبادرات التي تصبّ في صالح الاستراتيجيّات الجديدة لمستقبل اقتصاديّ أفضل في لبنان. وهي تلخّص رؤية جمعيّة الصناعيّين اللبنانيّين في خطّة عملها الخماسيّة من أجل إطلاق نهضة صناعيّة في لبنان:

• **تقوية الصناعات الموجودة عبر:**
• تحسين المدن الصناعيّة الحاليّة.
• إلغاء ضريبة الدخل على الربح الناتج عن التصدير.
• التشجيع التشريعيّ في إعادة هيكلة المؤسّسات الصغيرة وتحفيز الاندماج وصيانة حقوق صغار الصناعيّين.
• تعزيز ثقافة الإنتاجيّة واعتماد التوثيق والأبحاث وإصدار المؤشّرات. والهدف هو رصد حركة الصناعة وقياسها ومقارنتها، ودراسة مساراتها بهدف تحسينها وتصويبها.

• **تخفيض كلفة الإنتاج في ميادين:**
• الطاقة.
• نفقات الضمان الاجتماعيّ.
• النقل.
• الاتصالات.

• **تطوير المدن الصناعيّة عبر:**
• تأسيس الهيئات الناظمة للمدن الصناعيّة الجديدة بهدف إنشاء بيئة صناعيّة نموذجيّة تستقدم رؤوس الأموال.
• اقتراح مواقع لإنشاء المدن الصناعيّة.
• المساعدة في تسويقها واستقطاب الاستثمارات الجديدة.

• **التواصل مع الاغتراب اللبنانيّ:**
• تشجيع الاستثمار الخارجيّ المباشر وتحفيز التصدير.
• حماية هذا الاستثمار.
• التأسيس على شبكة المغتربين وإرسال بعثات إلى الخارج ورعاية مؤتمرات ومعارض صناعيّة في الخارج.
• المساهمة التشريعيّة في تسهيل طرح أسهم الشركات الصناعيّة على الأسواق الماليّة اللبنانيّة.

• **التركيز على الصناعات الواعدة:**
• المياه
• الصناعات الغذائيّة.
• الصناعات الشمسيّة.
• صناعة دمج الأنظمة والالكترونيّات.
• الصناعات التراثيّة.
• صناعات الهندسة والأزياء.

وقدّم الدكتور **مكرم صادر** مداخلته تحت عنوان: «من النموذج الاقتصاديّ القائم إلى اقتصاد أكثر ديناميكيّة»، فقال:

أوّلاً. تطوّرات إيجابيّة

فَرِحَ اللبنانيّون وبحقّ لبقاء اقتصادهم ومصارفهم ومدفوعاتهم الخارجيّة بمنأى عن الأزمة الماليّة العالميّة. وفرِحوا كذلك للإيجابيّات العديدة التي سجّلها الاقتصاد والمصارف والحساب الخارجيّ. فالاقتصاد سجّل خلال العامين ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ نموًّا بلغت نسبته تباعًا بالأقيام الحقيقيّة٣،٩٪ و٨٪ مع معدّلات تضخّم مقابلة قدرها ٩٪ و٤٪. وسجّلت ميزانيّات المصارف بدورها نموًّا بنسبة ١٢٪ عام ٢٠٠٨ و٢٢٪ عام ٢٠٠٩! وحتّى الماليّة العامّة حافظت على نسبة عجزٍ إلى الناتج بحدود ١٠٪ للأعوام ٢٠٠٧، ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ مع اتجاه معدّل المديونيّة إلى الناتج نحو الانخفاض للأعوام ذاتها من ١٦٨٪ إلى ١٦١٪ ومن ثمّ إلى ١٥٦٪. ويعود تحسّن الماليّة العامّة إلى تسارع وتيرة نموّ الاقتصاديّ من جهة وإلى تسارع وتيرة نموّ عائدات الدولة (٢٢٪ عام ٢٠٠٥؛ ٢٦٪ ٢٠٠٩) من جهة ثانية. أمّا ميزان المدفوعات الخارجيّة فحدّث ولا حرج حيث سجّل فوائض متتالية للأعوام ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ و٢٠٠٩ تعدّت تباعًا ٢٠٣٧ مليون دولار و٣٤٦٢ مليونًا و٧٨٠٠ مليون دولار. والرقم الأخير خارج عن كلّ ما هو مألوف في لبنان. ونتجت هذه الفوائض عن تدفّقات من الخارج في حساب رأس المال بلغت ١٠،٥ مليار دولار عام ٢٠٠٨ وأكثر من ١٤ مليارًا عام ٢٠٠٩ خاصّة بشكل استثمارات مباشرة وودائع لدى المصارف.

بالرّغم من الإيجابيّات المسجّلة، خاصّة خلال العامين الماضيين، واستنادًا إلى المعلومات التي تنشرها جهات عديدة محلّيّة وخارجيّة، استمرّت معدّلات البطالة والهجرة والفقر عند مستوياتها من دون أن تتراجع، وكذلك التغطية الصحّيّة والاجتماعيّة حيث لم يسجّل الضمان الاجتماعيّ ازديادًا يُذكر في المؤسّسات المنتسبة وعدد المضمونين في النظام العامّ؛ ممّا يطرح السؤال حول طبيعة النموّ والاستقرار الاقتصاديّ وانفصال أسواق العمل عن التطوّرات في أسواق السلع والخدمات وفي أسواق النقد والرأسمال.

ثانيًا. خصائص النموذج الاقتصاديّ اللبناني

يستوقف الباحث في الاقتصاد اللبنانيّ للفترة ١٩٩٢- ٢٠٠٩ أي في مدى السبعة عشرة سنة الماضية من جهة تواضع معدّلات النموّ الحقيقيّة بالرّغم من فترات إعادة الأعمار والنهوض المتلاحقة. ويستوقفه من جهة ثانية هدر مرتفع جدًّا للإمكانات والمقدرات. كما يستوقفه أخيرًا تركم كمّي ونوعيّ غير كافٍ في مقوّمات النموّ للمستقبل. وطبعًا العناصر الثلاثة متداخلة في أسبابها ونتائجها. فهدر الإمكانات وضعف التراكم المعرفيّ والخبراتيّ والتكنولوجيّ يؤثّر على النموّ. فمعدّلات النموّ الفعليّ، رغم نتائج السنتين الماضيتين، ظلّت في المتوسّط السنويّ للفترة ١٩٩٢- ٢٠٠٩ عند حدود ٣،٥٪ مترافقة مع معدّلات تضخّم بحدود ٥،٥ بالمئة. ما يعني معدّلات نموّ إسمي تقارب ٩٪.

ويعتبر النموّ الحقيقيّ، أي السلع والخدمات المنتجة وفرص العمل التي خُلقَتْ والمداخيل المحقّقة بشكل أرباح وأجور، تعتبر جميعًا متواضعة قياسًا، على سبيل المثال، إلى النموّ في الودائع والتسليفات المصرفيّة بين ١٤٪ و١٦٪

كمعدّل سنويّ متوسّط. ومتواضعة قياسًا إلى حجم التدفّقات الماليّة من الخارج بشكل استثمارات وهبات وودائع لغير المقيمين وقروض ميسّرة قاربت معدّلاً سنويًا قدره ٥ مليار دولار. وقياسًا إلى حجم الإنفاق العامّ الذي تعدّى ١١٠ مليار دولار أي بمتوسّط سنويّ قدره ٦٠٥ مليار. وقياسًا إلى حجم القروض والتسليفات التي منحتها المصارف للقطاعات والأنشطة الاقتصاديّة في مدى العقدين الماضيين بمعدّل نموّ سنويّ يبلغ ١٥٪ للفترة المذكورة. وأخيرًا قياسًا إلى حجم الأموال التي يتمّ تعقيمها سنويًا. النموّ متواضع قياسًا إلى حجم الأموال المتاحة والتي أتيحت. فسوق الرساميل (Capital Markets) لم يكن فعّالاً في تخصيص الموارد. وهذه هي أولى سمات هدر الإمكانات.

أمّا الوجه الآخر لهدر الإمكانات فيتمثّل في هدر الموارد وتشوّهات سوق العمل (Labor Market). فعدم انخراط المرأة في سوق العمل إلاّ بنسب متدنيّة (٢٠-٢٢٪) ومعدّلات البطالة المرتفعة بحدود ١٢٪ ومخرجات التعليم غير الملائمة لمتطلّبات سوق العمل واستمرار معدّلات الهجرة بين الشباب وخاصّة من حاملي الشهادات الجامعيّة كلّها ظواهر تجعل القوى العاملة الفعليّة مستقرّة بل ومتراجعة. ناهيك بالأعداد الكبيرة من العاملين في مهنٍ وأعمال هامشيّة وغير منتجة. يضاف إلى ذلك الهدر الحاصل عن الفقر (٢٨٪ من اللبنانيّين) مع ما يترتّب عليه من تداعٍ في مستوى التعليم والصحّة والغذاء أي من تداعٍ في الإنتاجيّة. تكاد تماثل كلفة هدر الموارد البشريّة ثلث الناتج المحلّيّ الإجماليّ سنويًا!!..

ويتمثّل الوجه الثالث من هدر الإمكانات في استنزاف الموارد الطبيعيّة المائيّة والبيئيّة بشكل عامّ وما يترتّب عليها من انعكاسات على الاقتصاد بعامّة وعلى بعض الأنشطة بخاصّة.

بالإضافة إلى هدر الإمكانات يتميّز نموذج الاستقرار الاقتصاديّ في لبنان بضعف بنيويّ في التراكم. فإحلال العمالة اللبنانيّة المهاجرة بعمالة وافدة متدنيّة التأهيل وعلى درجة عالية من الحركيّة، يجعل التراكم المعرفيّ والخبرات متقطّعًا وضعيفًا. كما أنّ الاستثمارات اللبنانيّة تذهب في معظمها إلى أنشطة وقطاعات تتميّز بتدنّي إنتاجيّتها، لأنّها معدّة للسوق المحلّيّة دون القدرة على تصديرها. أمّا الاستثمارات الأجنبيّة في لبنان فتتوجّه بمعظمها إلى العقارات والبناء، حيث مفعولها على النموّ المستقبليّ محدود. أمّا نوعيّة المكائن والتجهيزات والمحتوى التقنيّ فيها بالإضافة إلى محدوديّة كثافة استعمال أنظمة وأجهزة المعلوماتيّة الحديثة فلا تشكّل رافعةً للإنتاجيّة في المستقبل. إنّ التدقيق في المحتوى المفصّل للاستيراد ذو دلالة على هذا الصعيد.

ارتكز استمرار هذا النموذج لفترة طويلة على استمرار التدفّقات النقديّة الخارجيّة بانتظام وبحجم كبير وبأشكال متعدّدة، والتي ترتبط بانفتاح لبنان خاصّة على دول الخليج النفطيّة. ويمكن لهذا النموذج أن يستمرّ ما دامت لدى الجهات المفترضة العامّة والخاصّة القدرة على توسيع مديونيّتها وخدمتها بكفاءة؛ وما دامت الأوضاع إيجابيّة في دول النفط؛ وأخيرًا ما دامت ممكنة الهندسات الماليّة المكلفة بشكل متزايد يضاف إليها استمرار التنسيق العالي بين أطراف المعادلة الائتمانيّة.

ثالثًا. شروط الانتقال إلى اقتصاد أكثر ديناميكيّة

وبالمقابل ولجعل النموّ مستدامًا وبمعدّلات عالية، لا بدّ أوّلاً من تشجيع الأنشطة والقطاعات التي تنتج للتصدير أو تنتج سلعًا وخدمات قابلة للتصدير وقادرة على منافسة الاستيراد بكفاءة في الأسواق اللبنانيّة وفي بعض الأسواق الخارجيّة. وثانيًا من خلال إعادة النظر في أنظمة وأجهزة الوساطة الماليّة، وذلك لجعل أسواق رأس المال- التسليف المصرفيّ، الأسهم والسندات- أكثر فعاليّة وأدنى كلفةً. وثالثًا وأخيرًا بإعادة توجيه الاستثمارات الأجنبيّة والتدفّقات الماليّة الخارجيّة باتجاه الاستثمار المنتج والموجّه للتصدير.

تتركّز السياسات المطلوبة لإحداث نقلة نوعيّة في ديناميّة الاقتصاد اللبنانيّ مستقبلاً في ثلاثة محاور: تطوير أسواق إنتاج السلع والخدمات، إعادة هيكلة القطاع العامّ، وأخيرًا إعادة هيكلة الوساطة الماليّة (أسواق الرساميل).

في المحور الأوّل تندرج السياسات التي تصبّ في رفع معدّلات الاستثمار خاصّة الخاصّ، المحلّيّ والأجنبيّ، من المستويات الحالية ٢٠-٢٢٪ إلى مستويات أعلى ٣٠- ٣٥٪ من الناتج المحلّيّ الإجماليّ. ويصعب إحداث هكذا قفزة نوعيّة وبالحجم دون إعادة هيكلة قطاع المؤسّسات الخاصّة (Corporate Sector Restructuring) لناحية زيادة قاعدة رسملتها من خلال فتح رساميلها للاكتتاب وتحويل جزء هامّ من الديون إلى أسهم بعد إدراجها في البورصة. وبموازاة ذلك تلجأ المؤسّسات إلى إصدار سندات دين طويلة ومتوسّطة على أن تستعمل حصيلة الأسهم والسندات لتحديث التجهيزات وخطوط الإنتاج ولاستقطاب وإعداد عمالة مؤهّلة ولتطوير أنظمة العمل والإدارة والتسويق. ويمكن لكبريات المؤسّسات الدخول في تحالفات إستراتيجيّة مع مؤسّسات إقليميّة أو دوليّة تواكبها في إعادة الهيكلة تقنيًا وإداريًا، وفي إيجاد أسوق تصدير بالمواصفات المقبولة عالميًا. وللمصارف بما فيها مصارف الأعمال، أن تلعب دورًا محوريًا في إعادة الهيكلة الماليّة الجذريّة المطلوبة. وإعادة الهيكلة يجب أن تطاول ليس فقط الصناعة بل المؤسّسات في كافّة النشاطات بما فيها السياحة والاستشفاء والتعليم الجامعيّ والـ IT وغيرها... وكما أشرنا أعلاه المطلوب من قطاع المؤسّسات إنتاج سلع وخدمات قابلة للتصدير Tradable وقادرة على المنافسة. ولا بدّ بل من الضرورة القصوى في هذا المجال الاستفادة من الاتفاقات المعقودة من جهة مع الاتحاد الأوروبيّ ومن جهة ثانية مع سوريا وسائر الدول العربيّة.

في المحور الثاني المطلوب سياسات تعيد هيكلة كافّة فعاليّات القطاع العامّ، وذلك في أربعة اتجاهات متكاملة، يكمن أوّلها في إعادة هيكلة قطاع المؤسّسات العامّة المنتجة للسلع والخدمات، شأنها في ذلك شأن المؤسّسات الخاصّة المفصّلة أعلاه. وينطبق ذلك على إنتاج وتوزيع الكهرباء والماء وعلى الاتصالات. ويكمن ثانيها في إعادة هيكلة الخدمات العامّة ذات المردود الكبير على إنتاجيّة العمل وعلى ربحيّة قطاع المؤسّسات، عنينا بها الصحّة والتعليم والنقل والسكن. فهذه الخدمات تجعل كلفة الأجور أدنى وتخفّف الأعباء على المؤسّسات. إنّها ترفع إنتاجيّة الاستثمارات

الخاصّة التي ذكرناها أعلاه. ويكمن ثالثها في تطوير البنية التحتيّة الماديّة والبشريّة والتشريعيّة المساعدة على عمل المؤسّسات والرافعة لإنتاجيّتها. لقد باتت البنى التحتيّة عائقًا أساسيًا أمام توسّع الاقتصاد ونموّه المستقبليّ. ويكمن رابعها في إعادة هيكلة القطاع الضريبيّ بالكامل حيث من المفترض لمواكبة قوى الإنتاج والقوى الحيّة في المجتمع زيادة العبء الضريبيّ على المداخيل خارج أجور العاملين وأرباح الشركات. وهناك العديد من المطارح المؤهّلة للتكليف المماثل. والقاعدة الثانية أن تجبى الضرائب حيث لا إمكانيّة للمكلّفين بها من عكسها على الأسعار. لأنّ ارتفاع أسعار الداخل مقارنة مع الأسعار الخارجيّة تشوّه الاستثمارات وتؤذي إنتاجيّة العمل وإنتاجيّة الرساميل. والقاعدة الثالثة أن نصل إلى بنية ضرائبيّة متوازنة على على الاستهلاك (ضريبة القيمة المضافة) وعلى المداخيل (الضريبة الموحّدة على الدخل) وأخيرًا على العمليّات والأنشطة العقاريّة.

في المحور الثالث المطلوب إعادة هيكلة الوساطة الماليّة في لبنان. فبنية الوساطة الماليّة المفترض أن تكون متوازنة وأن تقوم على الإقراض المصرفي (Loans) وعلى سوق الأسهم (Equities) وعلى سوق الدين أي السندات المتوسّطة والطويلة (Bonds) تكاد تكون في لبنان مقتصرة على المصارف وخاصّة المصارف التجاريّة ٨٥٪ مقابل ١٠٪ للأسهم و٥٪ للسندات العامّة والخاصّة. إنّ سوق سندات دين الشركات غير موجود عمليًا. إنّ تطوير التمويل وتنويعه في لبنان يمرّ من ناحية أولى بقانون عصريّ وحديث لبورصة بيروت والأسواق الماليّة يفصل بين الرقابة والضبط وإدارة الأسواق. ويمرّ من ناحية ثانية باعتماد قطاع الشركات في لبنان قواعد المحاسبة والإفصاح والنشر بشفافيّة وبانتظام فيتشجّع المستثمرون ويقبلون على أسهم وسندات هذه الشركات. ويمرّ أخيرًا بإنشاء معاشات وصناديق التقاعد المفتوحة للعاملين بأجر ولغير العاملين بأجر، للمقيمين ولغير المقيمين من اللبنانيّين وكذلك بتحديث قوانين ومناهج عمل شركات التأمين على الحياة. فكلاهما يوفّران مع الوقت المدّخرات الطويلة الأجل القادرة على تشكيل نواة صلبة من المستثمرين المؤسّساتيّين. وقد يكون تطوير هذين القطاعين مدخلاً ضروريًا للتوسّع في عمليّات الخصخصة أو إدراج المؤسّسات العامّة والخاصّة على البورصة.

الخلاصة

يحتاج نقل الاقتصاد اللبنانيّ إلى ديناميّة أعلى من النموّ والازدهار لرؤية شاملة وسلّة منسّقة من السياسات العامّة والقطاعيّة يتقاسمها ويسهر على تنفيذها من جهة أولى الشعب بهيئاته وفعاليّاته الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ومن جهة ثانية الدولة بسلطاتها الدستوريّة ومؤسّساتها وإداراتها. وتحتاج تكرارًا لمواكبة دوليّة تؤمّن قروضًا ميسرة لآجال طويلة للبنى التحتيّة الماديّة والبشريّة ودعمًا تقنيًا وإداريًا لإعادة تأهيل قطاعات ومؤسّسات الإنتاج القابل للتصدير والمنافسة. ويحتاج أخيرًا لعقد اتفاقيّات جديدة تتيح الدخول إلى الأسواق الإقليميّة أو لتفعيل ولإعادة النظر بالاتفاقات المعقودة القائمة.

فهل يتشارك اللبنانيّون جميعًا في المسألة الاقتصاديّة الاجتماعيّة أعباء وتضحيات لسنوات عديدة قادمة، أم ستبقى معلّقة حتّى مشاركة الجميع في تقرير المسألة الدفاعيّة الأمنيّة وفي اتفاق نهائيّ على المسألة السياسيّة بما هي انتقال السلطة وإدارة الدولة!.. وكيف نؤمّن تعاونًا خارجيًا إزاء المصالح المتضاربة في كلّ من المسائل الثلاث!...

وفي سبيل «تشريعات جديدة حامية للاستثمار» أوجز الدكتور **شربل عون** قولَه:

إنّ القوانين والتشريعات اللبنانيّة تبدو على جانب كبير من الانفتاح والليونة، فأنّ أحد أهمّ مواصفات التشريع اللبنانيّ هو أنّ رغبة تحديث القوانين المدنيّة أو غير الطائفيّة وتنظيم العلاقات بين الأفراد بقيت على جانب كبير من الليونة؛ فالثورة التكنولوجيّة مثلاً، إن كانت في المعلوماتيّة أو البطاقات الائتمانيّة، استطاع لبنان استيعابها دونما حاجة إلى تشريع دقيق.

إلاّ أنّ لبنان يشكو من العديد من العوائق التي تعترض الاستثمار بشكل عامّ، حيث تبقى القوانين والتشريعات التي ترعى الواقع التجاريّ والاستثماريّ في لبنان بشكل عامّ إمّا غير كافية وأمّا قديمة العهد:

- فقانون التجارة البريّة كما والقوانين الخاصّة المتعلّقة بأنواع خاصّة من الشركات كما والقوانين الماليّة والضريبيّة لا تتطرّق إلى تسهيل إجراءات تأسيس الشركات وتخفيض كلفتها.
- لم يعطِ القانون اللبنانيّ وسائل حماية الأقليّات في الشركات أهميّة كبرى.
- لم تدخل القوانين اللبنانيّة بعد نظام المكننة والمعلوماتيّة (Informatisation) في مجال الشركات.
- لا يوجد في لبنان ما يسمّى بـ قانون المنافسة. كما وأنّ النظام القضائيّ في لبنان يشكو من مشاكل حقيقيّة قد تهدّد فعاليّته، أبرز عواملها ضغط وكثافة الدعاوى (١) وبطء سير الإجراءات القضائيّة (٢) وارتفاع كلفة الرسوم القضائيّة (٣). إنّ تلك النواقص والعيوب تنعكس سلبًا على تحفيز الأستثمارات في البلاد، ممّا يقتضي البحث عن الحلول التشريعيّة المناسبة لمعالجة الفجوات الملحوظة. وبشكل إجماليّ، يبدو أنّ التعديلات والإضافات التشريعيّة الضروريّة هي التالية:
- استحداث وتطوير وتسهيل الاجراءات القضائيّة في لبنان، وتخفيض كلفتها.
- تعديل قانون التجارة اللبنانيّ ليتناسب مع المتطلّبات التالية: -حماية المستثمرين.- تسهيل إجراءات تأسيس الشركات وكافّة معاملات الأعمال والتجارة.-اعتماد نظام المعلوماتيّة لدى السجل التجاريّ.
- استحداث قانون للمنافسة الحرّة (Competition Law).
- تحديث وتعديل القوانين الضريبيّة والماليّة.
- استحداث قانون «حكم الشركات» Corporate Governance.

• تعديل الأحكام والموادّ القانونيّة في قوانين التجاريّة والبناء والعمل وإلى ما هناك للتخفيف من العوائق الإداريّة للاستثمار وذلك عبر تخفيف كلفتها والمدّة التي تستغرقها خاصّة في مجالات التسجيل والتراخيص والإجازات.

وتحت عنوان «الحروب ولبنان»، تحدّث الدكتور **مروان اسكندر** قائلاً:

الحروب العربيّة- الإسرائيليّة، والنزاع العربيّ- الإسرائيليّ أصاب لبنان بأضرار أكثر من أيّ بلد عربيّ آخر.

بعد حرب ١٩٤٨، وفشل الجيوش العربيّة في فلسطين، كانت هناك حربان، بقي أثناءهما لبنان خارج المعارك التي دارت بين سوريا ومصر والأردن وإسرائيل سنة ١٩٦٧ وبين سوريا ومصر وإسرائيل سنة ١٩٧٣.

قبل ذلك، لحق دمار كبير بلبنان عام ١٩٦٨، عندما دمّر الإسرائيليّون الطائرات المدنيّة اللبنانيّة في مطار بيروت.

وبين ١٩٦٨ و١٩٧٣، تعدّدت الصدامات بين الجيش اللبنانيّ والفصائل الفلسطينيّة التي اكتسبت شرعيّة لاستعمال قسم من جنوب لبنان مرتكزًا لأعمالها ضدّ إسرائيل.

استمرّت الحروب الصغيرة بين اللبنانيّين المتأبّطين المقاومة الفلسطينيّة والمتمسّكين بموقف تحييد لبنان عن هذا الصراع ما بين ١٩٧٥ و١٩٩٠ بعد انجاز اتفاق الطائف.

وشهد عام ١٩٨٢ اجتياح إسرائيل للبنان واحتلالها بيروت، أوّل عاصمة عربيّة تقع في أيدي الإسرائيليّين. وسبق هذا العدوان الشامل احتلال مساحات شاسعة من أرض الجنوب عام ١٩٧٨.

توالت الحروب الإسرائيليّة على لبنان عام ١٩٩٣ و١٩٩٦، كما استمرّت الصدامات بين مقاتلي الأحزاب الوطنيّة وخصوصًا حزب الله والإسرائيليّين حتى عام ٢٠٠٠ وانسحاب إسرائيل من جنوب لبنان وتفكّك ما كان يسمّى جيش لبنان الجنوبيّ.

وعام ٢٠٠٦ كانت الحرب الطاحنة ذلك الصيف، والتي كبّدت لبنان خسائر بشريّة قاربت الـ ١٣٠٠ قتيل غالبيّتهم من المدنيّين، وخسائر بلغت ٦ مليارات دولار شملت تدميرًا كاملاً أو جزئيًا لثلاثين ألف مسكن و سبعين جسرًا.

ومن ثمّ كان الاعتصام في قلب العاصمة، واجتياح عام ٢٠٠٨ لبيروت، وتعليق الحياة السياسيّة لعامين على الأقلّ.

وبعد، يتساءل كلّ لبنانيّ، كيف استطاع هذا البلد الصغير الاستمرار مع كلّ هذه الحروب ونتائجها؟

الجواب هو على شقّين:

بدءًا من عام ١٩٩١، استعاد لبنان مقدارًا من التوافق الداخليّ، وانطلقت مساعي الاعمار منذ عام ١٩٩٣، فأنجزت المدارس والمطار، وبدأ إنشاء مجمّع الجامعة اللبنانيّة، وتمّت أعمال إنجاز معامل الكهرباء، ودخل لبنان عصر الهاتف الخلويّ.

وحقّق لبنان فوائض متتالية على حساب ميزان المدفوعات، واستقرارًا ملحوظًا في سعر صرف الليرة اللبنانيّة منذ ١٥ سنة.

ومن جهة ثانية، نشط اللبنانيّون في الخارج؛ وهذا التوجّه هو الذي أعطى لبنان الزخم الأساسيّ في النجاح المحقّق. وغالبيّة النجاحات برزت في بلدان حقّق فيها اللبنانيّون اختراقات، استنادًا إلى خبراتهم وقدراتهم وليس إلى اتفاقات، إذا وجدت، بالكاد تطبّق.

وقد عاصرنا اعتلاء شركات لبنانيّة سدّة المنافسة الدوليّة في حقول متعدّدة.

فآل الميقاتي والحريري والشاغوري أصبحوا من أصحاب الشركات العالميّة في الهاتف الخلويّ.

وآل فرام صنّعوا الورق ومنتجاته في السعوديّة ومصر وكندا والولايات المتحدة.

وعائلة غندور كما عائلة عبجي وفريجي ونصرالله، أرسوا قواعد في الزراعة والصناعات الغذائيّة في السعوديّة ودبي وماليزيا ومصر والسودان.

وأبناء ميشال أدّه توصّلوا إلى احتلال موقع متميّز في مجال تقييم مخاطر العملات والدول، وسبقوا مؤسّسات معروفة كرويتيرز وبلومبرغ في هذا المجال.

والمصارف اللبنانيّة انتشرت إقليميًا ودوليًا وأصبحت موجوداتها في الخارج تتجاوز الـ ٣٥ مليار دولار، أي ما يتجاوز كلّ موجودات القطاع المصرفيّ اللبنانيّ منذ عشر سنين.

وأسّس رجل أعمال لبنانيّ شركة طيران في الهند تشغّل ٩٩ طائرة.

كما توسّعت مجموعة اختصاصيّة بالمنتجات الالكترونيّة وبرامج المعلوماتيّة بحيث أصبح حجم أعمالها على مستوى ١،٦ مليار دولار سنويًا، وتشغّل ٣٠٠٠ موظّف خارج لبنان في مقابل ٧٠٠ في لبنان.

وهناك شركتان لتسويق منتجات الألبسة والزينة وأدوات التجميل يبلغ حجم أعمال كلّ منهما أكثر من ١،٥ مليار دولار. ويبلغ عدد العمّال والموظّفين لدى الشركتين أكثر من ٣٠٠٠ عامل وموظّف.

ويضاف إلى هؤلاء أصحاب الاختصاص في المجوهرات الذين أصبحوا مسؤولين عن أهمّ بند من بنود الصادرات اللبنانيّة خلال السنوات الثلاث المنصرمة.

كما أنّ شركات المقاولات اللبنانيّة والمنطلقة من لبنان سواء في مجال المشورة أو التشييد احتلّوا المواقع المتقدّمة في بلدان الخليج العربيّ والعديد من البلدان الأفريقيّة. ويعمل لدى هذه الشركات آلاف المهندسين والمحاسبين والفنّيّين في مقابل معاشات مغرية.

ويكفي أن نقول بعد هذا التوصيف أنّ الدخل القائم السنويّ للمجموعات اللبنانيّة المشار إليها وعدد غير بسيط من الشركات الأخرى العاملة في حقول برامج المعلوماتيّة والفندقة والتعليم، يزيد على الدخل القوميّ اللبنانيّ بنسبة ٥٠ في المئة على الأقلّ.

د. لويس حبيقة

هل يتجنّب لبنان التجربة اليونانيّة؟

من الصعب تحقيق توازنات اقتصاديّة داخليّة مستقرّة إذا لم تحز على ثقة الشعب التي يعبّر عنها بحريّة في الانتخابات. من المفروض أن تكون هنالك توازنات بين الحقوق والواجبات، بحيث لا تطغى الواحدة على الأخرى ضمانًا للاستمراريّة والاستقرار. فاليونان وقّعت منذ أيّام مع صندوق النقد ومؤسّسات الوحدة الأوروبيّة اتفاقيّة مهمّة شاملة وقاسية للانقاذ الاقتصاديّ، لكنّها لن تطبّق بنجاح إذا لم يرض عنها الشعب اليونانيّ. فالحكومة، أيّ حكومة، تبقى مسؤولة أمام شعبها، ومن واجبها الالتزام بمصالح مواطنيها، أيًا تكن اتجاهاتهم السياسيّة. من ناحية أخرى، إنّ تلبية مطالب المواطنين تتطلّب وجود موارد ماليّة وبشريّة كافية، بحيث لا يتزعزع الاستقرار الماليّ. هنالك دائمًا نزاع بين ما يطلبه المواطن وما تستطيع الدولة تحقيقه. تهدف الانتخابات إلى تحديد الخيارات الممكن تنفيذها، والتي يعبّر عنها المقترعون عبر أنظمة انتخابيّة مختلفة. لا شكّ أنّ للنظام الانتخابيّ تأثيرًا كبيرًا على نوعيّة النتائج وخصائصها.

العلوم الاقتصاديّة والديموقراطيّة

يتحقّق التقدّم في العلوم الاقتصاديّة عبر تطوّر النظريّات كما التقنيّات التطبيقيّة. من الصعب في الاقتصاد، وخلافًا للعلوم الطبيعيّة، حسم النقاش بسرعة بين النظريّ والعمليّ. يقول أحد الاقتصاديّين الكبار أنّ في الاقتصاد «تبقى الأسئلة نفسها» من سنة إلى أخرى، لكنّ الأجوبة تختلف. قال «ونستون تشيرشل» Churchill أنّه يمكن الاتّكال على الأميركيّين من ناحية تطبيق السياسات الاقتصاديّة الصحيحة، لكن بعد أن يختبروا كلّ السياسات الأخرى. يتمّ تحديد السياسات الاقتصاديّة كنتيجة للعوامل الثلاثة التالية: أوّلاً المعرفة العلميّة لكيفيّة تحديدها وتنفيذها وبالتالي تأثيرها على حياة المواطن؛ وثانيًا تحدّد كنتيجة للعقيدة الاقتصاديّة أي أنّ سياسات الأحزاب اليمينيّة مثلاً تختلف جدًا عن الأحزاب اليساريّة؛ وثالثًا، من الصعب تنفيذ سياسات اقتصاديّة تضرّ بأصحاب المصالح، إذ تصطدم بهم وربّما تؤثّر سلبًا على الاستقرار. هنا تكمن ضرورة أن يتمتّع الحكّام بثقة أكثريّة المواطنين كي يستطيعوا مواجهة أصحاب المصالح على مختلف أنواعها. يقول «جيمس بيوكانان» Buchanan إنّ الديموقراطيّة هي «الحكم عبر النقاش والحوار»، وبالتالي يجب تسهيلهما لمعرفة خيارات المجتمع. يقول أيضًا إنّ خيارات المواطنين تتغيّر عبر الزمن، إذ هنا تكمن ضرورة إجراء الانتخابات الدوريّة كلّ ٤ سنوات مثلاً أو أقلّ كي يبقى الحاكم مطّلعًا على أذواق المواطنين ورغباتهم. اختارت الولايات المتحدة تغيير مجلسها النيابيّ كلّ سنتين كي يبقى النائب قريبًا من المواطن. في العديد من الدول، تعتمد فترتا الأربع أو الخمس سنوات. من أفضل الطرق التي يمكن أن تعبّر عن رغبات المواطن هي الاجماع، علمًا أنّه صعب التحقيق في ظلّ الرغبات المتناقضة للناخبين. بدل الاجماع يمكن اعتماد الأكثريّات المطلقة أو النسبيّة أو غيرها بحيث تقترب أكثر الممكن من الاجماع.

الخيارات الاقتصاديّة الخاطئة في الأزمات

في فترة الأزمات المهمّة، كما يحصل خلال الأزمة الماليّة العالميّة، يضع الحكّام للأسف أوّليّة للإمكانات الماليّة على حساب الحاجات والمشاكل الاجتماعيّة كالبطالة والضمانات. هذا ما يحصل اليوم مع اليونان وما يمكن أن يحصل مستقبلاً مع دول أخرى كأسبانيا والبرتغال. في هذه الحالات خصوصًا، يجب أن تبرّر الحكومة للموطن لماذا اختارت تخفيض هذا النوع من الإنفاق وليس غيره. على الحكومة في حالات كهذه أن تكشف حساباتها أمام الجمهور، بما فيها الانفاق العسكريّ والأمنيّ. من غير المقبول إخفاء أيّ شيء من أمام عيون المواطن عندما يطلب منه القيام بالتضحيات الكبرى. لا يحقّ للحكومات أن تطلب من المواطن التضحية عندما تكون هي أو من سبقها في الحكم، مسؤولة عن الوضع الاقتصاديّ والماليّ السيّء للدولة.

لا شكّ أنّ الاقتصاد الجديد المنفتح والمرتكز على التكنولوجيا قرّب المسافات الجغرافيّة والسياسيّة، كالتي كانت تفصل بين المواطن والحاكم. فالاقتصاد الجديد لم يرفع فقط إنتاجيّة عوامل الإنتاج، بل ساهم في توعية المواطن على حقوقه وواجباته. فالإنترنت كما الاتصالات فتحت عين المواطن وذهنه، وبالتالي أصبح يعي حقوقه وواجباته أكثر تبعًا لما يراه في الدول المتقدّمة ديموقراطيًا. ساهم الاقتصاد الجديد أيضًا في تعزيز النموّ والنجاح أكثر في مكافحة التضخّم، بسبب الانفتاح وما تبعه من زيادة في حجم التجارة الدوليّة. كان لهذا الانفتاح نتائج إيجابيّة ضخمة، لكنّه ساهم، في نفس الوقت، في زيادة مخاطر الاستثمارات. من نتائجه الأساسيّة أيضًا عودة الاقتصادات إلى النموّ بسرعة، بعد أزمة ماليّة كبرى بدأت في سنة ٢٠٠٧ ولم تنته بعد. سمح الانفتاح بتقديم فرص استثماريّة جديدة ذات مخاطر معتدلة ما أتاح عودةَ النشاط إلى الأسواق.

من المتوقّع، تبعًا لمنظّمة التنمية والتعاون OECD، أن تنمو الاقتصادات هذه السنة بنسب مرتفعة مقارنة بسنة ٢٠٠٩، أي ١،٤٪ في ألمانيا، ١،٢٪ في بريطانيا، ٢،٥٪ في الولايات المتحدة، ١،٨٪ في اليابان، ٤،٩٪ في روسيا، ٤،٨٪ في

البرازيل، ١٠،٢٪ في الصين و٧،٣٪ في الهند. تشير هذه الأرقام أيضًا إلى تغيّرات كبيرة في التوازنات الاقتصاديّة الدوليّة لمصلحة آسيا وضدّ الغرب، بحيث من المتوقّع أن تصل في سنة ٢٠٢٥ حصّة آسيا من الاقتصاد العالميّ إلى ٤٥٪ مقارنة بـ ١٨٪ لكلّ من الولايات المتحدة وأوروبا الغربيّة. هل تكون الهند قوّة اقتصاديّة دوليّة أساسيّة في سنة ٢٠٢٥؟ هذا سؤال كبير وواقعيّ في نفس الوقت.

سوء إدارة القطاع العامّ في اليونان ولبنان

تعاني أكثريّة الدول الغربيّة من فلتان مضرّ في الإدارة الماليّة. في دراسات منظّمة التعاون الاقتصاديّ والتنمية OECD يتبيّن أنّ نسبة الدين من الناتج ستصل إلى ١٠٠٪ في الولايات المتحدة في حدود سنة ٢٠١١ مرتفعة من ٦٢٪ في سنة ٢٠٠٧. بالنسبة لكلّ الدول الأعضاء في المنظّمة، تشير دراساتها إلى ارتفاع الدين العامّ من الناتج من معدّل ٧٠٪ في سنة ٢٠٠٠ إلى ٧٥٪ في سنة ٢٠٠٥ إلى ٨٠٪ في سنة ٢٠٠٨ وإلى متوقّع قدره ١٠٥٪ في سنة ٢٠١١. هذا لا يعود فقط إلى الأزمة الماليّة العالميّة ونتائجها واضطرار الدول إلى ضخّ الكثير من الأموال في السوق للانقاذ، وإنّما بسبب عدم إدارة الموازنات بالطرق العلميّة الفضلى.

كانت السياسات الماليّة تبذيريّة في العديد من الأحيان عبر الدعم الماديّ القطاعيّ والاجتماعيّ الموجّه سياسيًا والمكلف جدًا اقتصاديًا وأخلاقيًا.

يقول الاقتصاديّان «راينهارت» و«روغوف» في دراسة جديدة، أنّ وصول الدين العامّ إلى ما يفوق ٩٠٪ من الناتج يحرم الاقتصاد من نقطة نموّ مئويّة سنويّة، أي يصبح مكلفًا جدًا على الاقتصاد عمومًا والفقراء خصوصًا.

تمرّ اليونان بفترة قاسية جدًا ناتجة عن سوء إدارة المال العامّ لسنوات عديدة خلت. فاليونان كما لبنان ليسا فقط متقاربين في العقليّة وطرق العيش، وإنّما أيضًا في كيفيّة إدارة القطاع العامّ. الفساد اليونانيّ كبير وعتيق تاريخيًا، وكذلك هو حال لبنان حيث يترابط الفسادان السياسيّ والإداري. يعيش اليونانيّون فوق طاقاتهم الماديّة، وكذلك اللبنانيّون، علمًا أنّ المستوى المعيشيّ أعلى في اليونان بحوالى ٤ أضعاف. نتج عن الممارسة اليونانيّة غير الفضلى وصول عجز الموازنة إلى ١٢،٧٪ من الناتج والدين العامّ إلى ما يقارب ١١٥٪ منه، كما وصول الدين العامّ اللبنانيّ إلى ما يقارب ١٦٠٪ من ناتجنا. من واجب اليونان العودة إلى معايير اتفاقيّة «ماسريخت»، أي خفض عجز الموازنة إلى ٣٪ من الناتج والدين العامّ إلى ٦٠٪ منه، وهذا يتطلّب سنوات طويلة من العمل الشاقّ عبر تغيير طريقة إدارة الدولة والأموال العامّة. من واجب لبنان خفض دينه أيضًا إلى أدنى الحدود الممكنة، وما نقاش الموازنة الذي بدأ إلاّ محاولة لنقل المشكلة إلى الرأي العامّ الذي سيتحمّل عاجلاً أم آجلاً مسؤوليّة تسديد الدين.

لماذا الاهتمام باليونان؟

لماذا هذا الاهتمام الدوليّ بالحالة اليونانيّة، ما دام أنّ الاقتصاد اليونانيّ لا يشكّل إلاّ ٢،٨٪ من اقتصاد الوحدة الأوروبيّة؟ هنالك خوف من أن تنتقل الحالة اليونانيّة إلى عدد كبير من الدول الأخرى. كما أنّ هنالك ديونًا يونانيّة ستُستحقّ في الشهرين المقبلين تصل إلى ٢٠ مليار يورو، يجب تسديدها منعًا للإفلاس. لا شكّ أنّ التركيز الدوليّ على الحالة اليونانيّة مفيد لليونان، لكنّه مضرّ للاقتصادات الشبيهة التى تتخفّى وراء اليونان لتؤجّل تنفيذ الحلول الضروريّة الموجعة. فأوروبا ومصرفها المركزيّ خائفان من انعكاس الوضع اليونانيّ أكثر على صحّة اليورو وقوّته كنقد دوليّ أساسيّ، ولاسيّما أنّه انخفض هذه السنة بحوالى ١٠٪ تجاه الدولار. في إحصائيّات فرنسيّة جديدة، يتبيّن أنّ ٦٩٪ منهم نادمون على استبدال الفرنك باليورو مقارنة بـ ٣٩٪ في سنة ٢٠٠٢، ما يدلّ على قلق المواطن المتزايد تجاه نقده وانعكاسه على مستقبله المعيشيّ.

تشعر الحكومة اليونانيّة اليوم أنّ عليها خفض العجز عبر الانفاق والضرائب وعدم اللجوء إلى الحلول المضرّة المرتبطة بالتضخّم أو الإفلاس، علمًا أنّ خفض سعر صرف اليورو ليس من صلاحيّاتها. العديد من الدول الناشئة لجأ في الماضي إلى حلول قسريّة لخفض قيمة الدين الحقيقيّة كالتضخّم والإفلاس وضرب سعر الصرف، لكنّ هذا ممنوع على اليونان الأوروبيّة، خاصّة إذا قرّرت البقاء في الوحدة. خروج اليونان من اليورو اليوم يضرّها مستقبلاً أكثر ممّا ينفعها، إذ يصيب مصداقيّتها ويعيق تنفيذ أيّ سياسات إقليميّة مستقبليّة ترغب في القيام بها.

تشير دراسات البنك الدوليّ إلى أنّ السياسات الماليّة الفضلى هي التي تخفّف حدّة تقلّبات الدورة الاقتصاديّة ولا تزيد منها، أي عليها أن تتوجّه عكس السير إلاّ في الحالات الطارئة. ما طبق من سياسات ماليّة في السابق لا يجاري العلوم التي تتطوّر نظريًا وتعتمد على التجارب الخاطئة والناجحة. ما يحصل في اليونان اليوم يمكن أن يحصل غدًا في إسبانيا والبرتغال. لذا، يشعر الأوروبيّون بالخطر ويقترحون تأسيس «صندوق نقد أوروبيّ» مشابه لصندوق النقد الدوليّ تقتصر صلاحيّاته على دول الوحدة النقديّة الأوروبيّة.

اللافت للنظر هو تزايد عدد المهاجرين إلى إسبانيا واليونان أي إلى أوروبا والذي يرتفع من عقد إلى آخر ممّا يؤثّر سلبًا على الموازنات. في اليونان ارتفعت نسبة المهاجرين الوافدين من ٤٪ من السكّان في سنة ١٩٩٠ إلى ٧٪ في سنة ٢٠٠٠ وإلى ١٠٪ هذه السنة ممّا يرفع من تكلفة استقبال هذه الأعداد الكبيرة من البشر. تصل هذه النسبة إلى ١٤٪ في إسبانيا، أي تفوق النسبة الأميركيّة (١٣٪) دون أن تصل إلى المستوى الأستراليّ الفريد (٢٢٪).

ما المطلوب من اليونان؟

ما هو المطلوب من اليونان اليوم مقابل مجموعة قروض تبلغ ١١٠ مليار يورو، بينها ٣٠ مليار من صندوق النقد الدوليّ والباقي من الوحدة النقديّة الأوروبيّة؟ لماذا الدعم الشعبيّ للبرنامج ضروريّ إلى أقصى الحدود، ليس فقط لحسن تطبيق البرنامج، وإنّما أيضًا لضمان الاستقرار السياسيّ والأمنيّ؟ هل تستطيع حكومة «باباندريو» الاستمرار في الحكم في ظلّ المعارضة الشعبيّة الكبيرة الظاهرة لسياساته الحاليّة والموروثة؟ ما

هي الاجراءات المطلوبة من اليونان، وبالتالي ما هي السياسات التي يمكن أن تطلب من الدول ذات الأوضاع المماثلة من ناحيتي عجز الموازنة وحجم الدين العامّ؟ هنالك ضرورة لتصحيح الوضع الماليّ، أي خفض عجز الموازنة وحجم الدين العامّ. من المتوقّع أن يتمّ ذلك عبر تخفيضات موجعة في الانفاق، ومن بينها الأجور والضمانات الاجتماعيّة والانفاق العسكريّ والأمنيّ. من واجب الحكومة اليونانيّة ضبط كلّ الانفاق، وتعزيز إدارة الضرائب، كي ترفع من نسبة التحصيل، علمًا أنّ الفساد السياسيّ في اليونان لا يقلّ عمّا نعرفه في العديد من الدول العربيّة. المطلوب أيضًا إدخال ضرائب جديدة لزيادة الإيرادات. يجب على اليونان أن تحقّق إصلاحات إداريّة مهمّة لضبط الإنتاجيّة، ورفع مستوى الخدمات، وتخفيف الرشوة والفساد عمومًا.

أوّلاً: في الواقع، تعهّدت الحكومة اليونانيّة بخفض العجز من ١٢،٧٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ٨،٧٪ في سنة ٢٠١٠، وهذا يتطلّب تضحيات كبرى من ناحيتي الإنفاق والضرائب تصل قيمتها إلى ٦،٥ مليار دولار. تطبيق الحلول الموجعة يدفع المتضرّرين وخاصّة النقابات العماليّة إلى التظاهر احتجاجًا على تحميلهم جزءًا كبيرًا من التضحية، وربّما يلجؤون تباعًا إلى إقفال العديد من المرافق العامّة كالمطارات والمدارس والمستشفيات.

ثانيًا: الإنفاق الذي يجب خفضه من ٥٢٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ٥٠،٦٪ هذه السنة عبر خفض الإنفاق على الدفاع وتخفيف دعم صناديق التقاعد والمستشفيات كما خفض أجور موظّفي القطاع العامّ بنسبة ١٠٪ وصرف ثلث المتعاقدين ووقف التوظيف أي عدم استبدال المتقاعدين بأجراء جدد إلاّ في خُمس الحالات فقط، وذلك لتأمين الحدّ الأدنى من الخدمات الأساسيّة المطلوبة. أمّا الإجراءات الاضافيّة للسنوات المقبلة فتعتمد على نسب النموّ التي ستتحقّق هذه السنة وفي سنة ٢٠١١.

ثالثًا: في الضرائب، تتوقّع الحكومة ارتفاع الإيرادات من ٣٩،٣٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ٤١،٩٪ هذه السنة. تتلخّص الخطوات المطلوبة بتسهيل النظام الضرائبيّ عبر توحيد النسب ورفعها على الشركات ذات الأرباح المرتفعة كما على عمليّات التبادل العقاريّ. هنالك ضرائب ورسوم إضافيّة على الدخان والمشروبات والمحروقات والخلويّ. من المتوقّع أن تقوم الحكومة بجهود إضافيّة لتخفيف حجم التهرّب الضرائبيّ عبر رقابة أفضل وأحدث، تساعدها على تنفيذها مؤسّسات الوحدة الأوروبيّة الموجودة في بروكسيل. ليس من السهل على أيّ حكومة رفع الضرائب في ظروف دوليّة متوتّرة كما يحصل اليوم. في الإحصائيّات الأميركيّة يتبيّن أنّ التنظيم السياسيّ الأقوى هو المعادي للضرائب، ويطالب حكومة أوباما بترشيد الانفاق.

رابعًا: يجب رفع تنافسيّة الاقتصاد عبر تنفيذ سياسات تحفّز النموّ وتحرّر الاقتصاد من سيطرة قوى احتكاريّة قليلة العدد وقويّة النفوذ. المطلوب أيضًا اعتماد سياسات تحارب التضخّم، وبالتالي تجعل السلع اليونانيّة أكثر قابليّة للتصدير. يؤثّر توسيع الأسواق وزيادة المنافسة على الأسعار، ممّا يساهم في تحسين مستوى المعيشة واحترام حقوق المستهلك بدرجة أعلى.

المخارج الممكنة

من الطبيعيّ القول إنّ الحكومة ستفشل في تنفيذ السياسات إذا لم يتحمّس لها اليونانيّون. الظاهر أنّ المواطن اليونانيّ يتّهم الطبقة السياسيّة غير المتجدّدة بل المتوارثة سياسيًا بالفساد وأنّها أوقعته في فخّ الأزمة. لا يرى بالتالي لماذا عليه التضحية عندما لا يكون الذنب ذنبه؟ في الحقيقة أنّ الخيارات صعبة جدًا وتقع بين تطبيق البرنامج الصعب أو الوصول إلى الإفلاس وما يمكن أن يتبعه من خضّات أمنيّة وسياسيّة لا تقلّ خطورة عمّا عرفته اليونان في فترة الجنرالات. من الممكن أن يكون الخيار الواقعيّ الذي يحافظ على موقع اليونان في منطقة اليورو هو حصول تغيير حكوميّ مع وجوه جديدة كفوءة آتية من القطاع الخاصّ والمؤسّسات التربويّة ولا شبهات عليها. يساهم التغيير في إقناع المواطن بالقبول بالتضحيات القاسية التي يجب أن يعتمدها. في الواقع، تجد اليونان نفسها في موقع لا يمكن أن تحسد عليه.

لبنان والحالة اليونانيّة

هل يمكننا تجنّب الحالة اليونانيّة وحلولها الموجعة؟ هنالك فرصة تكمن في أنّنا نضع موازنتين لسنة ٢٠١٠ ثمّ لسنة ٢٠١١، يمكن أن تشكّلا الخطوة الأولى نحو الإنقاذ. من الخطأ رفع الضرائب قبل إحداث نظام جديد مبنيّ على الفعاليّة والشفافيّة والعدالة. المطلوب في الموازنات الجديدة تخفيض الإنفاق وترشيده تدريجيًا وتحصيل الضرائب والرسوم الموجودة. يجب البدء ببعض الإصلاحات الإداريّة التي تفعل عمل الإدارة وتخفّف من التهرّب الضرائبيّ. فالمواطن اللبنانيّ لا يتحمّل أيّ ضرائب جديدة، وهو غير قادر على تحمّل أعباء معيشته. المطلوب في الموازنات نقلة نوعيّة في طريقة التعامل مع اللبنانيّ بحيث تبقيه نشطًا وعاملاً في الاقتصاد لمصلحته ومصلحة دولته. التضحيات مطلوبة؛ وكلّما تأجّلت الخطوات كلّما كبرت التضحيات.

د. منصور عيد

الإعلام بين الأخلاقيّة والإسفاف

ليس خافيًا على أحد أنّ الإقبال على وسائل الاتصال الجماهيريّة من مسرح، وسينما، وصحيفة، وكتاب، وإذاعة، أصبح، وبنسب متفاوتة، أقلّ شأنًا من الإقبال على شاشة التلفزيون. فالصدمات الحضاريّة التي تلقّتها هذه الوسائل قد زعزعت مراكزها، حتىّ وإن لم تلغ دورها كليًا. من هنا يكون القصد بهذه العجالة من الكلام محصورًا في الشاشة الصغيرة التي تشغل اهتمامات البيوت، وليس الإعلام بالمطلق.

ولكي لا أكون سلبيًا تجاه هذه الوسيلة الإعلاميّة المهمّة، لا بدّ من الاعتراف بدورها الفاعل في التربية، والتعليم، والتدريب، والتثقيف، وفي توسيع آفاق الانسان، وبعث الثقة بالنفس، من خلال تحقيق التواصل الكونيّ، وتسهيل الحصول على المعرفة، أو تحقيقًا لعمليّة التماهي اليوميّة بأبطال آخرين، وشخصيّات أخرى عدا الأهل والأقرباء والأصدقاء والمعلّمين.

هذه الايجابيّات تطرح في الوقت نفسه خطورة المشكلة المعرفيّة، وخطورة برامج التسلية والترفيه. فالقضيّة ليست محصورة في بلد واحد، أو في مجتمع واحد، أو في نطاق محلّيّ ومحدود، بل هي مشكلة عالميّة ناتجة عن السياسة الإعلاميّة التي يتبعها منتجو الأفلام والمسلسلات والبرامج؛ ذلك أنّهم، في إنتاجهم، يحاولون محاكاة النوازع الغريزيّة عند المشاهدين، أكثر ممّا يسعون إلى تأكيد عمليّة التسامي للأخلاقيّة الاجتماعيّة، فتغلب السطحية، في كثير من الأحيان، لأنّها مصدر حركة سريعة لعمليّة التشويق التي تشدّ المتلقّي، أكثر ممّا يشدّه المضمون العميق، والأفكار التربويّة والقيم الأخلاقيّة.

وفي هذه المعادلة، يبدو مفهوم ديموقراطيّة الإعلام مفهومًا ملتبسًا وغير صحيح. وتبدو الخيارات في الانتقاء السليم للبرامج بعيدة عن الحريّة، بل هي موجّهة، وبشكل إلزاميّ. فالإعلام المرئيّ والمسموع، هو نوع من الاستبداد الطوعيّ الأكثر خطورة في الحياة الاجتماعيّة. إنّها ديكتاتوريّة مُقنّعة ومحبّبة، وفاعلة، ومؤثّرة في النفوس، تفرض نفسها بشكل لاإراديّ على مسارات حياتنا، عبر آليّات نفسيّة يصعب محاربتها.

وأهمّ تلك الآليّات النفسيّة هي:

الاستسلام

تتكوّن هذه الآليّة نتيجة التعب الذي يصيب المشاهد طوال النهار، إضافة إلى الضجر والملل الحاصلين عن تفكّك العلاقات الاجتماعيّة، وعن طرق ووسائل الاتصال التقليديّة. لذلك يسعى الانسان لملء فراغه المسائيّ، وفي وقت الراحة، إلى الوسيلة الأكثر جذبًا، فيجد نفسه أمام الشاشة، مستسلمًا للصورة القاتلة التي تعطّل عناصر الرفض فيه.

الإثارة

آليّة الإثارة تنتج عن عناصر التشويق التي تقدّمها البرامج المعروضة، وغالبًا ما تكون متناغمة مع النوازع الغرائزيّة، فينتج عنها استجابة نفسيّة، تشكّل ما يعرف بالعقل الجمعيّ الذي نستشفّ حقيقته من أحاديث الناس، واهتماماتهم اليوميّة، وتعليقاتهم على البرامج المعروضة.

التطبيع

التطبيع هو آليّة القبول الطوعيّ لمادّة البرامج المعروضة، بعد زوال عوامل الرفض، والمقاومة، والمواجهة الذاتيّة. لذلك، يألف المشاهد ما يراه أمامه، فيصبح ذلك جزءًا طبيعيًا من عاداته اليوميّة، ومن اهتماماته التي يصعب التخلّي عنها.

المحاكاة والتقليد

هي الآليّة الأشدّ خطورة لدى الأطفال، والشباب، والعامّة من الناس الذين يبحثون عن بطل يتشبّهون به، أو عن قضيّة يتماهون بأشخاصها، ويقلّدون شخصيّاتها. والبحث عن المثال حالة طبيعيّة جدًا في بناء الشخصيّة الفرديّة، لأنّه جزء أساسيّ من التكوين السويّ للذات، ولتوازنها مع المحيط الاجتماعيّ. وهنا تكمن خطورة البرامج المقدّمة وخطورة التقليد. فغالبًا ما يُصوّر المجرمون أبطالاً يبدون من الذكاء والحنكة والاحتيال ما يجعلهم موضع إعجاب في نفسيّة المشاهد.

هذه الآليّات هي التي تحدّد مدى أهميّة البرنامج المقدّم، وتضع الإعلام أمام مسؤوليّاته. فالمقولة التي يحتجّ بها المسؤولون عن إعداد البرامج واعتمادها: «أنّنا نعطي ما يطلب الجمهور» هي مقولة ليست بريئة أبدًا. إنّها إدّعاء فيه الكثير من الهروب، ومن انعدام المسؤوليّة، ومن التجارة بالمشاعر العامّة. «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما للناس للناس». فليس جميع المشاهدين، كما يدّعي الإعلام، من محبّي السفافة والسطحيّة. إنّ زائري السوبرماركت لا يقبلون جميعًا على شراء سلعة واحدة بعينها. والإعلام هو هذه السوبرماركت الكبيرة المعولمة، فاجعلوا فيها النوعيّات الكثيرة التي تسمح للشارين بأن يختاروا ما يشاؤون. أقول السوبرمارت، وليس من باب الإساءة، بل من باب تسمية الأشياء بأسمائها. فالإعلام سلعة كما السلع التي تعرض في الأسواق، والأسواق الغنيّة تعرض فيها منتوجات العالم كلّه. فإلى جانب سوق الصاغة، في بيروت القديمة، تواجدت أسواق الخضار، والسمك، واللحمة، والطيور، وسوى ذلك. وهذه جميعها قد تحوّلت، في مفاهيم التجارة المعاصرة والتسويق، إلى السوبرمارت الكبيرة.

إيلي مارون خليل

الإعلام و...كاهن الحقيقة!

أن تنتظرَ صحيفةَ الصّباح، كلّ صباح، يعني أنّك تنتظر أمرًا ما، شيئًا ما، جميلاً على الأرجح. ألغيبُ قد يحملُ إليك الفرح، الفرج. يُحِبُّ المَرءُ الانتظارَ. في الانتظار قلقُ الأمل. في كلّ أملٍ قلقٌ يَأملُ التّحَقُّق. وفي كلّ قلقٍ أملٌ يرجو الخَلاص. ألتّحَقُّقُ يعني أنّك وصلتَ. في الوصول، خلاصٌ من وضعٍ تريدُ النّجاةَ منه. ما تريدُ النّجاةَ منه يُزعجُك. يؤخّرك. يُميتُ، فيك، رغبةً، أمنيةً، طموحًا.

... وتصل الصّحيفة! بسرعةٍ تتلقّفُها عيناك واليدان. بسرعةٍ: تكرجُ عيناك على العناوين؛ قلبُك بين الألفاظ؛ خيالُك بين السُّطور؛ رغَباتُك في كلّ كلمة، كلّ تعبيرٍ، سطرٍ، مقطع. وتقلبُ الصّفحةَ، والصّفحةَ، والتّاليةَ، والّتي بعد... إلى أن تُنهيَ تَصَفُّحَك، فقراءتَك... يَخيبُ أملُك. وتبدأُ انتظارًا جديدًا.

لماذا؟ كلُّ صحيفةٍ، عندنا، تُقدّمُ إليك ما تُريدُه هي، لا ما تُريده الحقيقة. ألخبرُ قد يكونُ نفسُه، لكنّ الصّحيفةَ توردُه، تَرويه، تُقدّمُه بطريقةٍ مختلفة. بل متناقضة. تضيعُ الحقيقة. تتشوّه. تنقلبُ. مسكينةٌ كلُّ حقيقة. يُتَلاعَبُ بها، كلٌّ يَدّعيها، كلٌّ يريدُها، كلٌّ يمتلكُها... وهي بعيدةٌ عنهم جميعًا. كيف؟ هذا يُخفي تفصيلاً. ذاك يمحو جانبًا. آخرُ يُحَرّفُ تعبيرًا. ذيّاك يستبدلُ صورة. ذيّالك يخترعُ، يُضيفُ، يُجَمّلُ، يُبَشّعُ... كلٌّ يُغَنّي على ليلاه، سيّدِه... كلٌّ بوقٌ، كلٌّ صوتٌ لغيره، كلٌّ ناحرٌ للحقيقة!

ما دورُ الإعلامِ إذًا؟
دورُه الإعلان! كلُّ صحيفةٍ إعلانٌ لوليّ نعمتِها، سببِ لعنتِها. باتتِ الصّحيفةُ لعنةً لا نعمة.
دَورُه التّشويه! كلُّ صحيفةٍ تُشَوّهُ خصمَها: نفسيّةً، شخصيّةً، سيرةً، فِكرًا...
دورُه التّرويج! كلُّ صحيفةٍ تُرَوّجُ ما تشاء. مَن تشاء. كيف تشاء. قدْرَ ما تشاء. أو قدْرَ ما «يُدفَع» لها.
ألمُحَرّرون؟ مُلتزمون. كلٌّ ملتزمٌ عقيدةً، حزبًا، تيّارًا، يمينًا يسارًا... قناعةً؟ أهم مقتنعونَ، حقًا، بما يكتبون، ينشرون، وبه يُبَشّرون؟ إذًا، فهم يُحتَرَمون. مرتاحو الضّمير. أصحابُ قِيَمٍ لا يُتاجَرُ بها. مصلحة؟ أهُم يميلون إلى حيث هم، لأنّ في ذلك خيرهم المادّيّ والمعنويّ؟ فُلان يُقدّم إليهم «منحةً» جامعيّة، وظيفة، «ربطة» عنق غالية، دعوة إلى «وليمة»... وكم هي كثيرةٌ، و«غاليةٌ» مثلُ هذه «الولائم»!

هذه هي «الحُرّيّة»؟ حرّيةُ الانحياز. كلُّ انحياز عَوَر. ألانحيازُ هو عدمُ الرّؤيةِ الكاملة. إنّه رؤيةٌ مجتَزَأة. كلُّ اجتزاءٍ نُقصان. ألنُّقصانُ عيبٌ في الإنسانيّة.
حرّيّةُ الاختيار؟ كلُّ اختيارٍ يتطلّبُ تضحية. تختارُ جانبًا؟ أنت تُضَحّي بآخَر. تختارُ رأيًا؟ أنت تُضَحّي بآخَر. تختارُ فكرة؟ تُضَحّي بأخرى.
ليس على الإعلاميّ التّضحيةُ بجانبٍ من الحقيقة. عَمَلُه... أن يُظهِرَ الحقيقةَ الكاملة. أن يبحثَ عنها بجهد، بعناد، بـ«تضحيةٍ» هنا مجالُها. عليه ألاّ يكونَ فريقًا، ولا طرَفًا. يفقدُ احترامَ «النُّخبة» ولو أصحابُها قلّة. يفقد احترامَ «الأكثريّةِ الصّامتة»، هي تعرفُ لماذا لم تختر بعد، ومتى تختار، ومَن... إنْ...
ألإعلاميُّ النّاجحُ هو مَن «يلتزمُ» الحقّ والحقيقة، ولو بعيدًا من «التزامه». صعبةٌ هذه؟ صحيح.
مَن يقولُ إنّ العملَ الإعلاميّ سهل؟ أن يُضَحّي الإعلاميُّ في سبيل الحقّ والحقيقة، لا أن يُضَحّي بهما، هي المسألة! ألا يستطيع؟ لمَ هو في هذه «المهنةِ/الرّسالة»؟ أيَقبل أن «يُشَوّهَ» رأيَه آخَر؟ لمَ ، إذًا، يعملُ هو على «تشويه» رأيِ الآخَر؟
وأنتَ تتناولُ صحيفتَك الصّباحيّةَ، أنت «تتناولُ» رأيَك مُسَبّقًا! أنت تقرأ هذه الصّحيفةَ، تحديدًا، لأنّها «تناسبُك»، تناسبُ «قناعاتِك»، «اتّجاهاتِك»... لا لأنّها تحملُ إليك الأخبارَ الّتي تريدُ معرفتَها. أنت تقرأ «هذه» الصّحيفةَ، لأنّك «تعرف» ما تحملُه إليك. وتُقَدّرُه. فأنت «تنتظرُه». لا تقرأها لـ«تعرفَ»، بل لأنّك «عارفٌ» سلفًا بما ستُقَدّمه إليك. بـ«معرفتِك». بـ«ثقافتِك». أهي «الثّقافةُ» المرجوّةُ من الإعلام؟ أم هي «ثقافة» ما تريده؟ أهذه هي «الثّقافةُ» الحقيقيّةُ، الشّاملةُ، العميقةُ، الغنيّةُ المُغنية، الخصبةُ المُخصبة؟ ألثّقافةُ البانيةُ شخصيّةً، مجتمعًا، وطنًا، حضارة؟ ألثّقافةُ الرّسوليةُ، الانفتاحيّةُ، القابلةُ، المُحاوِرة؟
وأنت... أن تُريدَ هذا من صحيفتك، من الإعلام، يعني أنّك «خانعٌ»، قابلٌ، حُكمًا ومُسَبّقًا، بما يريدُه الغيرُ لك. يعني أنّك «متنازلٌ»، طَوعًا، عن حرّيّتك واستقلاليّتك وقدرتك على الاختيار. أنت الإنسانُ العاقلُ القادرُ الحرُّ المُثقّفُ الرّائي...
كيف تقبلُ هذا لنفسك؟ كيف تتنازل عن حقّك في «المعرفة»؟ معرفةُ «الحقيقة» ليست حقًّا لك، فحسب، إنّها واجبُك!

ألواجبُ يدعوك، بل يفرضُ عليك، أن تبحثَ عنه، بقوّة، بثبات، بعناد، وأن تتمسّكَ به، تُعليه، وبه تُبَشّر. ألحقيقةُ تدعوك، إنتصرْ لها. إقتحمْ لتجدَها وتُعلنَها وتعملَ لها وبها، لا بفرحٍ عميمٍ، إنّما بسعادةٍ تتفجّر من داخلِك، وفي الشّفوفيّةِ تُقيمُك...
أنت، إجعلْ ذاتَك «كاهنَ» الحقيقةِ إلى الأبد، تَرْقَ إلى الأبد! إلى الأبد!

المحامي يوسف طنّوس صفير
ماجستر في العلاقات الدوليّة والدبلوماسيّة
-القانون الدوليّ-

بعد ٦٢ عامًا على قيام.. إسرائيل
قراءات في أساطير نشأة الكيان الصهيونيّ

«هرتزل هو كان أحد أنبيائنا».. بهذه العبارة اللافتة بغرابتها، دعا رئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتانياهو في ١٨ نيسان ٢٠١٠ إلى إحياء ذكرى منظِّر قيام دولة إسرائيل تيودور هرتزل، الذي دعا اليهود إلى الاعتماد على قوّتهم الذاتيّة، وذلك عشيّة الذكرى الثانية والستين لإعلان إنشاء إسرائيل. وبحسب الأرقام التي نشرتها في المناسبة وزارة الخارجيّة، فإنّ الحروب وأعمال العنف أدّتْ إلى مقتل ٢٢ ألفًا و٦٨٢ قتيلاً من بينهم ٣٩٧١ مدنيًا منذ العام ١٨٦٠، وهو العام الذي شهد بناء أوّل حيٍّ يهوديّ خارج القدس القديمة.
(الصحف الاثنين ١٩ نيسان ٢٠١٠)

بدايةً من هو تيودور هرتزل (١٨٦٠- ١٩٠٤)؟

صحافيّ يهوديّ نمساويّ مجريّ مؤسّس الصهيونيّة السياسيّة المعاصرة. وُلد في بودابست وتوفّي في أدلاخ- النمسا. تلقّى تعليمًا مستوحى من روح التنوير الألمانيّ اليهوديّ السائد في تلك الحقبة، ويغلبُ عليه الطابع الغربيّ الخاصّ لجهة نشوء القوميّات حتّى سنة ١٨٧٨. في هذه السنة انتقلت عائلته إلى فيينا.

• في فيينا التحق هرتزل بكليّة القانون حتّى حصل على الدكتوراه سنة ١٨٨٤.

• اشتغل مدّة قصيرة في محاكم فيينا وسالسبورغ ثمّ توجّه إلى الأدب والتأليف. وعمل أيضًا في الصحافة بباريس. هنا بدأت أفكاره الصهيونيّة تتشكّل، بعد أن عايش مسألة دريفوس وتابع أحداثها في مراسلاته الصحافيّة فيما موجة معاداة الساميّة تتزايد.

• هرتزل اليهوديّ المندمج راح يفكّر في المشكل اليهوديّ وفي ضرورة إيجاد حلٍّ غير الاندماج والانصهار في مجتمعات أوروبا الشرقيّة والغربيّة. فالتيّار المعادي للساميّة ورغبة اليهود في إثبات وجودهم كشعب- كما يرى هرتزل- يدعوان إلى البحث عن بديل.. وأتتْ الإجابة في الكتيّب الذي انتهى من تأليفه يوم ١٧ حزيران ١٨٩٥ والذي نُشر سنة ١٨٩٦ تحت عنوان «مدينة اليهود».

• بعد انتخاب هرتزل رئيسًا للمنظّمة الصهيونيّة العالميّة، بدأ محادثاته مع شخصيّات عديدة من دول مختلفة مثل القيصر الألمانيّ فيلهم الثاني في ألمانيا، وفي القدس ومع السلطان العثمانيّ عبد الحميد الثاني، بحثًا عن مؤيّدين للمشروع الصهيونيّ. لكنّ جهوده لم تؤتِ ثمارها بسرعة، إلاّ أنّها شرّعت الأبواب لمواصلة العمل على تأسيس الدولة العبريّة. وكانت البدايات، بدايات الهرطقة واللامعقول.

هرطقةٌ هي كلُّ الأسس والإدّعاءات التي قامت وتقوم عليها دولة إسرائيل. يأتي يوم من يكتب فيكشف مسارات تاريخ هذه الهرطقة كما فعل الفيلسوف الفرنسيّ روجيه غارودي.

بدأت الهرطقة هذه من يوم جنح بعض القوم والأدباء المؤسّسون للقوميّات العنصريّة بالقراءة الحرفيّة- السطحيّة والتمييزيّة، للكلام الموحى به في كتب الديانات، فجعلوا من الدين تلك الآلة- الرافعة لمنظومة سياستهم حتّى حدود التماهي بين السياسة- سياستهم والعقيدة الدينيّة، واكتستْ السياسة من يوم ذاك بوشاح المكرّس- المقدّس.

إنّه المرض العضال القاتل الفتّاك ما شهدناه في نهايات القرن العشرين وما زلنا نشهده في بدايات هذا القرن الحادي والعشرين، والمتجذّر في كينونة العرقيّات والأصوليّات Intégrismes.

ولندخلنّ في صلب الموضوع، مميّزين أصلاً بين اليهوديّة كدينٍ وإيمان والصهيونيّة كعقيدةٍ عرقيّةٍ قوميّةٍ سياسيّة. ومن فمهم ندينهم:

كتب الحاخام هيرش Hirsh قائلاً: «.. تسعى الصهيونيّة إلى التعريف بالشعب اليهوديّ ككيانٍ قوميّ (عرقيّ)... وفي هذا هرطقة».(١)

والعقيدة الصهيونيّة غالبًا ما عَرّفت عن ذاتها بأنّها:

أوّلاً: عقيدةٌ سياسيّة: «منذ عام ١٨٩٦، تنتمي الصهيونيّة إلى الحركة السياسيّة التي وضع أسسها تيودور هرتزل».(٢)

ثانيًا: الصهيونيّة **عقيدة قوميّة** لم تنبثق من الدين اليهوديّ بل من مفهوم القوميّة الأوروبيّة في القرن التاسع عشر. ومؤسّس الصهيونيّة السياسيّة هرتزل لم يكن ليتذرّع بالدين: «أنا لا أنساقُ إلى نزوةٍ دينيّة.. وأنا لستُ غنوصيًا»(٣)- والغنوصيّة نزعة فكريّة تهدف إلى مزج الفلسفة بالدين، وتشتمل على طائفةٍ من الآراء المضنون بها على غير أهلها.

لم يكن اهتمام هرتزل موجّهًا بشكل خاصّ إلى الأراضي المقدّسة أي فلسطين: كان، وفي سبيل تحقيق أهدافه القوميّة- العرقيّة، يرضى بأراضي أوغندا أو تريبوليتان (ليبيا)، قبرص أو الأرجنتين، موزانبيك أو الكونغو.(٤)

ولكن، أمام معارضة أصدقائه من اليهود، أدرك أهميّة تأثير الأسطورة (mighty legend) كما دوّن في مذكّراته (Diaries I, p 56)، حيث قال إنّها «صرخةٌ للحشد والتجمّع لا يمكن مقاومة تأثيرها»(٥). مثل هذا الشعار الحاشد والمحرّك

للجماهير لم يكن لهذا السياسيّ المحنّك أن يجهل مفاعيل تأثيره. وهكذا تحوّلت أسطورة أرض الميعاد بين يديه إلى واقع تاريخيّ، فيقول: «إنّ فلسطين هي موطننا التاريخيّ الذي لا يمكن أن ننساه. هذا القول وحده كفيل بأن يكون دعوةً صارخةً لتجميع شعبنا وحشده..، فالمسألة اليهوديّة بالنسبة لي ليست مسألة اجتماعيّة ولا مسألة دينيّة..، إنّها مسألة قوميّة».(٦)

ثالثًا: الصهيونيّة عقيدة **استعماريّة توسّعيّة**. هنا أيضًا، لا يُخفي هرتزل أهدافه وغاياته: في مرحلة أولى إقامة «جمعيّة ذات شرعة» Compagnie Charte تحت حماية بريطانيا أو أيّة دولة أخرى بانتظار أن تتحوّل إلى دولة يهوديّة. وفي سبيل هذه الغاية رأيناه يلجأ إلى مَن كان مرجعيّةً لمثل هذه العمليّات: التاجر رجل الأعمال ذو النـزعة الاستعماريّة سيسيل رود Cecil Rhodes الذي عرف كيف يصنع من جمعيّته المنظّمة واحدةً من مكوّنات جنوب أفريقيا وتسمّت باسمه: روديسيا La Rhodésie. فقد كتب له تيودور هرتزل في ١١ كانون الأوّل ١٩٠٢ ما يلي: «.. أرجو أن ترسل لي نصًا تقول فيه أنّك تفحصتَ برنامجي وأنّك توافق عليه. لربّما تتساءل لماذا أتوجّه إليك، سيّد رود. أفعل ذلك، لأنّ برنامجي هو برنامج استعماريّ Mon programme est un programme colonial».(٧)

عقيدةٌ سياسيّة، قوميّة، استعماريّة، بهذه المواصفات الثلاث الخاصّة يتمّ التعريف بالصهيونيّة السياسيّة، كما نجح بحمل لوائها إلى مؤتمر بال Bâle، تيودور هرتزل المؤسّس العبقريّ والمكيافيليّ للصهيونيّة العالميّة، هذا الذي استطاع وبحقّ أن يجاهر في ختام ذاك المؤتمر بقوله مكابرًا: لقد أسّستُ الدولة اليهوديّة «j'ai fondé l'Etat juif».(٨)

ويمرُّ نصف قرن، فإذا بتلامذة هرتزل ينبرون لتنفيذ فتطبيق هذه السياسة بالذات على الشكل الذي رسمه هرتزل وبحسب خطّه السياسيّ فيقيمون دولة إسرائيل (في أعقاب الحرب العالميّة الثانية).

ولكن... هذا المشروع السياسيّ، القوميّ، الاستعماريّ لن يأتي البتّة في مسار **الايمان اليهوديّ والروحانيّة اليهوديّة**.

وفي أثناء مؤتمر بال Bâle الذي كان تعذّر انعقاده في ميونيخ على ما كان خطّط هرتزل، بسبب معارضة الجماعة اليهوديّة الألمانيّة، كان ينعقد في أميركا اجتماع مونتريال (١٨٩٧) حيث، وعلى اقتراح مقدّم من الحاخام إسحاق ماير ويز Isaac Meyer Wise، الشخصيّة الأكثر تمثيلاً وتأثيرًا في أميركا، تمّ التصويت على اقتراح تتعارض فيه بشكلٍ جذريّ قراءتان للعهد القديم: **واحدة سياسيّة قبليّة لأتباع الصهيونيّة، والثانية روحانيّة وشموليّة لأنبياء العهد القديم.**

«.. نحن نشجبُ كلّيًا كلّ مبادرة تهدف إلى إقامة دولة يهوديّة. مثل هذه المساعي تتمّ بالتأكيد عن مفهوم خاطئ لمهمّة إسرائيل الرسوليّة.. التي كان الأنبياء اليهود أوّل من أعلنها. **نحن نؤكّد أنّ هدف الدين اليهوديّ ليس سياسيًا ولا قوميًا، إنّما هو هدف روحانيّ..** فهو يتطلّع إلى زمنٍ مسيحانيّ فيه يعترف البشر كلّهم بانتمائهم إلى جامعة كبيرةٍ واحدة لإحلال ملكوت الله على الأرض».(٩)

هذه كانت ردّة الفعل الأولى للمنظّمات اليهوديّة من «تجمّع الحاخاميّين في ألمانيا» L'Association des Rabbins d'Allemagne، إلى «الاتحاد الإسرائيليّ الجامع في فرنسا» L'Alliance israélite universelle de France، إلى «الاتحاد الإسرائيليّ في النمسا» L'Isaelitische Alliance وحتّى التجمّعات اليهوديّة في لندن.

موجة المعارضة هذه في وجه الصهيونيّة السياسيّة يغذّيها عصبُ التمسُّك بروحانيّة الايمان اليهوديّ لم تنقطع حركتها حتّى عندما، في أعقاب الحرب العالميّة الثانية، استغلّتْ الصهيونيّة الإسرائيليّة مرّة أخرى وفي منظّمة الأمم المتحدة L'ONU ما كان من صراعات بين الأمم، وأفادت من الدعم غير المشروط لها من قبل الولايات المتحدة، وفرضتْ نفسها كقوّةٍ مسيطرة، وبفضل مجموعات اللوبي الصهيونيّ توصّلتْ إلى تغيير اتجاه البوصلة وانتصار سياسة القوّة الإسرائيليّة الصهيونيّة ضدّ ما هو تقليد نبويّ. ولكن، رغم ذلك، لم تفلح الصهيونيّة في إسكات صوت المنتقدين لها في أوساط المراجع اليهوديّة الروحيّة. ومن بين أهمّ هذه الأصوات وأكثرهم جرأة كان مارتن بوبير Martin Buber، الذي ما انفكّ طيلة حياته وحتّى مماته ودفنه في إسرائيل، من فضح هذا التهافت والانحلال وتحويل المعتقد اليهوديّ الدينيّ إلى عقيدة صهيونيّة سياسيّة.

ففي الثاني من حزيران ١٩٥٨ كتب مارتن بوبير في نيويورك ما يلي: «إنّ ما كان ينتابني من شعور ومنذ ستّين عامًا عندما دخلتُ في الحركة الصهيونيّة، هو الشعور نفسه الذي يخالجني اليوم. كان يحدوني الأمل أنّ هذه القوميّة [اليهوديّة] لن تسلك طريق القوميّات الأخرى، هذه التي تبدأ بأمل ورجاء ساميين ثمّ يأخذ مسارها بالانحدار والتقهقر لتتكرّس في ما بعد خلال المؤتمر الصهيونيّ الثاني عشر المنعقد في Karlsbad».

بتاريخ ٥ أيلول ١٩٢١ خاطب كارل بوبير المؤتمرين قائلاً: «.. نحن نتحدّث عن روح إسرائيل ونعتقد أنّنا لسنا مشابهين لسائر الأمم.. ولكن إذا لم تكن روح إسرائيل سوى الموالفة التاريخيّة (المألفة) لهويّتنا القوميّة ولا شيء أكثر من تبرير مزيّف لأنانيّتنا الجماعيّة وقد حوّلناها إلى معبود صنم، نحن مَن رفضنا أن يملك علينا أيّ سلطان غير الله إله الكون، نحن إن فعلنا ذلك نكون إذن كسائر الأمم ونحتسي معها الكأس المسكِرة. **الأمّة ليست القيمة الأسمى.. إنّ اليهود أكثر من أمّة: إنّهم أعضاء في جماعة الإيمان.**

لقد سُلخت الديانة اليهوديّة عن جذورها، وهذا هو كنه هذا الداء وجوهره، وتجلّت عوارضه في نشأة العنصريّة اليهوديّة في أواسط القرن التاسع عشر. هذا الشكل الجديد من متعة الأرض ولذّة امتلاكها هو الخلفيّة التي تفسّر واقع ما اقتبسته اليهوديّة القوميّة عن الحداثة في الغرب.

مفهوم القوميّة.. وأيّ علاقة لفكرة الشعب المختار في إسرائيل مع كلّ هذه الأمور. هذه الفكرة لا تعني أبدًا الشعور بالتفوّق إنّما تضيء أنانيّةً طاغية تتقسّم وتتجزّأ شأنها مع موسيليني، إلى إعلان نفسها Sacro egoism أي أنانيّة مقدّسة، كما لو أنّ الأنانيّة الجماعيّة يمكن لها أن تتسّم بسمة المقدّس أكثر من الأنانيّة الفرديّة.

غداة عودتنا إلى فلسطين، كانت المسألة الحاسمة: هل نريد المجيء إل هنا كأصدقاء وأخوة وأعضاء في مجموعة شعوب الشرق الأوسط أو كممثّلين لقوى الاستعمار والهيمنة؟

إنّ التناقض بين الهدف والوسائل المؤدّية إليه فرّق وباعد بين أتباع الصهيونيّة: فمنهم مَن

كان يبتغي من القوى العظمى امتيازات خاصّة، وبعضهم الآخر، الشباب منهم خاصّة، كانوا يريدون فقط أن يُسمَحَ لهم بالعمل في فلسطين مع جيرانهم من أجل فلسطين وفي سبيل المستقبل.

لم يجرِ كلّ شيء على ما يرام في علاقاتنا مع العرب، ولكن على العموم كانت هناك جيرةٌ حسنة بين القرى اليهوديّة والقرى العربيّة. واستمرّت هذه المرحلة التأسيسيّة للاستقرار في فلسطين حتّى زمن مجيء هتلر.

هو هتلر بالذات مَن دفع بجماهير اليهود إلى التوافد إلى فلسطين، وليس تلك النخبة الآتية لتحسين حياتها وتأمين مستقبلها. وهكذا توالتْ هجرةٌ جماهيريّة هاجسها إيجاد قوّة سياسيّة تحمي أمنها.. وآثرتْ أكثريّة اليهود أن تتعلّم من هتلر أكثر من أن تسمع لنا... ولقد أوضح هتلر **أنّ التاريخ لا يتبع مسار الفكر بل مسار القوّة والسلطة**، وأنّ شعبًا يمتلك قدرًا من القوّة يستطيع امتهان القتل دون وازعٍ ولا رادع... ذلك هو الوضع الذي كان علينا أن نحاربه.. وكان اقتراحنا أنّ اليهود والعرب لا يرضون بالتعايش بل بالتعاون... وهذا ما يجعل التطوّر الاقتصاديّ في الشرق الأوسط ممكنًا وفي هذا يؤدّي الشرق الأوسط مساهمة كبرى أساسيّة لمستقبل البشريّة».(١٠)

في الخامس من أيلول ١٩٢١، خاطب مارتن بوبير المؤتمر الصهيونيّ الثاني عشر والمنعقد في كارلسباد Karlsbad قائلاً: «نحن نتكلّم عن روح إسرائيل ونعتقد أنّنا لسنا شأننا شأن سائر الأمم... ولكن إذا كانت روح إسرائيل لا تعني شيئًا آخر سوى تبريرٍ مموّه لأنانيّتنا الجماعيّة وقد تحوّلت إلى معبودٍ صنم، نحن معشر اليهود الذين رفضنا أيّ ملكٍ آخر غير الله سيّد الكون فإذًا نحن كسائر الأمم نحتسي معهم الكأس التي تُسكِر.

ليست الأمّة هي القيمة الأسمى... إنّ اليهود أكثر من أمّة، إنّهم أعضاء وجماعة.

إنّ الديانة اليهوديّة اجتُثّتْ من جذورها، وهنا مكمن الداء الذي تجلّتْ عوارضه في نشوء القوميّة اليهوديّة في أواسط القرن التاسع عشر. هذا النمط الجديد في شهوة الأرضيّات يشكّل الخلفيّة لما اقتسبته اليهوديّة (المتصهينة) عن مفهوم القوميّة الحديثة في الغرب.

وأيّ شأن لفكرة الشعب المختار في كلّ هذا؟

إنّ هذه الفكرة لا تعني شعورًا بالتفوّق، إنّما هي تتدلّل على سياق المصير. ولا يتولّد هذا الشعور في مسعى التشبّه مع الآخرين، إنّما ينشأ عن واقع دعوة رسالة وعن مسؤوليّة في إتمام عملٍ ما فتئ الأنبياء يدعون إليه: إذا ما كنتم تفتخرون بأنّكم المختارون بدل أن تعيشوا في طاعة الله، فإنّ هذا غدرٌ وخيانة».

وفي صدد تذكيره بـ«الأزمة القوميّة» للصهيونيّة السياسيّة، التي هي فسقٌ وفساد في قلب الروحانيّة اليهوديّة، ختم مارتن بوبير بالقول: «لَكم أملِنا بأن ننقذ القوميّة اليهوديّة من خطأ تحويل شعبٍ ما إلى معبودٍ صنم. وأخفقنا».(١١)

البروفسور Judas Magnes، رئيس الجامعة العبريّة منذ ١٩٤٨، كان يؤكّد أنّ «برنامج بلتمور» لعام ١٩٤٢، والذي يطالب بإنشاء دولة يهوديّة في فلسطين، «سيؤدّي إلى نشوب حرب ضدّ العرب».(١٢)

وفي خطابه في حفل بداية السنة الجامعيّة بالجامعة العبريّة في القدس لعام ١٩٤٦ والتي كان رئيسًا لها منذ عشرين عامًا، أعلن Judas Magnes ما يلي: «.. ها إنّ الصوتَ اليهوديّ الجديد يتكلّم بأفواه البنادق.. هذه هي التوراة الجديدة لأرض إسرائيل. العالم كُبّل بسلاسل جنون العنف.. فلتحمنا الآن السماءُ من تقييد الديانة اليهوديّة وشعب إسرائيل بسلاسل هذا الجنون. إنّها ديانة يهوديّة وثنيّة هذه التي استولت على القسم الأكبر من الدياسبورا. كنّا قد اعتقدنا في زمن الصهيونيّة الرومنسيّة أنّ صهيون سيُفتدى بالنـزاهة والاستقامة. جميع يهود أميركا يحملون مسؤوليّة هذه الخطيئة وهذا التحوّل.. حتّى أولئك الذين لا يوافقون الإدارة الوثنيّة في ما تقوم به ولكنّهم يبقون مكتوفي الأيدي. إنّ تخدير الحسّ الأخلاقيّ يقود إلى انحلال هذا الحسّ».(١٣)

وبالفعل ففي أميركا، منذ «إعلان بلتيمور» حظي الحكّام الصهاينة بدعم وحماية أكبر قوّة في العالم، عنيت الولايات المتحدة الأميركيّة. فالمنظّمة الصهيونيّة العالميّة أزالت من الوجود معارضة اليهود الأمناء على التراث الروحيّ لأنبياء إسرائيل، وبنتْ على أنقاضها ليس «الأسرة الوطنيّة اليهوديّة في فلسطين» (Foyer national Juif en Palestine) إنّما إنشاء الدولة اليهوديّة في فلسطين.

وسبق لألبيرت أنشتاين أن شجبَ ودان مثل هذا التوجّه: «قد يكون من المعقول والصواب أن نسعى إلى اتّفاق مع العرب على قاعدة عيشٍ مشتركٍ سلميّ أفضل من أن نعمل على إنشاء دولة يهوديّة... إنّ فهمي للطبيعة الأساسيّة اليهوديّة يصطدم مع فكرة الدولة اليهوديّة المستندة إلى حدودٍ، والمجهّزة بجيشٍ وبمشروع سلطةٍ زمنيّة مهما كان وضيعًا. أنا أخاف الأضرار الداخليّة التي ستصيبُ الدين اليهوديّ بسبب تفشّي وباء القوميّة الضيّقة في صفوفنا... نحن لم نعد أولئك اليهود في عصر المكابيّين. أن نتحوّل إلى أمّة بالمعنى السياسيّ للكلمة، ذلك يعني أن نحيد عن روحانيّة طائفتنا، هذه الروحانيّة التي نفحتنا بها عبقريّة أنبيائنا».(١٤)

وكان يتمّ التذكير بهذه المبادئ في كلّ مرّة تنتهك فيها إسرائيل القوانين الدوليّة. يكفي على ذلك أن نذكر مثلين صارخين على ما كان يفكّر به ملايين اليهود دون أن يقدروا على التصريح بذلك علنًا في ظلّ ما كانت تمارسه من طغيانٍ فكريّ مجموعة اللوبي الصهيونيّ- الإسرائيليّ:

- عام ١٩٦٠ أثناء محاكمة أيْخمن Eichman في القدس، أعلن المجلس اليهوديّ الأميركيّ ما يلي: «إنّ المجلس اليهوديّ الأميركيّ أرسل يومَ البارحة الاثنين رسالةً إلى السيّد كريستيان هرتر Christiane Herter يرفضُ فيها أن يكون لإسرائيل الحقّ بالتحدّث باسم جميع اليهود. يُعلن المجلس أنّ اليهوديّة هي مسألة دين لا قضيّة قوميّة».(١٥)

- في ٨ حزيران ١٩٨٢، كتب البروفسور بنيامين كوهين من جامعة تل أبيب إلى Pridal- Naquet، أثناء الاجتياح الإسرائيليّ الدمويّ للبنان يقول: «أكتبُ لك وأنا أستمع إلى الترنزستور الذي أعلن منذ قليل «إنّنا» في الطريق إلى تحقيق أهدافنا في لبنان: «تأمين» الأمن لسكّان الجيل. هذه الأكاذيب التي تليق بغوبيلز Gobbels تدفع بي إلى الجنون. من الواضح أنّ هذه الحرب البربريّة، الأكثر بربريّة من كلّ الحروب السابقة لا علاقة لها لا باعتداء لندن ولا بأمن إسرائيل... اليهود، أولاد ابراهيم... اليهود أنفسهم، ضحايا المآسي والمجازر، هل يكونون إلى هذا الحدّ من الضراوة والوحشيّة؟... أكبرُ انتصارٍ للصهيونيّة

هو هذا: نزعُ صفة اليهوديّة عن اليهود La déjudaisation des Juifs. إفعلوا أيّها الأصدقاء الأعزّاء، كل ما في وسعكم كي لا يصل أمثال بيغين وشارون إلى تحقيق هدفهم المزدوج: التصفية النهائيّة (وهذا تعبير شائع عندنا هذه الأيّام) للفلسطينيّين كشعب وللإسرائيليّين كمخلوقات بشريّة». (١٦)

«البروفسور Leibowitz يصف السياسة الإسرائيليّة في لبنان باليهوديّة- النازيّة». (١٧)

إنّه الرهان، رهان الصراع بين الايمان اليهوديّ النبويّ وبين العنصريّة الصهيونيّة، القائمة ككلّ قوميّة عنصريّة على رفض الآخر وتقديس الذات. إنّ كلّ قوميّة بحاجة إلى خلع سمة المقدّس على مطامحها: فبعد تفكّك المسيحيّة في الغرب، راحت كلٌّ من الدول- القوميّات تدّعي لنفسها أنّها هي حافظة الميراث المقدّس وأنّها الوليّة المؤتمنة من قِبَل الله:

فرنسا، «الأبنة البكر للكنيسة (Fille aînée de l'Eglise)»، بواسطتها يكتمل عمل الله (Gesta Dei per Francos). ألمانيا هي فوق الكلّ، لأنّ الله معها (Got mit uns) وإيفا بيرون تعلن بأنّ «رسالة الأرجنتين هي الإتيان بالله إلى العالم». وفي عام ١٩٧٢ Vorster الوزير الأوّل في جنوب أفريقيا وداعية العنصريّة المتوحّشة للتمييز العنصريّ «l'apartheid»، يفاخر بدوره قائلاً: «لا ننسى بأنّنا شعبُ الله، صاحب رسالة موكلة إليه»... في هذا السياق تتقاسمُ العنصريّة الصهيونيّة سكرة وجنون كلّ العنصريّات، حتّى الأكثر وعيًا بينها تدخل في تجربة الجنون هذه.

لا بدّ لنا، ونحن على مشارف نهاية هذا البحث أن نشير إلى رجلٍ مثل البروفسور André Neher في كتابه:

l'essece du prophétisme (Ed. Calman- Lévy). ١٩٧٢. P. ٣١١).

فبعد أن بسط بإسهاب لمعاني العهد (l'Alliance): العهد بين الله والانسان، ينهي كلامه بالقول: «إنّ إسرائيل (بالمعنى التوراتيّ للكلمة في العهد القديم) هو العلامة الجلّى للتاريخ الإلهيّ في العالم. إسرائيل هو محورُ العالم وهو منه العصبُ والمركزُ والقلب».

مثل هذا الكلام يوقظ في ذاكرتنا مرارة الأسطورة الآريّة (le mythe aryen) التي نفثت إيدولوجيّتها فولّدت البانجرمانيّة والهتلريّة. وعلى هذا المسار، تكون البشريّة هنا على النقيض الحادّ مع ما علّمه الأنبياء وأوحتْ به الكتبُ وأسفارُ العهد القديم.

وفي نهاية النهايات نقول: إنّ طبائع الاستبداد، رحم الله مَن كتب عنها، كما إرهاب أحادية الرأي، يلغيان الحوار. الحوار غير ممكن مع هتلر وأمثال هتلر، ذلك أنّ فوقيّتهم العرقيّة أو العهد الحصريّ الذي أعطوه لأنفسهم مع الله، كلٌّ ذلك وغيره كثير ممّا حدث ويحدث في الأراضي المقدّسة سحابةَ اثنين وستين عامًا وإلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.. كلّ ذلك، قلت، هل يسمحُ لهم بعدُ بانتظار شيء من الآخرين.

.. ولأنّنا في هذا الشرق أبناءُ إيمان لا أبناءُ معتقد- أو هكذا وجبَ أن نكون- **ذاك أنّ الايمان وحده يوحّد وأمّا المعتقد فيفرّق ويباعد.** والخطر كان وما زال في انحرافِ مسارِ المعتقد إلى مسارات أخرى، فيتهافتُ ويتحوّل من معتقدٍ دينيّ إلى عقيدةٍ أيديولوجيّة سوسيولوجيّة- سياسيّة، كما هو المشهدُ، كان في الأمس وما زال إلى اليوم.

ولأنّ أتباع الديانات التوحيديّة المشرقيّة ما زالوا رهينة سياج المعتقد المكهرَب. فالشرق الأوسط اليوم مصلوبٌ على حائط خيار لا بديل عنه: فإمّا الحوار وإمّا الحرب، الحوار يفرض بادئ ذي بدء أن يعي كلّ إنسان ما في إيمانه الفرديّ من نقصان، وأنّه بحاجةٍ للآخر ليكمّل ما في ذاته من نقص وفراغ؛ وهذا من لزوميّات تخطّي الأنا وتجاوز الفرديّة والشخصانيّة، والتوق إلى الامتلاء والكمال، جوهر كلّ إيمان حيّ.

غايتنا من هذا البحث والعرض الأنطولوجيّ تتدرج- أو هكذا أردناها- في سياق الجهود المبذولة من جانب بعض اليهود المستنيرين الذين ما فتئوا يدافعون عن جوهر الدين اليهوديّ النبويّ في وجه الصهيونيّة العرقيّة المتزمّتة.

وكلمةٌ أخيرة نسوقها: إنّ ما يغذّي نزعة معاداة الساميّة، لم يَعدْ اليوم محصورًا في فضح وانتقاد سياسة العدوان والاحتلال والاغتصاب والتهجير وطمس هويّة الأرض والشعب، بل هو قائم فعلاً في هذين الدعم والمساندة المطلقين من قِبَل قوى عظمى، لسَياسةٍ لم تحفظ من التراث اليهوديّ إلاّ ما يكون مُبرّرًا- وبتفسيرٍ حرفيّ مغلوط- لانتهاج هذه السياسة الخرقاء وجعلها في منأى من المحاكمة والمقاضاة وفوق كلّ القوانين والشرائع الدوليّة، وذلك بتكريسها ووشمها بسمةِ المقدّس، عن طريق إحياء أساطير الماضي واستيلاد أخرى في الحاضر جديدة لبنيان المستقبل مستقبلهم هم، لا مستقبل البشريّة.

بيت المهدي، في غرّة أيّار ٢٠١٠

(١) جريدة واشنطن بوست- ٣ تشرين الأوّل ١٩٧٨

(٢) Encyclopédia of Zionism and Israel- herzl Press, New- York Volume II, p. 1262 ,1971

(٣) Théodore Herzl: Diaries (Mémoires). Ed. Victor Gollancz. 1958

(٤) المرجع ذاته

(٥) Herzl, l'Etat juif, p. 45

(٦) Herzl, l'Etat juif, p. 209

(٧) Herzl, Tagebuch. Vol. III, p. 105

(٨) Diaries Mémoires

(٩) Conférence central des Rabbins américains. Yearbook VII p. XII ,1897

(١٠) Jewish Newsletter du 2 Juin 1958

(١١) Martin Buber, Israel and the world, Ed. Schocken- New- York 1948, p. 263

(١٢) Norman Bentwich. For sion Sake Biographie de Judas Magnes, Philadelphia, Jewish Publication society of America, 1954, p. 352

(١٣) Idem

(١٤) Le Rabbin mosché Menuhin: The Decadence of Judaism in our time. 1969, p. 423

(١٥) Le Monde, du 21 Juine, 1960

(١٦) رسالة نُشرت في جريدة Le Monde بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٨٢. ص ٩.

(١٧) جريدة يهودوت أهرونوت، ٢ تمّوز ١٩٨٢. ص ٦.

جان كميد

مع الأديب في ضعفه البشريّ

الأديب، هذا الذي نقرأ له غالبًا دون أن نعرفه، أو، في أحسن الأحوال، نسمعه خطيبًا أو محاضرًا دون احتكاكٍ به شخصيًا ودون أن نصل إلى الانسان في ذاته، هذا الأديب يكتسب في روعنا هالة من السموّ تجعل صورته أقرب إلى صورة الأنبياء أو مَن هم فوق مستوى الناس، فإذا مررنا ببلدته، أو زرنا بيته أو مكتبه أو صومعته، شعرنا كأنّنا في معبد أو مزار، وخلعنا على المكان وشاحًا من تصوّرنا هذا. فموطن الأديب في نظرنا، يسمو هو أيضًا على غيره، وكذلك مسكنه، حتّى لنَروح أحيانًا نتلمّس الكرسيّ الذي كان يجلس عليه، والقلم الذي كان يكتب به، والفراش الذي كان ينام عليه، فهي عندنا مقدّسات أو تذكارات ثمينة. ومن هنا بدأت تنتشر فكرة إقامة المتاحف للأدباء والشعراء، تلك التي تضمّ حتّى ملابسهم وأخفافهم- أي أحذيتهم- ناهيك بدواة الحبر التي كانوا يغمسون فيها ريشتهم، والمصباح الذي سهروا على ضوئه، والمنفضة التي أودعوها رماد سجائرهم، والمنشاة التي جفّفت مدادهم على الورق.

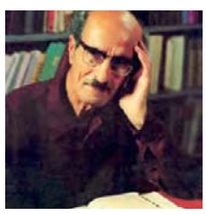

الشخروب، معتزَل **ميخائيل نعيمة**، له في مخيّلاتنا روعة غار حِراء أو جبل الزيتون عند المؤمنين، أي روعة مهبط الوحي وواحة التأمّل والتجلّي. وماذا نقول عن «الكوخ الأخضر» لرياض المعلوف، و«قصر يلدز»، أي خيمة أسعد السبعلي المتواضعة على ضفاف قاديشا، و«مطريّة» أحمد شوقي في مصر وغيرها، وهي تشكّل تلك الأكناف التي شهدت ولادة آثارهم وروائعهم التي نستمتع بها ولا نملّ. وكم سعى السعاة إلى مرقد أبو العلاء في معرّة النعمان، وإلى «بانتيون» باريس حيث يرقد فولتير وفيكتور هوغو، وإلى منـزل شاتوبريان في «وادي الذئاب».. ليحيوا هنيهات في أحواء هؤلاء العباقرة! فالأديب، إذن، هل هو ذاك الوليُّ القدّيس الذي نتبرّك بمثواه وأشيائه.. أم هو إنسان مثلنا تعتمل في نفسه عوامل الشرّ والخير، ويقع، ككلّ الناس، فريسة الكبرياء والجشع، والغيرة والحسد، وحبّ الذات وكره الآخرين، ويخضع للضعف البشريّ على اختلاف أنواعه؟

عندما كنت ناشئًا لم أخالط الوسط الأدبيّ بعد كنت أنظر إلى أصحاب الأسماء المشهورة في أدبنا على أنّ كلاً منهم إنسان مثاليّ منعتق من رواسب الأرض والمادّة ومرتفع في روحه إلى أعلى عليّين، إلى أن كنت مرّةً أتحدّث إلى صديقٍ صحفيّ عن كبارنا في الأدب والشعر وكأنّني أتحدّث عن ملوكِ طبعٍ وخُلُق، فإذا به، وقد كان يعرفهم جيّدًا، يردّد لي المثل القديم القائل: «تسمع بهم خيرٌ من أن تراهم»، ويتابع قائلاً: «لو كنت تعرفهم على حقيقتهم، وتعرف ما يسود علاقاتهم بعضهم بالبعض من تحاسدٍ وتنافس، وكيف لا يقول واحدهم عن الآخر كلمة خير، لما ميّزتهم عن صُبُيّةِ مدرسةٍ أو نسوة حَيّ، وهم، بعد، كالغواني يغرُهم الثناء، ويعتبون على الصحف التي لا تخلع عليهم، كلمّا كتبت عنهم أو نشرت لهم، المديح والألقاب. والنعوت التي اشتُهر بعضهم بها: شاعر الأرز، شاعر النيل، صنّاجة العرب، أمير البيان، سيّد القلم، عميد الأدب، الخ... هي في معظمها صرعات صحفيّة أُطلقت عليهم إرضاءً لغرورهم ودغدغةً لنقاط الضعف في نفوسهم». انتهى كلام صديقي الصحفيّ، وقد مزّق لي الصورة الجميلة التي كانت منسوجة في ذهني عمّن أُعجب بهم وأتتبّع إنتاجهم القلميّ من أدبائنا الأفذاذ، ومع ذلك ظلّت الصدمة التي شعرت بها لدن سماعي لكلامه تشدُّني إلى عدم تصديقه، حتّى قُيّض لي أن أدخل المعترَك الأدبيّ من بابه الواسع بتولّيّ رئاسة تحرير مجلّة «الرسالة» الأدبيّة التي تحلّق حولها الأدباء والشعراء، فأتيح لي أن أتعرّف إليهم وأعاشرهم، وعندها قدّمت في قرارة نفسي اعتذارًا صامتًا لصديقي وبدأت مأساة علاقتي بالأدباء.

مأساةٌ، نعم، خصوصًا بالنسبة إلى مسؤول عن مجلّة أدبيّة، كلٌ تصرُّفٍ من جانبه قد يرضي هذا ويُغضب ذاك من أصحاب الأقلام التي تساهم فيها، فعليه دومًا أن يوفّق بينهم ويخضع لأمزجتهم المختلفة وطباعهم المتباينة وعقولهم المتقلّبة، وما كان أكثر الاعتراضات من واحدهم على الآخر، أو من فريقٍ على فريق، حتّى وصل الأمر إلى حدّ «فيتو» حقيقيّ يتبادلون وضعه بعضهم على البعض. وأذكر أنّني عانيت كثيرًا من المتاعب، وتلقّيت كثيرًا من اللوم، من جانب مَن كانوا يُعتبرون كبارًا في عالم الأدب، لأنّني كنت أشجّع أقلامًا فتيّةً موهوبة أصبحت في ما بعد لامعةً بل متألّقة، ومن هؤلاء أنطون قازان الذي نشرتُ له قصائد وصفها أحدهم بأنّها «شعر محامٍ»، أي شعر يفتقر إلى عناصر الشاعريّة الحقيقيّة لأنّه مشغول، في عرفه، كما المطالعة القانونيّة، ومنهم **أنسي الحاج** الذي كنت أتوسّم فيه ملامح واعدةً بمستقبلٍ زاهر، إنّما كان المحيطون بي يجدونه متطاولاً على مواضيع لا علم له بها.

إنّها نفسيّة الأديب، تجعله يشعر بأنّ كلّ مُجَلٍ في مضماره يبني مجده على حسابه، ويأخذ من دربه، ويحاول أن يزيحه عن مكانته ليتربّع هو عليها. فلا يرتاح إلى بروز أسماء بدأت تكتسب منـزلةً بفضل عطائها، كما لا ينظر بعين الارتياح إلى أعداله ومجايليه، وهو إذا كان الثناء لأحدهم في موقفٍ علنيّ يتطلب المجاملة فلا يكيله له في مجالسه الخاصّة. حتّى حفلات التكريم أو الذكرى التي تقام لأدباء أحياء أو أموات يجدها خطباؤها مناسبة ظهورٍ لهم أكثر ممّا هي إنصاف للمكرّم. ويا طالما سعوا إلى الكلام في مثل هذه المناسبات وتجافوا في تزاحمهم عليه، وأخذ كلٌ منهم يحسب حسابًا لأنداده في المهرجان: هل يطغى عليهم أم يطغون عليه؟ وقد «يسلّف» الواحد زميلاً له

إشادةً بأدبه حتّى ينال منه «ردّ الجميل»؛ فالتقريظ يستتبع التقريظ، والانتقاد يجرُّ إلى الانتقاد، بقطع النظر عن قيمة الأثر المقرّظ أو المنقود.

ويُروى، من هذا القبيل، أنّ شاعرنا **أمين نخلة** أخذ مرّةً إحدى قصائده إلى إدارة جريدةٍ بيروتيّة لتنشرها له، كاتبًا تحت عنوان القصيدة بيده: «لشاعر العرب أمين بك نخلة». وطبعًا احتفى المسؤول عن الصحيفة بالقصيدة وشاعرها ووعد بنشرها في صدر عدد اليوم التالي. وهنا نهض أمين لينصرف، ولكنّه ما أن وصل إلى الباب حتّى عاد ليقول للمحرّر: «لا تنسَ لقب «البك» مع إسمي». وقد كان يلذّ لأمين نخلة أن يجلس وسط شلّةٍ من المعجبين، وهم غالبًا من أدباء الرعيل الثاني، جلسة المعلّم المتفرّد بالحديث، لا يريد منهم سوى إعارته سمعهم وإصغاءهم. فإذا حاول أحدهم المشاركة في الحديث، أو الاستفهام عن نقطة أو التعليق على الموضوع، أسكته الأمين بإشارة من يده كأنّ هذا الذي أراد الكلام مُقاطعٌ غير محتشم.

ويُخبرنا صاحب مجلّة «الأديب» الأستاذ الجليل **ألبير أديب**، أنّ أمين بك يُكثر في مؤلّفاته من الاستشهاد بذخائر الأدب العربيّ القديم حتّى ليخيّل للقارئ أنّه خزانة هذا الأدب وذاكرته، والحقيقة أنّ الأمين يمضي سنةً بكاملها في مسامرة كتابٍ واحدٍ من كتب التراث، فما التهمه في مدى عمره من هذه الكتب لا يتجاوز الأصابع عدًّا، وما يُثبته كمراجع أو شواهد في مؤلّفاته لا يعدو أن يكون مقاطع شاردة وقع عليها صدفةً، هذا إذا لم يبتدع اسم أثرٍ لا وجود له أو يُنْحِل الأثر ما ليس فيه؛ أسوق هذا طبعًا على ذمّة ألبير أديب.

أمّا «شاعر الهوى والشباب»، **الأخطل الصغير**، فقد كان له طرائف كثيرة في باب الألاعيب التي يستخدمها للوصول إلى غايةٍ ما. كان إذا ابتغى أمرًا من أحد المحاولين في الشعر عمد إلى اقتطاع قصيدة منشورة له ووضع قصاصتها في جيبه، فإذا التقاه سحب هذه القصيدة من سترته قائلاً لهذا الشويعر: «قرأت لك قصيدة رائعة، وها أنا، لشدّة إعجابي بها، أحتفظ بها معي لأعاود قراءتها على الدوام». فينتشي سامعه بتقدير شاعرٍ كالأخطل الصغير له وتميد به الأرض زهوًا، ويغدو طوع بنان الشاعر يلبّي له كلّ طلب.

وعلى سيرة الأخطل الصغير أذكر أنّه كان بينه وبين الشاعر **أحمد الصافي النجفي** نوع من الغيرة المتبادلة، فيشترط الأخطل على أعضاء حلقته الذين يتجمّعون حوله في بار الحاوي الكائن تحت مكتبه في بناية الروكسي بساحة الشهداء ألاّ يجالسوا الصافي، ويشترط الصافي مثل ذلك على جُلاّسه. فإذا خرق أحد أعضاء أيّ من الحلقتين الشرط وجالس الشاعر الآخر احتاج إلى وقتٍ طويل لاسترضاء شاعره العاتب ونيل صفحه.

ولقد كنت شخصيًا من أعضاء شلّة الأخطل، ولكنّ الصافي كان ينشر شعره في مجلّتي «الرسالة». ولذا كانت بيني وبينه مودّة دفعتني مرّةً إلى مجالسته فيما حلقة الأخطل منعقدة، فقال لي شاعري من بعد: «أوعا جان، إنّك لا تزال حتّى الآن الإبن الحبيب وحدك». فكانت جلسةً يتيمة مع الصافي، لم أعد إلى مثلها لا مراعاةً لخاطر الأخطل وحسب، بل لأنّه حصل جفاء بيني وبين الصافي بسبب رأيٍ أبديته في شعره لم يَرُق له، إذ قلت له إنّ هذا الشعر عمل فنيّ موفّق من حيث غناه بالفكرة والصورة والطبعيّة، ولكنّه لا يجري بلغة الشعر الخاصّة بل بلغة الكلام العاديّ، أي كما يأتي صاحبَه بدون تنسيق. فانتفض الصافي وقال إنّه يعتبر ذلك مديحًا لا انتقادًا، لأنّه يفخر بأن يكون شعره آتيًا عفو الطبع وعلى السجيّة، وأن يكون نسيج وحده غير منتظمٍ في خطّ مدرسة من المدارس الشعريّة التي تقيّد الشاعر في عمله وتحصره في قوالب من وضعها. ومن ذلك الحين فترت علاقتي بالصافي، وجنّبني ذلك التعرّض من جديد لعتب الأخطل الصغير.

أمّا حبيبنا الراحل **أنطون قازان** فقد كان بالفعل كبيرًا كبيرًا، إنّما، كغيره، لا يستعلي على النوازع البشريّة عندما تعصف في النفس. لم يكن يقولها واضحةً كأمين نخلة: «لا تنسَ البيك»، إنّما كان يحاول بكثيرٍ من اللباقة، أن يعرف التقديم الذي سوف يوضع لمقاله أو لقصيدته أو للمحاضرة التي يعتزم إلقاءها، فيقول للناشر أو للعرّيف: «ما رأيك لو كانت العبارة هكذا»، أو: «لا بأس بإضافة كلمة «المحامي» إلى اسمي»، وما إلى ذلك من الإشارات والتلميحات الناعمة.

ومع ذلك فإنّني أذكر حادثتَين طريفتَين من حادثات أنطون، أولاهما كانت عندما دعي إلى تقديم الشاعر **جورج غريّب** في أمسية شعريّة له بإحدى المدارس، فتولّى رئيس المدرسة صاحبة الدعوة إلقاء كلمة الافتتاح التي ركّز فيها على الصلة الوثيقة التي تربط ما بين جورج غريّب وأنطون قازان والتي لم يرَ فيها غير صلة التلميذ بأستاذه، إذ أنّ جورج غريّب كان أستاذ أنطون في معهد عينطورة. وقد جال المتكلّم كثيرًا في الموضوع، ولكنّه لم يخرج عن هذا الإطار: إطار التلمذة والأستذة: «التلميذ يقدّم أستاذه، والأستاذ يستمع إلى تلميذه». فالتفتُّ إلى أنطون، وقد كنت أعرف نفسيّته، وهمست في أذنه قائلاً: «ما رأيك بهذا التقديم الذي أعادك الليلة إلى عهد التلمذة؟»، فأجابني بوجهٍ ممتقع كأنّ ماءً مغليًا صُبّ على رأسه وقال: «ماذا تفعل مع من لا يعرفون طعم فمهم في ما يقولون؟».

والحادثة الثانية جرت معي بالذات.. عندما كان أنطون يقرأ عليّ إحدى قصائده، فوصل إلى بيت فيها يقول في شطره الثاني: «كأنّ شيئًا جرى فيها ولم يَثِبِ». فسألته: «ما معنى هذا الشطر؟ هل أنّ الشيء الذي تقصده مشى ولم يقفز؟» (قلتها بالعاميّة: «مشي وما نَطّ؟»). هنا ظهرت ملامح التأثّر على وجه أنطون، فطوى أوراقه رافضًا أن يُكمل قراءة القصيدة وقائلاً: «إذا إنت عن بتقول هيك»، على اعتبار أنّني أنا أعرف قيمة شعره. والشيء نفسه، تقريبًا، جرى لي مع الشاعر

قبلان مكرزل، ففي مدرسة «الجودة» بجلّ الديب دعيت إلى تقديم هذا الشاعر في أمسية شعريّة، وبما أنّني لا أجيد التقديم الخطابيّ المجامل فقد آثرت أن يكون تقديمي دراسة شعره. فبدأتها بتناول قبلان مكرزل في إطلالته الأولى على الشعر عبر ديوانه «الخلود»، الذي تتصدّره قصيدة بهذا العنوان تتصدّى للمعتقدات الدينيّة التي تصف الما وراء بالصور الأرضيّة وتخلع على سكّانه هيئة البشر، ولكن بأسلوب سرديّ تقريريّ بعيد عن الجماليّة الشعريّة. ثمّ انتقلت من ذلك إلى تطوّر الشاعر عبر دواوينه المتعاقبة حيث بلغ درجة عالية من الكمال. فلم أقف طويلاً عند الناحية السلبيّة في شعره، بل قسمت هذا الشعر إلى مراحل ثلاث: مرحلة العقلانيّة التي لم تُعْنَ بالترف الفنّيّ بل بالتعبير عن الفكرة وإيصال الرأي، ومرحلة الشعر الغنائيّ الخالي من العمق والذي هو عكس الأوّل، إذ غاب عنه المعنى العالي ونما فيه النغم والإنشاد، وأخيرًا المرحلة الثالثة التي جمعت ما بين الفكرة والفنّ فبلغت أعمال الشاعر فيها أرقى المستويات، وأعطيت شواهد كثيرة على هذه الأعمال الشعريّة الناضجة، ولكنّني ما أن تركت المنبر للشاعر حتّى فوجئت بموقف انفعاليّ عصبيّ من جانبه- وشاعرنا خدين كأس- وفحوى ردّه أنّ قصيدته «الخلود» قرعت باب الخلود فعلاً فلا يضيرها النهّاشون، وأنّ فلسفة الدنيا والآخرة مضمّنة فيها. ولقد كنت أقبل من الشاعر ردًّا موضوعيًّا كالدراسة التي ألقيتها عنه، وخصوصًا أنّني أنصفته في دواوينه الأخيرة كلّ الإنصاف، أمّا أن يردّ بتلك الطريقة العاصفة فذلك ما لم أكن أنتظره من شاعر تربطني به صداقة قديمة ويعرف حُسن نيّتي تجاهه.

هذا وإنّ الضعف البشريّ في الأديب لا يتجلّى في مجال تقييم النفس والغضّ من قيمة الآخرين فحسب، بل يتجلّى كذلك إزاء المنافع والمغانم مهما كانت بخسة، وفي المجال العاطفيّ مهما كان الأمر في غير محلّه. فالأديب الكبير مارون عبّود كان مديرًا للدروس العربيّة في «الجامعة الوطنيّة» بعاليه، وأحد الأساتذة في الجامعة كان كورانيًا لديه من الزيت والصابون موسم ترّ. فلمّح له مارون مرارًا بأن ينفحه بهديّة من الصابون، فكان هذا «يطنّش» عن تلميحات مديره، إلى أن كان يوم اختار فيه مارون وقتًا لا يكون خلاله الأستاذ المذكور في بيته، فذهب يزور والدة هذا الأستاذ الهرمة، بادئًا حديثه بالثناء على البطن الذي حمل الأستاذ والثديين اللذين أرضعاه، فهو مفخرة «الجامعة» وضمانة نجاحها وإقبال الطلاّب عليها، مسترسلاً في الحديث، إلى أن عرض على الوالدة الطيّبة حاجته إلى «كم لوح صابون» إذ لا يرغب في استعمال غير صابون منطقتهم المشهور. فخفّت العجوز إلى غرفة المؤونة وحملت «غُمرًا» من الصابون أعطته لـ«المدير» معتذرة: «لاتواخذنا، ما في شي من قيمتك»، فأخذه مارون وراح يهدل نازلاً على الدرج، ملتفتًا إلى المرأة مرّةً بعد مرّة ليدعو لها بطول العمر، ولولدها العزيز بالفرحة والإنجاب.

وقد عرفتُ، خلال عملي الصحفيّ في مجلّة «الرسالة»، الشاعر السوريّ بدوي الجبل الذي كان نزيل بيروت لأسباب سياسيّة إذ كان في السابق نائبًا ووزيرًا في بلاده. وفي مجلس ضمّنا، بحضور نجلَيه الشابّين، قال لي إنّه محروم في بيروت من المطالعة لبُعده عن مكتبته وعدم توفّر المال لديه لشراء الكتب، سائلاً إيّاي أن أعيره بعض ما لديّ من كتب ليأنس بها في عزلته. فأجبته بأنّ الخدمة السريعة التي أستطيع أن أؤدّيها له هي أن أخفّ إلى إدارة المجلّة الكائنة في بيروت وأجلب له بعض الإهداءات من الكتب الواردة إليها لأنّ بيتي في جونيه حيث مكتبتي الخاصّة. فشكرني وأبى إلاّ أن يرافقني مشيًا إلى الإدارة. ولاحظت أنّ ولديه يخاطبانه بكلمة «سيّدنا» بدلاً من «أبي» جريًا على تقاليد قومهم فيما يظهر.. بتوقير صغارهم لكبارهم. فأتيت له بالكتب، راجيًا إيّاه أن يعيدها لي بعد فراغه من قراءتها لأنّها لا تخصّني شخصيًا بل هي لمكتبة المجلّة التي لا أملك امتيازها بل هي مُلك غيري، ولكن رغم هذا الرجاء غاب «البدوي» وولداه عن بصري ولم أعد أرى لهم ظلاً.

ولقد كنت في عهد الدراسة أسمع من بعض رفاقي الطلاّب من أبناء منطقة العلويّين أنّ بدوي الجبل لاطش «مسابح طقطق» عندما تكون من النوع الثمين، إذ يستعيرها من أصحابها ولا يردُّها لهم، ولكنّني لم أكن أعرف أنّه لاطش كتب أيضًا حتّى كانت تجربتي معه.

من هنا أنتقل إلى دنيا الاغتراب، لسماع الشاعر والصحفيّ عبدالله صالح يتحدّث عن الشاعر إيليّا أبو ماضي المشهور الانسانيّ الذي يحنو فيه على قضيّة البؤساء والمظلومين في الحياة، ويحمل على استغلالهم من قِبَل الأقوياء وذوي النعمة، فيقول عبدالله صالح عنه، وقد عمل معه سحابةً من الزمن في جريدته «السمير»، أنّه كان يهبط من مكتبه إلى المطبعة ليحاسب العمّال على أبسط الأشياء، وتبلغ به الحدّة كلّ مبلغ إذا اكتشف في عملهم ما يعود عليه بأقلّ ضرر أو خسارة ويحسم عليهم من معاشاتهم. فعندما يعلو في مطبعة «السمير» صوت غاضب يطغى على هدير الآلات وجلبة العمل، صوت يُنبئ بالكثير من الجشع لدى صاحبه، وبكثير من الامتهان للعامل والجور عليه، فقل إنّه صوت صاحب الجريدة، الشاعر «الانسانيّ» الكبير، يعلو سائلاً عن الصغيرة والكبيرة، صارخًا في وجوه العمّال ومهدّدًا بصرفهم من الخدمة طردًا، وهم الفقراء المعوزون، إذا تكرّرت هفواتهم التافهة. تبقى ناحية الضعف البشريّ لدى الأديب في الحقل العاطفيّ، وذلك عندما تبدر منه بوادر في غير محلّها. فلسنا لنؤاخذ الأديب والشاعر على عشقه وصبواته وقد استُلهم معظم الأدب والشعر من الحبّ والمرأة، إنّما المسألة غير المقبولة هي عندما يقارب الأديب السخف في موقف من هذا النوع، فيتصرّف لا بوحي الرجاحة المفروضة فيه.

وأسوق بهذا الصدد خبر حادثة طريفة جرت عندي في البيت، فالدكتور زكي المحاسني هو علَم

من أعلام الأدب لم أعرفه إلاّ كهلاً متجاوزًا عهد التصابي. وقد توطّدت صداقتي معه إلى حدّ أنّه كان يبيت عندي أثناء وجوده في لبنان. وفي أمسية من الأمسيات دلف إليّ والفرح ينطق في عينيه، ودون أن ينتظر منّي سؤالاً قال وكلّ خلجة من خلجاته تنبض ابتهاجًا: «إنّ صوتًا ذهبيًا سيزقزق الليلة عبر سمّاعة الهاتف في منـزلك».

استوضحته الأمر، فإذا هو قد لقي في بيروت الأديبة نور سلمان الذي كان معجبًا بجمالها فوق إعجابه بأدبها. فنظم من وحيها قصيدة شكرته عليها بشعور لا يتعدّى عرفان الجميل، وبناء على طلبه وعدته بأن تهتف له في تلك الليلة فيتسامران في الحديث، وحدّدت له الساعة الحادية عشرة موعدًا لاتصالها. فأعطاها رقم هاتفي في جونيه، وجاء يُبلغني بذلك ويقيم على لهيب الانتظار.

منذ الساعة العاشرة والنصف «تمركز» المحاسني قرب آلة الهاتف وراح يرقب الوقت. وبدأ الموعد يقترب وهو ينظر إلى عقارب الساعة بلهفة. فآذنت الحادية عشرة ولم يرنّ جرس الهاتف، فظنّ أنّ الأمر مجرّد تأخّر عاديّ. ولكنّ الساعة تخطّت الحادية عشرة والربع، ثمّ الحادية عشرة والثلث والهاتف لم يقرع. وفي الحادية عشرة والنصف نفد صبر المحاسني فأخذ يزرع أرض الغرفة جيئة وذهابًا وهو ينظر إلى الساعة بين الحين والحين. ولمّا انتصف الليل قطع آخر أملٍ بسماع «الصوت الذهبيّ»، فأوى إلى حجرة النوم وهو يتمتم: «أيّتها الباطنيّة الخدّاعة».

رحم الله زكي المحاسني، ففي أحاديثه معي ورسائله إليّ زادٌ غنيّ حول أخلاق الأدباء وحقيقة نفوسهم: فهذا الأديب الدمشقيّ انتهازيّ وصوليّ، يتتبّع أثر المحاسني أينما ذهب ليأكل من اللقمة التي يأكلها، وقد لحق به إلى «الجامعة اللبنانيّة» لمّا علم بأنّ المحاسني أُعطي منبر تدريسٍ فيها.. فسعى لنفسه بمنبر مماثل. وذاك الأديب، الدمشقيّ أيضًا، كذوب ملسان، تلقاه في طريقك فيبادرك بأنّه عائد لتوّه من السفر ويكون في الحقيقة خارجًا من بيته. وتلك «الأديبة المصريّة» لا تتقن الكتابة إطلاقًا، وإنّما يوقّع زوجها باسمها حتّى تلقى آثاره الرواج لأنّ الأسماء النسائيّة محظوظة لدى القرّاء. ومثلها «أديبة» دمشقيّة تستكتب خلاّنها الأدباء وتدّعي ما يجودون به عليها. وهناك، أخيرًا، أديب مصريّ قضى عمره يكتب باللغة العاميّة، وإذا به، فجأةً وفي مغرب عمره، يتحوّل كاتبًا بالفصحى المتينة الخالية من الإلحان، أمّا الواقع فهو أنّ عالمًا أزهريًا غدا «يترجم» آثاره إلى الفصحى.

ذاك هو خُلُق الأدباء، أو تلك هي سوانح الضعف العابرة التي تنتابهم. فهم بشر كغيرهم، «وأيُّ الناس تصفو مشاربه؟» كما يقول بشّار بن بُرد.

ولعلّ فكرة الأديب الترابيّ، ابن هذه الأرض المجبول بالنقص والخطيئة، هي التي حدت ميخائيل نعيمة على تأليف كتابه المعروف عن جبران الذي وصف فيه صاحب «النبيّ» على حقيقته التي عرفها نعيمة وخبرها بفعل صحبته الطويلة له. وقد اكتسب هذا الكتاب أهميّةً لكون جبران غدا في نظر الكثيرين نبيًا أو قدّيسًا، وهي الصورة التي تتراءى لنا عنه من خلال كتاباته.. فلا يبدّدها من أذهاننا إلاّ أن نعايشه كما عايشه رفيق عمره نعيمة لنجد أنّ «الباشا» هو أيضًا «زلمة» من الأزلام.

ورغم أنّ البعض رأى في كتاب نعيمة تحاملاً على **جبران** مردّه إلى رغبة نعيمة في الحدّ من التألّق الجبرانيّ الذي كاد أن يكسفه شخصيًا، وهو ندّ جبران وعِدْله، فأغلب الظنّ أنّ نعيمة لم يزوّر شيئًا بحقّ جبران وإن استفاد من وجود نواحٍ سلبيّة عنده لا ترفعه إلى مرتبة القداسة، فأوردها شهادة على أنّ صاحب «النبيّ» ليس ذلك الانسان المتسامي، الحامل في ذاته قبسًا من النبوّة أو الألوهة.

ففي زيارة قمت بها وصديقي جورج أبو سعدى

لإلياس أبي شبكة في أواخر حياته، سأله جورج رأيه في ما كتب نعيمة عن جبران، فدافع أبو شبكة عن نعيمة بقوله: «لا يستطيع نعيمة، كأديب مسؤول عن كلمته ويكتب سيرةً للتاريخ، أن يجاري القوم الذين يفخرون بأنّ جبران نبت من عندهم في نظرهم إليه تلك النظرة الخارقة إلى حدّ وقوفهم أمام ضريحه خاشعين وداعين إيّاه بقولهم: «يا مار جبران تضرّع لأجلنا»؛ فقد صوّر نعيمة جبران كما عرفه، وليس هناك مَن هم أعلم به منه».

تذكرت، عندما سمعت من أبي شبكة ذلك، أنّني في زيارتي قبر جبران في بشرّي شاهدت محفورًا على جداره عبارة «هنا يرقد نبيُنا جبران».

ولكن بين مَن يجدون في ما كتب نعيمة عن جبران تحاملاً وبين مَن يجدون فيه تجرُدًا علميًا وخدمةً للحقيقة والتاريخ، يظلُ الرأي الأصوب في نظري أنّ كتاب نعيمة عن جبران يَدين الاثنين معًا: الكاتب والمكتوب عنه. فجبران، في هذا الكتاب، إنسان يخضع كغيره للطبيعة البشريّة، فتتحكّم به الأهواء والعواطف والنـزوات، ونعيمة، بالنسبة إلى المحلّل المتبصّر، كان أمينًا على الحقيقة ولكنّ الدوافع التي حدت به إلى إعلانها لم تكن بريئة كثيرًا بل فيها من الدوافع الشخصيّة قدر كبير.

وعلى كلّ حال إذا كان جبران يعترف هو نفسه بأنّه ليس أكثر من إنسان صغير عندما يقول: «أنا خبر كاذب»، بمعنى أنّ أسطورته لا تنطبق على واقعه، فنعيمة، الذي نَسج حول نفسه في كتاباته هالة لا تقلّ عن هالة جبران، ترك هذه الصورة تتداعى بممارساته الفعليّة. فربّما كان أسطع مثل على التناقض في ذات الكائن الواحد ما نعرفه من دعوة نعيمة إلى عدم قتل العصفور إشباعًا لهواية الصيد، هذا العصفور الذي لا توازي الفائدة من اصطياده حرمانَ الأجواء منه. فهو لا يُسْمِن ولا يُغْني من جوع، وهو الطائر الجميل الوديع الذي ليس فيه ما يجعل النفوس تقسو عليه، وهو زينة الأفنان والخمائل، وصوته موسيقى الطبيعة الحيّة وأنشودتها الساحرة. هكذا كتب نعيمة عن العصفور، لكنّه، يقول القريبون منه، لم يرأف بهذا العصفور عندما سطا على بعض جنائنه في بسكنتا طلبًا للقوت، فأزهق روحه إنقاذًا للثمار القليلة التي ضنّ بها عليه.

إنّه الانسان في كلّ زمانٍ ومكان، لا يصدق دائمًا مع نفسه ولا يزكّي قوله بفعله، والأديب.. لماذا نطلب منه أم يكون أكثر من إنسان؟

د. دياب يونس

وحقِّ دمه، لا تبيعوا لبنان!

لبنان الغد أكثر من لبنانيّ... لبنان الغد رسوليّ... ورسوليّته موجّهة إلى اللبنانيّين في الداخل، وإلى العرب في الخارج، وإلى جميع شعوب الأرض.

أوّلُ ما قادَ المودّةَ، في منتصَف السّبْعينيّات، بينَ كمال يوسف الحاجّ وبيني مقالةٌ نَشَرْتُها في مجلّة «الوعي» التي كانت تُصْدِرُها رابطةُ معهد المعلّمين العالي عندما كنتُ أَرئسُها، بعنوان «الأَوزاعيّ»، ذلك الرّسولُ اللبنانيّ»، إذ اتّصَلَ الدكتور بالطالب يُهَنِّئُهُ قائلاً: «إمضِ قُدُمًا في هذا الاتجاه، فالإمامُ الأَوزاعيُّ هو أحدُ مقوّمات القوميّة اللبنانيّة».

وإذْ قَرَأَ الدكتور الحاجّ أنّ الرابطة قد أحدثتْ مكتبًا فيها يتولّى الاهتمام بالشؤون الفلسطينيّة، باركَ الرابطةَ وأَيّدَ رئيسَها واعتبرَ أنّ الأمر يندرجُ في دور لبنان العربيّ وفي صميم رسالته إلى أشقائه العرب.

وها أنا ذا، بعد كتابات عدّة فيه وفي بعض نتاجه، أتناولُ ملامحَ من اهتماماته الوطنيّة، فأتحدّثُ، بعجلة، عن اللغة العربيّة، أوّلاً؛ وعن أرض الوطن، ثانيًا؛ وعن الأخوّة العربيّة وفلسطين، ثالثًا؛ وعن رسالة لبنان، رابعًا.

١. اللغة العربيّة

كان كمال الحاج من عباقرة اللغة العربيّة ومن سادتها الخلاّقين. وهو من أَعظمِ مَنْ حَبَّرَ بها، وطَرّزَ، وخَرّمَ، وَوَشّى، ونَقَشَ.

تَلَقّى حبّها من أبيه الأديب يوسف الحاج ميراثًا أبويًا مقدّسًا، كما وَرِثَ عنهُ إعجابَه بتراث العرب الأدبيّ.

أَنْزَلَ لغةَ الضاد، لغةَ قوميّته اللبنانيّة، في منزلة بؤبؤ العين وحُشاشة القلب، فإذا خانَها خانَ لبنانيّتَه العربيّة، وخانَ عروبتَه اللبنانيّة، وخانَ إنسانيّته، وهو بها، ومن خلالها يمارسُ حضارةً وسيادةً قوميّة سياسيّة. وهو ينوّهُ بمقدرة اللبنانيّ، عبر العصور، على حذق اللغات ما جَعَلَ اللبنانيّين يتقدّمون شعوبَ العالم في اعتماد اللغتين والثلاث لكلّ مواطن.

بَيْدَ أَنّ الحاج اعتبرَ أنّ الإنسان لا يُبْدِعُ إلاّ من خلال اللغة— الأمّ التي عُجِنَ بها منذ يفاعه، وأهابَ بالمولَعين بالتأجنُب في لبنان إلى ضرورة الاقتصار على تدريس اللغة — الأمّ قبل سن العاشرة لكي لا يُحْدِثَ الارتباطُ المصطنع باللغات الأجنبيّة اضطرابًا في نموّ الولد الوجدانيّ.

فهل، في لبنان، من يُعيرُ هذه الدعوةَ آذانًا صاغية فَنُقْلِعَ عن تزييف شخصيّتنا، وتزوير لساننا، والتنازل عن وطننا والتنكّر لقوميّتنا، ونرفضَ أن نكون غيرَ ذواتنا، وأن نتزيّا بغير أزيائنا، وأن نتسمّى بغير أسمائنا، وأن لا نتّخذَ أسماءنا إلاّ من تراثاتنا العائليّة والدينيّة والوطنيّة والقوميّة فلا ننتحل أسماءَ سوانا، فتلك الأسماء تخصّ بيئاتها ومجتمعاتها وثقافاتها. فَلْنَشْفَيَنّ من عاهاتنا النفسيّة وأمراضنا الثقافيّة، فلا نَتّخِذَ سوى أُمّهاتنا أُمّهاتٍ، وسوى آبائنا آباءً، ولنتذكّرْ ما يقول الشاعر الفرنسيّ ألفرد دو موسيه (Alfred De Musset) : قَدَحي صغيرٌ ولكنّني أشربُ بقَدَحي.

***

٢. أرض الوطن

جعلَ كمال الحاج الأرضَ العنصرَ الأوّلَ بين عناصرِ القوميّة اللبنانيّة، وانبرى يعدّدُ جمالاتِها وخصائِصَها التي جَعَلَتْها مميّزةً لوطن مميّز.

ويرى أنّ أرض لبنان مشتهاة. القوميّة العربيّة تشتهيها باسم أرضٍ تمتدُّ من المحيط إلى الخليج؛ القوميّة السوريّة الاجتماعيّة تشتهيها باسم الهلال الخصيب؛ القوميّة الصهيونيّة تشتهيها باسم أرض الميعاد.

ويشتهيها التجّارُ حجارةً كريمةً، «وقرىً من زُمُرُدٍ»، ومشارفَ من جَنّاتِ عَدْنٍ؛ ويشتهيها الطامعون والمتآمرون؛ ويسهّلُ بيعَها إلى غير اللبنانيّين لبنانيُّون وَجَدوا في الدينار ربّهم وهم لا يدرون أنه يُدْني من النار، ووجدوا في الدولار مدخلاً إلى الانهيار لأنّ من باعَ أرضَ لبنان باعَ سماءَ لبنان، بل قربانًا مُقَدّسًا طالما مازَجْناه ومازَجَه آباؤنا بدمائهم وعَرَقهم وأحلامهم وحنينهم وقصائدهم: فكلُّ أراضي العالمين مصنوعةٌ من تراب وحصى حاشا أرضَ لبنان فهي منسوجة من أهدابٍ وقلوب! فهلاّ أَدْرَكْنا أنّ احتلال فلسطين بدأ بشراء أمتار في بَيْسان! وهلاّ أَوْقَفَ اللبنانيّون هذه السّيمونيّةَ أو المتاجرةَ بالمقدّسات، فلا يُدْرِكَنا نَدَمُ الكُسَعيّ— ولاتَ ساعةَ مندمٍ-، وهلاّ أَقْسَمْنا على مذبح الوطن لَنَحْتَفِظَنّ بكلّ حبّة تراب ذخيرةً مقدّسةً وأيقونةً طاهرةً وقدسَ أقداسَ، ودَعَوْنا من هذا المنبر

التربويّ المميّز إلى إلغاء قانون بيع لبنان كي تبقى أرضُ الوطن للبنانيين وفي أيدي اللبنانيّين لا يشاركُهم فيها أخٌ ولا صديقٌ ولا جار.

أيُها اللبنانيّون، «يا سامعين الصوت»،

أرى لبنانَ يَغورُ تحت أقدامنا وتَبْتَلِعُه تنانينُ النفط، ويتحوّلُ إلى غير ذويه، وسيُدْعى إلى غير آبائه وأبنائه الأصيلين والأصليّين.

أيُها اللبنانيُون واللبنانيّات،

إذا بَقِيَ قانونُ بيع لبنان، قانونُ النخاسة هذا، لن يبقى لكم وطن، وستفقِدون لبنان. لبنان بكم وبأولادكم ضاقَ ويضيقُ جسمُه، اليومَ، وقبلَ اليوم، فهل سيستوعبكم بعد عشرين وثلاثين ومائة عام ؟ أمْ أنّكم تلحسون دمكم على مِبْرَدِ الشيكات والأصفر الرنّان وتلهون وتطربون ثم تستفيقون وقد أُخْرِجْتم من منازلكم، وهُجِّرْتم من مناطقكم، وُطردْتم من وطنكم، ورُمِيْتُم في الظلمة البرّانيّة حيثُ البكاءُ وصريفُ الأسنان!

أيّها اللبنانيّون واللبنانيّات،

لا تسجّلوا على أنفسكم عارَ بيع لبنان ! واذكروا، على الدّوام، أنّ لكم كرامةً، وأنّ أرضَكم كرامتُكم، وأنّ شبرًا واحدًا يتملّكُه الغرباء هو خنجرٌ في قلب كمال الحاج أو فأسٌ جانيةٌ جديدةٌ تنهالونَ بها، يا أحبّاءه، على رأسه.

***

٣. في الأخوّة العربيّة وفلسطين

مثلما حَرَصَ الميثاقُ الوطنيُ على ضمان قوميّةٍ للبنانَ صريحةٍ تقومُ عليها شخصيّتُه المعنويّة الحقوقيّة، وكمالُه السياسيُ الناجز، دون أن يشوبه تدخُّلٌ قريبٌ أو بعيد من قبل الغَير، فقد حَرَصَ، أيضًا، على الاعتراف بوجود روابطَ تجمعُ بين لبنان وشقيقاته العربيّات، إذ لم يَعُدْ في مقدور شعب أن يعتزلَ الشعوبَ الأخرى.

وقد عبّر الرئيس بشاره الخوري عن هذه الحقيقة بقوله:

«لا حياةَ لنا بالانفراد والعزلة عن إخواننا الذين تجمعُنا بهم رابطةُ العادات، ورابطةُ اللغة، ورابطةُ المميّزات الشرقيّة العريقة، ورابطةُ المصلحة والأماني التي تغلغلت في لحمنا ودمنا فجعلت منّا أُمَمًا يوحِّدها الهدفُ الأسمى».

وعن قضيّة فلسطين قال الميثاق :

«هذا الخطرُ المداهم هو قضيّةُ العرب أجمعين؛ وعلى الحكومات العربيّة وشعوبها صيانةُ عروبة فلسطين مهما كلّفَ الأمرُ من جهود وضحايا، ولن يكون لبنان مقصِّرًا عن القيام بواجبه إلى أقصى مدى؛ وإن الطريق وإنْ كانت طويلةً وشاقّةً، يحتملُ مَضَضَها بالصبر والأمل...»

وأَفْصَحَ الميثاقُ بلسان الرئيس بشاره الخوري: «إن قضيّةَ فلسطين قضيّةُ حقّ وإنصاف، ولا يمكن أيّ شعب أن يدخل إليها وهو أقلّيّةٌ فيصبحَ فيها أغلبيّةً ويحوّلَ أغلبيّتَها إلى أقلّيّة... وإذا كانت فلسطين وطنًا معنويًا فهي كذلك للإسلام والنصارى واليهود».

***

٤. رسالة لبنان

الصهيونيّةُ هي الوحشُ المتهوّد.

وهي عدوّةُ لبنانَ الأَلَدُّ.

عدوّةُ المسيحيّين هي قبلَ أن تكونَ عدوّةَ المسلمين.

مبدأُها يقول بمحاربة الإسلام والنّصرانيّة معًا.

وسياستُها التوسُعيّة تشتهي لبنانَ، فهو من أرض الميعاد الممتدّة من الفرات إلى النّيل في الصميم.

وهي أَكبرُ حركةٍ تكذيبيّة لرسالة المسيح:

فمسيحُنا دجّال ومسيحُها لم يأتِ بعد؛ وإذا كُذِّبَ الإنجيلُ والمسيحُ كُذِّبَ محمّدٌ والقرآنُ، إذ الإنجيلُ في القرآن الذي جاء فيه أنّ عيسى ابنَ مريمَ كلمةُ الله وروحُه.

من هنا، علينا أن نعرف أنّ الصراع مصيريّ بين المسيحيّة واليهوديّة، وأنّه صراع حضاريّ ولاهوتيّ يقومُ على ميراثٍ سماويٍّ عظيم، وأنّه صراعُ فناء أو بقاء.

ومن هنا، أيضًا، علينا، نصارى ومسلمين، أن نعتبر أنّ «النّصلاميّة» هي دينُ لبنان، دينٌ يجمعُ بينَ النّصرانيّة والإسلام، بينَ المسيحيّة العربيّة والإسلام العربيّ.

وليس أَصْلَحَ من لبنان «النّصلاميّ» يُنْجِزُ أكبرَ مصالحةٍ إسلاميّة- مسيحيّة، ويفضحُ أكبرَ حركةِ تهديدٍ للقيم الروحيّة، ويُوجِدُ لاهوتًا شرقيًا يُصْلِحُ به اعوجاجاتِ اللاهوت الغربيّ إذ لا يُلْغي الحضارةَ اليهوديّةَ الصهيونيّةَ إلاّ حضارةٌ مسيحيّة إسلاميّة.

فهل يعي اللبنانيّون، ولا سيّما نصاراهم، خطورةَ هذا الدور، وسموّ هذه الرسالة وسماويّتَها، وهل يُدركُ أشقّاؤنا العربُ قدسيّةَ هذه المهمّة الرسوليّة، فيضعوا بعضَ إمكاناتهم في تصرُّف لبنان، ويُقْلِعَ بعضُهم عن تهديده وتنغيص عيشه والتحرُّش به والتضييق عليه؟

***

أَيُها الأخوة والأخوات،

لبنانُ، أرضُنا وسماؤُنا وما بينَهما، أَنْزَلَ على كمال يوسف الحاج آياتِه وأَوْدَعَهُ وصاياه، وممّا قال:

أَوّلاً . إحْفَظوا اللغةَ العربيّة ذخيرةً في أعناقكم، وحافظوا عليها على ألسنتكم.

لا تَقْتُلوها بعدما أَحْيَيْتُموها.

لا تَهْجُروها وقد، إلى أديرتكم والصوامع، آوَيْتُموها.

فهي إليكم، وحدَكم، تكادُ، منذ مائتي عام، تنتسبُ.

ثانيًا . لا تبيعوا لبنان. ولا تَقَعُنّ في تجاريبِ إبليس، فهو يريد لكم تشريدًا.

لا تسمحوا بأن تسمعوا ما قالت عائشةُ لابنها المليك أبي عبدالله حينَ سقوط غرناطة:

إبكِ مثلَ النساءِ ملكًا مضاعًا

لم تحافظْ عليه مثلَ الرجالِ

فَلَئِنْ بِعْتُم شبرًا واحدًا من أرض لبنان فكأنّكم بِعْتم لبنانَ بأسره، وطارَدَتْكم لعنةُ الأجيال إلى الأبد.

ثالثًا . إرْبَأُوا بأنفسكم من مهازلِ العار.

عارٌ أَلاّ تحدّثوا أولادَكم بلغة أُمّهاتهم والأجداد.

عارٌ أَنْ تَتّخِذوا لأبنائكم وبناتكم أسماءً لا علاقةَ لكم بها تغتصبونها من تراث سواكم من الأمم.

عارٌ أَنْ تَلْهَثُوا وراءَ جواز سفر أجنبيّ، وأنْ تتسوّلوا جنسيّاتِ مَنْ لستم من أجناسهم فتزيدوا بذلك احتقارَهم لكم.

إنْ بَقِيَ هذا دأبَكم وديدَنَكم فلَسوف تَلْفِظُكمُ الحياةُ على قارعات الأوطان والشعوب.

رابعًا . كونوا شجعانًا وحاربوا الضّعْفَ فيكم والانهزام.

كونوا مؤمنين واجعلوا حبّةَ الخردل في قلوبكم أرزةً باسقة.

كونوا أصيلين فلا يَبْهَرَنّكم لمعانُ ذهب وسرابُ سعادات !

تشبّثوا بقيمكم فإنّكم لَمِنْ أُمّةٍ عظيمةٍ حملتْ مشاعلَ الحضارة، تَبْقَوا، ويَبْقَ لبنان.

جورج مغامس

في المُعتزَل

هَأَنذا أَنأى، مرّةً أخرى، مسافةً أخرى، عن قراصنةٍ ومهرّجين يقتحمون أبوابَ الحياةِ السّاطعة، ويَغنمون عَرقًا ودمًا.. شهوةً وسطوةً.. عروشًا لهَتكَةٍ ومَذلّة...

فأنا في مُعتزَلي،

والوزّالُ صُفرةُ الكَناريِّ شفاهًا ولسانًا، ويَبوحُ بأسرارِ الطّيوبِ وكلِّ بُرعمٍ في كلِّ رَيّان!

وفي الفضاءِ الّذي تَوشّى بالأزرقِ الشّافي من صدرِ وَروارٍ أَزهى وتاه، نَسَمٌ شَغِفٌ بالنّدى، استروحَ براحةِ بالٍ وسريرةِ قمرٍ عاشقٍ وصلاةِ قبّرةٍ وصيّاد!

.. فالقلبُ أُرجوحةُ أحلامٍ عِذابٍ وسلسبيلٌ من أَرَجٍ ونور...

هنا، في الطّبيعةِ، مع الأرضِ، والعينُ من عُشبةٍ إلى غصنٍ إلى أفقٍ وطيرٍ يعانقُ طيرًا ويَبذلُ الفؤادَ رقصًا وغناء..

هنا،

ما أروعَ ما تكونُ عليه النّفسُ من سَكينةٍ ومن لُطفٍ وطُهرٍ وصفاء! وكم من أشواقٍ ومشاعرَ تَفترُّ وتَنبلجُ وتَتداعى خواطرَ وتأمّلات!

هنا تلتئمُ الجراحُ، ويَتماهى الصّدقُ، وتَنقشعُ الدّروبُ إلى الله.

هنا تَحدثُ النّعمةُ، وتَغتبطُ الرّوحُ، وتحتدمُ خيولُ الإبداع.

هنا يورقُ الحبرُ ورقًا من أحرفٍ وكلمات.

هنا، أنا هو الّذي هو، ولي في ذاتي زادٌ لذاتي وكونٌ من حقٍّ وخيرٍ وجمال.

هنا، الله الله على الوزّالِ، وعلى حالٍ ليست كالأحوال!

هنا، يا لَلنّأيِ والاعتزالِ.. ذيّالك الاتّصالِ بأبعادٍ وأعماقٍ شَتّى، وبكلّيّةِ الرّوحِ في تَوالدِ الأنوار!

١٤ أيّار ٢٠١٠

عَلِّمْ قلمي

شَتّى هي الزّهورُ في حديقتي الصّغيرة. وأعرفُها وتَعرفُني واحدةً واحدةً. وكلُّهنّ حبيباتٌ، أَبهى من القمرَين، وأرقُّ من رَقراقِ السّرابِ في عينِ مُدنَفٍ غَسِق!

لكنّه الوردُ أحلاها وأغلاها، استدارَ تكوّرَ أبيضَ أصفرَ أحمرَ، وبرتقاليًّا زهريًّا قِرمزيًّا، ومن اللازوردِ وما اكتحلَ أو تَوشّى وأَفشى بأسرارِ الجمال. إنّ له جَمهرةً، وتَهتِفُ بأنفاسِها.. تقيمُ الصّلاةَ مع العصافيرِ وأجراسِ الصّبحِ والمساء!

أمّا الأحمرُ فله ثورةٌ، يَتعالى بها يَشرئبُّ فوقَ الأسوارِ، ويُملي دهشةً واشتهاء؛ فكلُّ أنفٍ نَشوةٌ، وكلُّ فمٍ دعاءٌ وابتهال!

سيّدٌ هو الوردُ، وكلُّ الزّهورِ له إماءٌ!

أَللهمَّ، تَباركتْ يداكَ، نجّني من هوىً ونَعت، واغفِرْ لي بعضَ ظنّي. وعَلّمْني كيف أَتعلّمُ من غنى خَلْقِك.. من روعةِ خَلْقِك. علِّمْ قلمي.

٣٠ أيّار ٢٠١٠

أمين ألبرت الريحاني

حين تقرأ «كتاب الصورة»

حين تقرأ «كتاب الصورة» تجد نفسك في معرض فنيّ للوحات مستعادة، أوهمك الكاتب أنّها جديدة أو مستحدثة، أوحى لك أنّها طريفة أو مستطرفة، وسرعان ما تكتشف أنّها قديمة قِدَم الروح، أليفة إلفة الأرض، وبليغة بلاغة الحنين الذي يعصف بك ولا تجد له مخرجًا سوى في تلك اللوحات القصائد. إنّها حيّة تستمدّ حيويّتها من شخوص تصادف أمثالها كلّ يوم على اختلاف ضروبها وأشكالها وطبقاتها في الريف اللبنانيّ. هي شخوص جلدتها مستلّة من جلدتك، ومسامّها مستقاة من مسامّك، وأنفاسها مغزولة بنول أنفاسك.

وفيما تقرأ مرافقًا قلم جورج مغامس، تكتشف أنّ قراءتك لنصوصه الثريّة تحملك على أن تتوقّف بعد كلّ مفردة، وتتريّث أمام كلّ فاصلة، وتستعيد القراءة بعد كلّ جملة، أو كلّ فقرة؛ كأنّ القراءة الأولى لنصوص كتاب الصورة لا تكفي، فلا بدّ من قراءة متقطّعة، وقراءة ثانية وثالثة، لتنتهي مع النصّ، وأنت تعالجه طردًا وعكسًا في متعة أدبيّة ولغويّة قلّما تتكرّر.

وتستوقفك لغة جورج مغامس، رغم معرفة سابقة بخصائصها والمزايا. ففي كتابته تجده، كما في سائر مؤلّفاته، يتأنّق تأنّقًا، ويتنطّس تنطّسًا، ويتقطّر تقطيرًا. وفي لغته تراه يتنطّعُ، ويتنخّعُ، ويسترسلُ في غِيِّه على غير وجه، وحتّى الثّمالة. فلغته تأخذك، وتأخذ بك، وتأخذ لك من دون استئذان. وهي تنفخ في نار مادّته فتتأجّج، وتنفخ في هامة قارئه فتتوهّج، وكذلك تنفخ في صدره فيتّقد وبدوره يتأجّج.

والملفت أنّ الكاتب اختار مادّة من صلب الحياة المحليّة، القريبة إليك قرابة النَسَب، بل اللصيقة بك التصاق المكان الذي يتشكّل مع تشكّل ساحة الضيعة، أو صحن الدار، أو دروب القرية، أو خريطة الحياة الريفيّة. مثل هذه المادّة الأدبيّة تُكتَب عادة بلغة أهل تلك المادّة، بلغة أهل الريف على بساطتها، وعفويّتها، وتراكيبها الموازية للّغة المحكيّة. أمّا أن تُكتَب بلغة تمتاز ببيانها وبلاغتها وإشاراتها المشهديّة الثريّة، فذلك يعني أنّ المؤلّف تعمّد اختيار هذا المستوى اللغويّ الرفيع لينتقل بأبطاله المحليّين، والمتميّزين بخصائصهم المحليّة الخالصة، إلى كلّ قارئ عربيّ، من أقاصي المغرب حتّى أطراف المشرق، فتصبح ساحة القرية ومحالّها ودروبها وبساتينها وسلوك أبنائها، نموذجًا لأدب عربيّ محليّ معاصر.

لا يكفي جورج مغامس أن يمتلك ناصية اللغة، بل، ولأنّه كذلك، تراه يلاعبها، يداعبها، ينازلها، يقلّبها، وكأنّه يراقصها على إيقاع معانيه، وعلى وقع مشهديّاته المتهافته. فقلمه ينفخ في الرميم بشرًا سويًّا.

١٢ حزيران ٢٠١٠

جوزيف أبي ضاهر

«كتاب الصورة» حَرَمني النّوم

قالت الحكايات: القراءة ليلاً مِخَدّة، لا لخدٍّ ألصقت صِفَةً به، بل لرأسٍ وجسمٍ وفكرٍ، ولأحلامٍ، قد تكون في العتمة أكثر وضوحًا، منها في وضح نهار. وحين لا تكون، تَختلُّ موازين.

وَحَدثَ، والمسَبِّبُ كان، ما لَبسَ ثيابَه بعد، ليخرجَ إلى النّاس كتابًا؛ أخذتُه في نسخةٍ أولى، طمعًا، حَرَمني لذّةَ النّوم، لأُعطى لذّةَ وصلٍ مَغيبِ شمسٍ بشروقها.

* * *

وقال الكتاب: أنا الصورة. كلُّ وجه كلمة، وكلُّ كلمة شُبّاكُ درب، عينُ رقيبٍ لا تَنعس، ولا تَغضُّ طَرْفًا، ولا تُهمل. وإذا حدّقتْ، كَشَفت وما سَتَرت، وخَبّرت وما بخلت، ورصفتِ التفاصيلَ بمهارة العارفِ أسرارَ التعاطي مع الصعب، فأدركتِ الشعرَ في أبهى البشارات.

وأمّا بلاغةُ الوصف، فليونةٌ على رَهافةٍ، ومتانةُ بناءٍ تصاعديّ، يخطفُ الأنفاسَ إلى فتنة، فلا يباسُ كلامٍ حشوٍ، ولا غرابة.

* * *

... ويوضح الكتاب، الممهورُ بحبر جورج مغامس، أنّه والصورة هويّةٌ لوجوهٍ ظُنَّ بها مهمّشةً، تنهضُ من غبارٍ إلى فراغ؛ وإذ بالقلم المرصود على الصياغة يحوّلُها قاماتٍ، أُعطيت نعمةَ البساطة، وأخذَ هو نعمةَ الإندفاع إليها، لا مشاكسةً لتصرّفات، بل إعجابًا منه بما اعتُبر نافرًا، أو فجًّا، وغيرَ مألوف.

صادقَهم، وفرَضَ على قارئهم صداقتَهم.

وَحَدَثَ ثانية، أُخذتُ إليهم، راقبتهم مثلَه، حادثتهم مثله، حارجتهم، حرّضتهم على مزيد، ولم ألقَ تجاوبًا. ما اهتمّ أحدُهم بي قَدْرَ ذرةٍ من اهتمامي بهم.

لم أتعبْ، ورحتُ مع مُطاردِهم إشباعًا لرغبةٍ في عدم تغييب، أو تركِ شاردةٍ تَفلتُ منه.

طمّاعٌ هو، صعّدَ حركةَ المشهد لتأجيج الكتابة، وصولاً إلى المُشتهى، بعده، لا حاجة إلى إبرازِ فضائل، أو إخفاءِ عيوب.

... وكان منهم، أكثرَ ظرفًا وسخريةً على اختلافٍ في الموقعِ والواقع.

* * *

الوجوهُ المهمّشة، صيّرها قلم جورج مغامس، وجوهَ ضوء؛ فكلُّ وجهٍ عَلَم، وأعطاه من العلامات الفارقة ما يَليقُ به في صَكّ ديمومة، لا تؤثّرُ فيها ظروفٌ ومناخات.

* * *

تتالت الصفحاتُ الصور، حادّةً، مرّات... ومرّاتٍ متأنّيةً صريحةً إلى حدِّ وشمِ الحدثِ وتركِه بين العابثين بالحياةِ على غيرِ انتباه.

في كلِّ حرفٍ إيحاء، يترجمُه المتلقّي من تجاربَ ذاتيّةٍ، متشابهة..؟ ربّما.

أو يأخذُ ذاكرةً حيّة، تؤرّخُ اللحظة، وتسمحُ بالتطلّع إلى خارجِ إطارِ الصورة، إسهابًا في رسم إضافات، ورغبةً في ظلال، لا تَقي من وهجٍ، بل تريحُ، وتسمحُ بمراجعةِ وجوهٍ مرّت، على غيرِ درايةٍ منّا، أو، لم يسعفْها حظُّ البقاء، أن تمرّ في يومٍ من الأيّامِ تحت شبّاك جورج مغامس، ليصنعَ لها هوّيةً ممهورةً بالنبض، فلا تعودُ دوائرُ الفراغِ والضَياعِ تقوى عليها، ولا رياحُ الخداع، التي يتقنُها الوقت، في تحريكِها، حبًّا بنكهة الرماد.

* * *

هذه الذاكرةُ الحيّة، شَمَلتْ مناخًا عامًّا، بلدةً، مجتمعًا، ووصلتْ إلى مرحلةٍ في الزمن، لها عاداتُها وتقاليدُها، وحَكيُها وناسُها، وبَرَكتُها، وخيرُها المجموعُ في يدين اثنتين من زرعٍ وحَصادٍ، وخميرةٍ، وأخذٍ وعطاء، وتبادلٍ يتداخلُ في الإلفة والروحِ الإنسانيّة.

* * *

«كتاب الصورة» هو، أكثرُ من كتابٍ يَروي، وأكثرُ من صورٍ بالأسودِ والأبيض، تحدّدُ الوجوهَ والأسماءَ من دون أن تسجنَهم. لهم حريّةُ أن يطلعوا منها، أو أن يغيبوا فيها. ونحن، نشاركُهم هذه الحريّة، حين، في أعماقنا، يندُه الحنينُ إلى صفاءٍ في النفوس، وفي مرويّاتِ أيّامِ النقاء.

* * *

أفركُ عينيّ بنَهَمٍ.

ـ ماذا بعد إيغاله في تعريةِ حضورِهم، ليفصّلَ لهم ما لم يخطرْ ببال، أو خيالِ من كان أقربَ منه، جسدًا، إليهم؟

لا أجدُ جوابًا؟

بلى، وحدَه نظرَ إليهم، ورآهم. غيرُه نظرَ، ومرَّ، وغَبشَ بصرُه، وما رأى.

* * *

... ويلفتُني الكتاب، وأنا أخرجُ منه لاهثًا، أنّ وراء الحُجُبِ شفافيّةَ فكرٍ أغنته تجاربُ هؤلاء «البسطاء»، فمنحَهم بريقَ قلمٍ لا زوغَ عيون، ولفتَ نظرٍ إلى أنَّ الحياةَ العفويّة، الطبيعيّةَ البسيطة... حتّى السذاجة، تكتنزُ فلسفةً جاذبة، قَلَّ مَن أدركَها كاملة، كما جورج مغامس.

* * *

وجوهٌ تضحك، وجوهٌ تسخر، وجوهٌ تَهذي، تتلوّن... لكنّها لا تضعُ قناعًا، ولم تمشِ خلف ظلّها.

* * *

استقبلتُ الفجر، ولم أنتبه، أَهو خرجَ من الكتاب... أم أنّ العتمةَ لم تأتِ في تلك العشيّة، وظلّ قنديلُ الوجوه مشعًّا في عينيّ.

أنطوان رعد

يا سيِّدَ العشّاق

يا سيّدي يا سيّدَ العشّاقْ
هتفْتُ في صمتي من الأعماقْ
بَهرْتني سَحرْتني
من عُقَدي حَرّرْتني
عَصرْتني فَطّرْتني
سُلافةً شفّافةً كالضّوءِ كالحرّيّه
فالحبُّ في شَرعِكَ يا سيّدي
عبادةٌ ليس عبوديّه.

أَضَئْ شموعَ الحبِّ في المعبدِ
نحن مع الحبِّ على مَوْعدِ
كم مرّةٍ غننّجْتَني
أَلهَبْتَني أَثلَجْتني
صَلبْتَني تَوّجَتَني
سلطانةً عاشقةً معشوقةً بهيّه
سلطانةً تبسُطُ أهدابَها
قوق مدارِ الكُرَةِ الأرضيّه

يا فرحي السِّرّيّ يا نَجيّيْ
حُبُّكَ يا بُنَيّ يا نَبِيّيْ
دَمّرَني عَمّرَني
من دَنَسِي طَهّرَني
في لحظةٍ صَيّرَني
شاعرةً رسولةً جِنّيّةً حُوريّه
صَيّرَني قدّيسَةً قَلْبُها
يَحتَضِنُ العذراءَ والمجدليّه.

الصفصافة والنهر

أَلمحُ في عينيكِ يا أميرتي
صفصافةً تَقُصُ للنّهْرِ
- والنّهرُ يَجري دُونَ أن يَدري-
حِكايةَ العُمرِ الذي يَجري.

القفص والمرآة

بالأَمسِ كانَ وَجْهُها تُحفَةً
أَبدعَ في تكوينِها النّحّاتْ
يا صورةً هامَتْ بها المرآةْ
كما يَهيمُ قَفَصٌ بحبِّ عُصفوره
يا حبّذا لو صَفحةُ المرآةْ
يُمكِنُها أن تَحبسَ الصُّوره.

تحت سرير الماء

تَعرّتِ النّجمةُ في البَحرِ على اسْتحياءْ
والعُمرُ العاشِقُ في السّماءْ
بدورِه تَعرّى في خيمةِ المساءْ
لِكَيْ يَضُمّ عُرْيَها
تَحْتَ سَريرِ الماءْ.

رِيانا

ج. م.

تُقبلُ رِيانا
تسلّمُ عيناها على وجهي
وتصمتانِ
تَنطِقُ الشّفتانِ
تُنبتانِ الماءَ
تُزهرانِ البيلسانَ

وتَستلقي رِيانا
على قلبي
على دُعائي
على أُرجوحةِ الغناءِ في رجائي
وتوغلُ..
توغلُ في ترابي وفي فضائي
تَنداحُ على صفائي
يَستطلعُ نجمُها الأحلامَ والمرايا البريئةَ
يَقرعُ بابَ السّماءِ
يُفشي الرّبيعَ.. والبديعَ
يسلسلُ المعانيَ الوَرقاءَ
يذهّبُ البيانَ

رِيانا
تزقزقُ أنفاسي
تُطربُني
تُشيعُ في حديقةِ الرّوحِ راحًا ورَيحانا

تَستولدُ العمرَ عمرًا
من قديمٍ خَشِبٍ
تُخرجُ الرَّطيبَ غَنّاءً ورَيّانا
تجدّدُ الأفْقَ
تُقحِمُ في الوجدانِ وجدانا

رِيانا
سرٌّ جديدٌ.. سرٌّ مَجيدٌ
في حياتي
أَوقدَ سُرُجَ السّماءِ..
سمائيَ الغبراءِ
ولوّنَ بالآمالِ غدًا
أَجراه في مسيرةِ الأمنياتِ
أَيقظَ "جَدًّا"
أَقامه على الشّراعِ ريحًا
اعتصبتْ بالشّمسِ
وخَطّتْ
في سِفرِ الأَماناتِ
قصيدةَ الحبِّ
لؤلؤةً تَعرّتْ
توشَّتْ بنَيسانَ

رِيانا رِيانا
وفي كشفِ العامريِّ:
«تضيءُ في وجهِ الظّلامِ منيرةً كجُمانةِ البحريِّ..»
صلاةُ الرّعاةِ تعالت
افترّتْ لَماها مروجًا
طابت برَيّاها
وتهامت
حَلّتْ بُروجًا
تَفطّرتْ جنّةً.. ورضوانا

رِيانا
غاليتي الحاليةُ أنتِ
أيقونةُ الرّؤيا
في قَومةِ الصّبحِ
وسَجدةِ المساءِ
وأنتِ "السّلامُ"
وأنتِ "الأبانا".

٧ حزيران ٢٠١٠

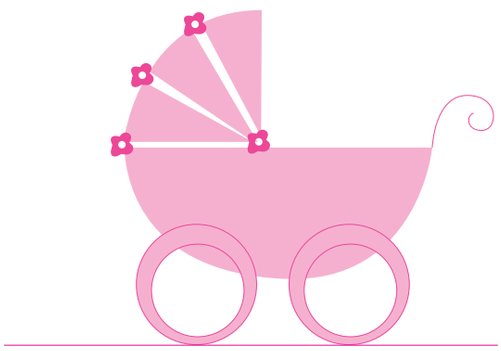

من منشوراتنا

is now available on NDU website, under
www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit

سلسلة الشأن العام	General Public Internet Series
سلسلة الأبحاث المجتمعيّة	Societal Research Series
سلسلة دراسات الإنتشار اللبناني	Lebanese Emigration Research Series
سلسلة الأبحاث المائيّة و البيئيّة	Water, Energy & Environment Research Series
سلسلة الدراسات الماليّة والاقتصادية	Financial & Economic Studies Series
سلسلة الدراسات التاريخية	Historical Studies Series
سلسلة أنوار الأديان	Religious Illuminations Series
سلسلة آفاق ثقافية	Cultural Horizons Series
سلسلة الانسانيات	Humanities Series
سلسلة المخطوطات اللبنانية	Lebanese Manuscripts Series
سلسلة المورکس	Christian Education Series
سلسلة التنشئة المسيحية	Compendium Of The Virgin Mary in Lebanon
موسوعة العذراء مريم في لبنان	University Texbook Series